

الظاهر أحمد الزاوي

# تاريخ الفتح العربي في ليبيا

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



دار المعارف بمصر



الصور

حول

اليوميات

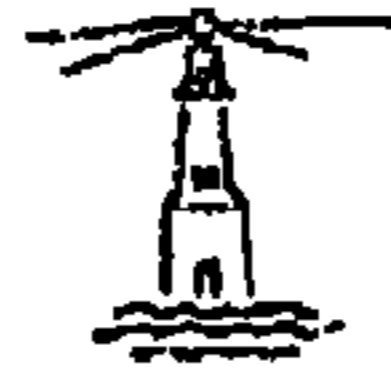
[صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك](#)

# تاريخ الفتح العربي في ليبيا

تأليف

الطاهر أحمد الزاوي  
الطرابلسي

الطبعة الثانية



دار المعارف

١٩٦٣

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف - ١١١٩ كورفيس النيل - القاهرة ج.ع.م.

# الإهداء

أهدى كتابي هذا :

- إلى كل ليبي يحطم قيود الاستعمار ويطهر ليبيا من المستعمرين .
- إلى كل ليبي يعمل على توفير الرخاء وهناءة العيش لليبيا .
- إلى كل ليبي يرفع منار العلم في ربوع ليبيا التي حرمت نوره منذ قرون .
- إلى كل ليبي يفتي في حب ليبيا ، والعمل على بناء مجدها وتمكين عزها .

الطاهر الزاوي



## مقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل العرب خير أمة أخرجت للناس ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحابته وأتباعه الذين جاهدوا في الله وأخلصوا دينهم لله .

وبعد . فإن من أمجاد العرب ما لا يزال محجوباً بما تراكم عليه من غبار الماضي البعيد ، وتضليل الأوربيين وأذئابهم من أنصار المستعمرين وأصحاب الأغراض الدنيئة والنفوس المريضة .

ولقد كان لهم من أعمال البطولة - في مشارق الأرض ومغاربها - ما لم يحفظ التاريخ مثله لغيرهم من أمم الدنيا . . ومن هذه الأجداد وتلك البطولة ذلك الفتح المبين والنصر المؤزر الذي أحرزوه في الشمال الإفريقي في السنة الثانية والعشرين من الهجرة وما تلاها من السنين إلى أن استقرت أقدامهم فيه وتم لهم الأمر في سنة ٨٨ .

ولقد كان لهم فيها عشر جولات في سبع وستين سنة . وكانت أولى هذه الجولات بقيادة عمرو بن العاص سنة ٢٢ ، وآخرها بقيادة موسى بن نصير سنة ٨٨ هـ وفي هذه المدة ملكوا ما بين الإسكندرية وبحر الظلمات ( الإطلنطي ) ، وما بين البحر الأبيض وبلاد كاوار ( السودان ) .

ولقد كانت لهم في إفريقية ملاحم تشيب الرضيع ، تدرعوا فيها بالصبر فكتب لهم النصر ، وأخلصوا فيها لله فوقاهم شر الهزيمة .

وإن تعجب فعجب أن يفتح العرب إفريقية وهم في تلك القلة ، وهي مشحونة بالروم والبربر تكاد تغص بهم كثرة ، على ما بينهم وبينها من طول المسافة وبعد الشقة ، ولكنه الصبر على المشاق ، وقوة العزيمة التي رباهم عليها القرآن وتعاليم الإسلام ، فكانوا إذا اعتزموا الأمر لا يثنى عنهم عنه ثان . أما الموت وما دونه من المكارِه فلا يبالونه ، لأنهم تعلموا من القرآن « لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » .

وما كان يحز في نفسى أنى حينما كنت أطلع فتح إفريقية في كتاب ما لم نجد فيه من آثار الفتح العربى في ليبيا ما يعطى للقارئ صورة لهذا الوطن العربى وأعمال العرب فيه ، فأدركت أن ما يتعلق منه بليبيا لا يزال مبعثراً في بطون الكتب ، ويحتاج إلى جمع وتنسيق ، فأردت أن أقوم بهذه المهمة كفاء لما لطرابلس علينا من فضل التربية وحقوق الأمومة ، وقياماً بواجب الوطن وما يتطلبه في حياته الجديدة من تظافر جهود أبنائه على تدعيم نهضته الثقافية . فاعتزمت الأمر ، ورجعت إلى كل كتاب علمت أنه يتصل بالفتح العربى في ليبيا من قريب أو بعيد ، وأخذت منه كل ما يتعلق بليبيا .

ولم يكن في وسعى أن أتجنب - في كثير من المناسبات - الكلام على القيروان وبعض المدن الإفريقية لأن صلة طرابلس - إذ ذاك - بهذه المدن كانت صلة متينة ، صلة التابع بالمتبوع . وتحت هذه الظروف انساق بي الكلام على غير ليبيا مقتصراً في ذلك على قدر الضرورة .

والمتبع لتاريخ الفتح العربى في ليبيا ، لا يقع نظره إلا على غزاة تابعت غزواتهم عليها ، لنشر تعاليم الإسلام تارة ، وللحكم والسيطرة تارة أخرى ، يتخلل هذا وذاك حروب طاحنة ، وثورات متوالية ، صرفت الليبيين عما يجب عليهم لوطنهم من توفير وسائل العمران ، ونشر المعارف ، والأخذ بنصيب من المدنية لا يقل عن نصيب جارتها تونس ومصر .

ولقد كان لأعمال التخريب التي قامت بها الكاهنة من سنة ٨٢ إلى ٨٤ أكبر الأثر في تأخر وسائل العمران في ليبيا .



وإذا نظرنا إلى ما كانت عليه مدنها زمن الروم وقبيل الفتح العربي نجدها كانت في حالة انحطاط مادي وأدبي نتيجة لتعسف الروم في أحكامهم ، وقسوتهم في جباية الأموال لتوفير ملذاتهم ، وإهمال شأن الإصلاح مما قعد بها عن اللحاق بجاراتها في مضمار المدنية .

وليس ما جمعته هو كل ما كنت أتمنى جمعه ، ولكنه كل ما وجدته . وقد وجدت كل كتب تاريخ إفريقية تنقل عن « تاريخ الرقيق » فحاولت الاستفادة منه ، فلم أعر عليه في دار الكتب المصرية ، ولا في غيرها من مكتبات مصر ، واستعنت ببعض من أعرفهم ممن لهم دراية بأسماء الكتب فلم أعر له على خبر . وأعتقد أن تاريخ الشمال الإفريقي في حاجة إلى هذا الكتاب الجليل . وأن كل كاتب في تاريخ إفريقية — لم يستعن بهذا التاريخ — لن يصل فيما يكتبه إلى غايته .

وقد سميت ما جمعته « تاريخ الفتح العربي في ليبيا » باعتبار أن المنطقة التي تكلمت عليها تسمى الآن « ليبيا » .

وإني إذ أقدم إلى أبناء العروبة هذا الكتاب أعتقد أنني كشفت لهم عن حلقة من تاريخ قطعة من وطن العربية كانت مجهولة لكثير منهم ، وسيجدون فيه — وخصوصاً أبناء ليبيا — ما يفتح أمامهم باب البحث ، لإكمال الناقص من تاريخ ليبيا العزيزة .

وأرجو أن يكون فيه للمواطن الصالح ما يحمله على العمل لسعادة ليبيا ودفعها إلى اللحاق بمن تقدمها من الأمم في ميدان الحضارة .

الطاهر أحمد الزاوي



مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما وجدته كتابنا ( تاريخ الفتح العربي في ليبيا ) من رغبة القراء ، والإقبال على إقتنائه .

وقد وفقت إلى إصلاح الأخطاء التي وقعت في الطبعة الأولى ، كما وفقت إلى زيادات وضععتها في مواضعها من الكتاب ، وتحقيقات كثيرة ، مما زاد في قيمة الكتاب التاريخية ، وأصبح من الضروري للباحث عن تاريخ ليبيا الاطلاع على هذه الزيادات .

وقد صدر الكتاب في ثوب أجمل بما تبديه دار المعارف من الاهتمام بمطبوعاتها ، ومادة علمية أوفى وأوسع مما كان عليه في الطبعة الأولى .

والله ولي التوفيق . ونسأله العون على خدمة ليبيا العزيزة في عهدها الجديد السعيد : عهد الاستقلال والحرية والثقافة . إنه سميع مجيب .

الطاهر أحمد الزاوي

نوفمبر سنة ١٩٦٣



## التعريف بلوبيا

« لوبيا » بضم اللام وسكون الواو . وبالباء الموحدة والياء المثناة من تحت وألف : مدينة بين الإسكندرية وبرقة<sup>(١)</sup> . والنسبة إليها لوبي .  
وكلمة لوبيا كلمة قديمة تتحدر من الجغرافية القديمة ، وقد هجر استعمالها منذ زمن بعيد .

وقد اختلف في الجهة التي تطلق عليها كلمة لوبيا . . . فقال أبو الريحان البيروني<sup>(٢)</sup> : كان اليونانيون يقسمون المعمورة أقساماً ثلاثة ، ويعتبرون أرض مصر مجتمعاً لها ، فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبيا ، ويحدها من الغرب بحر أوقيانوس المحيط الأخضر . ومن جهة الشمال بحر مصر . ومن جهة الجنوب بحر الحبش . ومن جهة المشرق خليج القلزم ، وهو بحر سوف « أي البردي » . وهذا كله يسمى لوبيا .

وهذا التقسيم اليوناني لا يجد له مبرراً من التاريخ ، لأن أول عهد اليونان - وهم الإغريق - ببرقة كان في آخر القرن السابع ق . م ، وذلك أن جماعة من سكان جزيرة ثيرا - وهي إحدى جزر بحر إيجا - ويقال لهم الثيرانيون نسبة إليها ، جاءوا في هذا التاريخ إلى برقة بعد أن منعهم القرطاجنيون من الإقامة في شمال إفريقية ، وبعد عشر سنوات من وجودهم فيها أسسوا مدينة قورين . وفي هذا الوقت كان الفينيقيون يملكون الشمال الإفريقي ، وكان قد مضى على تأسيس قرطاجنة نحو ١٤٠ سنة ، فكيف يصح أن يطلق اليونان اسم لوبيا على أملاك القرطاجنيين ؟ . وإذا قلنا إنهم أطلقوه عليها قبل أن يأتوا

(١) انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٣

(٢) كان البيروني من العلماء الذين امتازوا بالتدقيق والروح العلمي الصحيح ، ومن أكبر

الباحثين الذين تركوا مآثر في العلوم والتاريخ .

إلى برقة فهو أشد بطلاناً وأبعد عن الحقيقة . . . على أن نفوذ اللوبيين لم يتجاوز برقة ، وكانوا في نزاع مستمر مع فراعنة مصر . ولما جاء اليونانيون إلى برقة ، وبعد أن بنيت قورين وتوطد ملكهم فيها اضطهدوا اللوبيين وأجلوهم عن لوبيا . وخلف الروم اليونانيين على برقة فكانوا أشد اضطهاداً للوبيين .

والحقيقة التي يؤيدها أكثر المؤرخين - بل كلهم إذا استثنينا ذلك التقسيم الباطل الذي ذكره أبو الريحان البيروني - أن الأرض التي تسمى لوبيا هي الأرض الواقعة بين حدود مطروح الغربية وحدود برقة الشرقية . وفي هذه المنطقة كانت عاصمة لوبيا ، وفيها كان يسكن اللوبيون ، ومنها كانوا يهاجمون فراعنة مصر ، ويحاولون الاستيلاء على ضفاف وادي النيل .

وقد عدد المقريزي في خطته كور مصر ، فذكر من كور الحوف الغربي : كورة الإسكندرية . وكورة مريوط . وكورة لوبيا ومراقبة . . . وذكر في تحديد مصر أنها تحد من الجهة الغربية ببرقة . . . ونقل عن القضاعي ما نصه : « الذي يقع عليه اسم مصر من العريش إلى آخر لوبية ومراقبة . وفي آخر أرض مراقبة تلي أرض أنطابلس وهي برقة » ا هـ . وفيما ذكره المقريزي رد واضح على أبي الريحان ، وتحديد لموقع لوبيا ، وأنها من الأراضي المصرية ، وتقع شرقي حدود برقة .

واللوبيون كانوا من الجنس الأسمر ، وقد انقرضوا من هذه المنطقة ولم يبق فيها منهم أحد ، ولا في غيرها بهذا الاسم . ويسكن الآن هذه المنطقة جماعات من سلالات العرب الخالص كأولاد علي وغيرهم ، ولا يربطهم بهذا الجنس إلا الآدمية . . . ولا يوجد فيما بين الإسكندرية والمحيط الأطلنطي إنسان واحد معروف النسب إلى هذا الجنس . . . فإطلاق كلمة لوبيا على برقة وطرابلس إطلاق ظلموا به ذلك الشعب العربي الذي ما ينفك ينتسب إلى العرب .

وقد هجر اسم لوبيا منذ عهد اليونان في قورين . وبعد أن فتحها العرب لم ينطقوا إلا بكلمة أطرابلس أو برقة .

وذكرت دائرة المعارف الإيطالية أن « اسم ليبيا قديم يتحدر من الجغرافية القديمة . وأول من أخرجه إلى الاستعمال العالم الجغرافي « ف مينوتلي » . في كتابه « جغرافية ليبيا » المطبوع في تورينو سنة ١٩٠٣ ليبدل به على الولاية التركية التي تشمل طرابلس وبرقة . ثم اتخذته إيطاليا اسماً رسمياً لولاية طرابلس بعد أن أعلنت سيادتها عليها في ٢٤ من يونية سنة ١٩٢٩ . ومن ذلك الحين شاع استعماله في جميع أنحاء العالم ، وشمل طرابلس وبرقة وفزان والواحات التابعة لها . » .

هذا ما ذكرته دائرة المعارف الإيطالية . ويفهم منه أن اسم ليبيا كان مهجوراً ، وأنه ما كان يطلق على طرابلس وبرقة ، وبعد أن هجر سنين طويلاً أخرج ليطلق على الولاية التركية التي ما كانت تسمى به . ولم يكن لهم سند تاريخي في هذا الإطلاق ، ولكنه اصطلاح الغرض منه دعاية استعمارية قصد بها القضاء على الأسماء العربية التي كانت تطاق على هذه المقاطعات الثلاث . ولما أعلنت الدولة الليبية في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، أقرت كلمة ليبيا وأطلقتها على ما أطلقها عليه الإيطاليون : على ما بين حدود مصر وتونس ، وما بين البحر الأبيض وحدود السودان ، كما سميت نفسها « الدولة الليبية » .

وقد اعترض كثير من الطرابلسيين على إطلاق كلمة ليبيا على بلادهم ، وعلى تسمية الدولة باسم « الدولة الليبية » ، لأن كلمة ليبيا كلمة دنخيلة على العربية ، أحياها الطليان لأغراض استعمارية كما قدمنا آنفاً .

واقترح المعارضون أن تطلق كلمة طرابلس على ما أطلقت عليه كلمة ليبيا ، وأن تسمى الدولة « الدولة الطرابلسية » .

وكلمة طرابلس هي التي استعملها العرب منذ الفتح الإسلامي وجرى عليها العرف الدولي منذ مئات السنين .

وقد وجدت فكرة إطلاق كلمة طرابلس بدل كلمة ليبيا معارضة شديدة بدعوى أن اسم طرابلس لا يشمل برقة وفزان ، وما كانت برقة وفزان إلا قطعتين من طرابلس ، والاتفاق الذي يجعلنا نقر كلمة ليبيا — وهي الكلمة الاستعمارية

الدخيلة - كفيل بأن يجعلنا نقر كلمة طرابلس ، وهي الكلمة العربية الأصيلة .  
ولكن قاتل الله السياسة ، فقد أيدت الرأي المناصر لكلمة ليبيا وكتب له  
النجاح ، وأطلقت على طرابلس وبرقة وفزان .

وتتكون ليبيا من ثلاثة أقسام : طرابلس ، وبرقة ، وفزان ، ومن هذه  
الأقسام الثلاثة تتكون أراضي الدولة الليبية .

والدولة الليبية دولة ملكية ، وراثية ، دستورية ، اتحادية ، على طريقة  
النظام الفدرالى الأوربى. <sup>(١)</sup> ولها حكومة مركزية ، ووزراء ورئيس وزراء .  
وفى كل قسم من الأقسام الثلاثة حكومة رئيسها يسمى الولى ، و إلى جانبه نظام  
بعدد ما فى الحكومة المركزية من وزارات ، كل ناظر يوكل إليه النظر فى  
شئون الناحية التى يمثلها الوزير فى الحكومة المركزية ، فناظر المعارف يمثل  
وزير المعارف فى قسمه المختص به ، وناظر المالية يمثل فى قسمه وزير المالية ،  
وهكذا . . . ولها مجلس نواب يمثل الأمة على النسبة العددية للأمة جمعاء . ولها  
مجلس شيوخ يمثل الأمة تمثيلا ثلاثيا على نسبة متساوية للأقسام الثلاثة التى  
تتكون منها الدولة من غير نظر إلى عدد سكان كل قسم على انفراده .

---

ألقى هذا النظام وما يترتب عليه فى مارن سنة ١٩٦٣ وأصبحت دولة متحدة .



## سكان ليبيا القدماء

تعاقبت على هذه المنطقة من ساحل الشمال الإفريقي التي تسمى الآن ليبيا أمم مختلفة ودول كثيرة . وأقدم هذه الأمم أمة البربر .

### البربر

أمة البربر أقدم أمة عرفها التاريخ في الشمال الإفريقي

قال ابن خلدون : البربر بجبل من الآدميين سكان المغرب من القدم ، ملأوا البساتن والحبال من تاوله وأريافه وضواحيه وأمصاره ، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ، ومن الخصاص والشجر ، ومن الأشعار والأوبار . ويظعن أهل العز منهم والغلب لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة ، لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفر الأملس . ومكاسبهم الشاء والبقر . والخيل في الغالب للركوب والتتاج ، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم . شأنهم في ذلك شأن العرب .

ومعاش المستضعفين منهم في الفلح ودواجن السائمة ، ومعاش المعتزين من أهل الانتجاع والظعن في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة ، وأكثر أثاثهم من الصوف ويشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ، ويفرغون عليها البرانس الكحل ، ورؤوسهم في الغالب حاسرة ، وربما يتعهدونها بالخلق . ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها ، وهي التي اختصروا لأجلها بهذا الاسم .

لغز في البربر (١) .

قال عبد الله بن محمد الهرغى ملغزاً في البربر :

وما أمة سكتناهم نصف ونصفهم  
ومقلوبه بالضم مشروب جلتهم  
وعيش أعاليهم إذا ضم أوله  
وبالفتح من كل عليه معولته

وما كان للبربر من الآثار تشهد أخباره كلها بأنهم بجيل عزيز على الأيام ،  
وأنهم قوم مرهوب بجانبهم ، شديد بأسهم ، كثير جمعهم ، مضاهون للأمم  
العالم وأجياله من العرب والفرس والروم . اهـ

وكلمة بربر أطلقت بأربعة إطلاقات في أربعة عهود مختلفة . فأطلقت  
في عهد هومير على القبائل المعقدة اللغة واللهجة حينما وجدت . . . وأطلقت  
في عهد هيرودوت على الأمم الغريبة عن لغة اليونان وحضارتهم . . . وأطلقت  
في عهد بلتوس على الروم ما عدا سكان روما . . . وأطلقها العرب  
في عهدهم على الأمة التي تسكن الساحل الإفريقي لأنهم يتكلمون بلغة ليست  
مفهومة للعرب ، والعرب يطلقون كلمة بربرة على الأصوات المتجمعة  
غير المفهومة « وهم شعوب وقبائل أكثر من أن تحصى » . . . وكانت مواطنهم  
من الإسكندرية إلى بحر الظلمات ، ومن البحر الشامي إلى حدود السودان .

وقد تغير هذا الوضع في عهد ابن خلدون ، فذكر أن إفريقية كلها إلى  
طرابلس كانت دياراً لنفزاوة ، وبنى يتفرن ، ونفوسة ، ومن لا يحصى من  
قبائل البربر ، وكانت قاعدتها القيروان ، وهي لهذا العهد — عهد ابن خلدون —  
مجالس للعرب من سليم . . . وبنو يفرن . وهوارة مغلوبون تحت أيديهم ،  
وقد تبدوا معهم ، ونسوا رطانة الأعاجم ، وتكلموا بلغات العرب ، وتحلوا  
بشعارهم في جميع أحوالهم ، وقاعدتها لهذا العهد — عهد ابن خلدون — تونس ،  
وهي دار ملكها .

وأما برقة فدرست وخربت أمصارها وانقرض أمرها ، وعادت مجالات  
للعرب بعد أن كانت داراً للواتة وهوارة وغيرهم ، وكانت بها الأمصار المستبحرة  
مثل برقة وزويلة وغيرهما ، فعادت يبابا ومفاوز كأن لم تكن . وهم في إفريقية  
— كما قال ابن خلدون — « من أزمته لا يعرف أولها ولا ما قبلها<sup>(١)</sup> » وكل

(١) يقول المؤرخ التونسي الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب : أول من عرف البربر هم قدماء  
المصريين في زمان الفراعنة ، وكانوا يعرفونهم باسم « الليبو » المشتق من نعت بلادهم ليبيا وذلك أن البربر  
كانوا في سنى الجذب يشنون الغارة على ساحات وادي النيل الحصيبة وهذه الوسيلة احتكوا بالمدنية =

ما قيل في تاريخ دخولهم إفريقية هو من قبيل التقريب ، وهو إلى التخمين أقرب .  
وأصح ما قيل في أصولهم هو ما قاله ابن خلدون : « والحق الذي لا ينبغي  
التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح . وأن اسم  
آبهم مازيغ . . . فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه » .

ثم نقل عن جمهرة الأنساب لابن حزم ما نصه : « ادعت طوائف من  
البربر أنهم من اليمن ومن حمير ، وبعضهم ينسب إلى بر بن قيس عيلان ،  
وهذا كلام باطل لا شك فيه . وما علم النسابون لقيس عيلان ولداً اسمه بر  
أصلاً . . . وما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أكاذيب مؤرخي  
اليمن » .

وأما ما ذهب إليه ابن قتيبة أنهم من ولد جالوت ، وأن جالوت من ولد  
قيس عيلان فأبعد عن الصواب : ذلك لأن قيس عيلان من ولد معد ، ومعد  
كان معاصراً لبختنصر ، فأخذه أرمياء النبي وذهب به إلى الشام خوفاً عليه من  
بختنصر حينما تسلط على العرب وكان يقتلهم . وبختنصر هو الذي هدم بيت  
المقدس بعد ما بناه داود بنحو أربعمئة وخمسين سنة ، وإذا كان جالوت  
قتله داود بنص القرآن « وقتل داود جالوت » فكيف يكون جالوت المعاصر  
لداود من ولد قيس عيلان الذي وجد بعد جالوت بنحو أربعمئة وخمسين  
سنة ؟ . قال ابن حزم : هذا في غاية البعد ، وأظنها غفلة من ابن قتيبة  
ووهماً .

ثم قال ابن خلدون : ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر كلهم  
من البربر إلا صنهاجة وكتامة ، فإن بين نسابة العرب خلافاً فيهم ، والمشهور  
أنهم من اليمنية ، وأن إفريقش لما غزا إفريقية أنزلهم بها .

---

= المصرية ، واقتبسوا منها بعض أسباب الحضارة وشيئاً من العقائد والتقاليد التي انتشرت من هنالك في  
الشمال بأسره .

ويفهم من كلام الأستاذ حسن حسنى أن البربر هم الليبيون . وهذا رأى لبعض المؤرخين .  
وهناك رأى آخر يقول إن البربر غير الليبيين ، وأنهم أقدم من الليبيين في الشمال الإفريقي .

ويقول ابن خلدون أيضاً : إن أمة العرب لم يكن لها إمام قط بالمغرب لا في جاهلية ولا في إسلام ، لأن البربر كانوا يمانعون عليه الأمم ، وقد غزاه إفريقيش بن صيني - الذي سميت به إفريقية - من ملوك التبابعة وملكها ، ثم رجع عنها وترك كتامة وصنهاجة من قبائل حمير فاستحالت طبيعتهم إلى البربر واندمجوا في أعدادهم وذهب ملك العرب منهم . ثم جاءت الملة الإسلامية وظهر العرب على سائر الأمم ، بظهور الدين فساروا في المغرب ، وافتتحوا سائر أمصاره ومدنه ، وعانينا من حروب البربر شدة .

وذكر ما يزعمه نسابة البربر : أن لواتة من حمير ، وهوارة من كندة من السكاسك ، وزناتة من التبابعة ، أو من العمالقة فروا أمام بني إسرائيل ، وغمارة وزواوة ومكلاتة من حمير . . ثم عقب عليه بقوله : « وهذه كلها مزاعم . والحق الذي شهد به الموطن والعجمة ، أنهم بمعزل عن العرب ، إلا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة » . ثم أبدى ابن خلدون رأيه فقال : وعندى أنهم من إخوانهم . والله أعلم - يعني إخوانهم البربر .

والقبائل التي ذكر بعض النسابة أنها من أصول عربية مثل كتامة وصنهاجة لا شك أنها تبررت بطول الزمن في لغتها وزيها وعاداتها ، لأنهم طرأوا على قبائل بربرية هي التي قال فيها ابن خلدون : « لا يعرف أولها ولا ما قبلها » ، فنسبتهم إلى العرب لا تعني أولية البربر في الشمال الإفريقي .

وكل ما جاء بعدهم من أمم إلى الشمال الإفريقي فلإنما جاءوا من طريق الغزو والفتح لا فرق في ذلك بين الفينيقيين ، والروم<sup>(١)</sup> والوندال ، والعرب .

### ديانة البربر :

كانت ديانتهم قبل الإسلام المجوسية ، وكانوا في بعض الأحيان يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم ، فإن الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون

( ١ ) جاء الروم إلى إفريقية مرتين : مرة قبل الوندال ، ومرة بعدهم .

عليهم مثل حمير أبي القبائل اليمنية ، وإفريقيش بن صيفى من التبابعة ، والفينيقيين وغيرهم ، فكان البربر في عهود هؤلاء المتغلبين يدينون بدينهم . وبعد ظهور المسيحية<sup>(١)</sup> وفي حوالى سنة ٥٧٦ م نجح البيزنطيون في قلب عقيدة الكثير منهم ، وأصبحوا مسيحيين .

ويظهر أن حكم هؤلاء المتغلبين كان قاصراً على الأمصار . قال ابن خلدون : وكان للبربر وراء هذه الأمصار المهوبة الحامية ما شاء الله من قوة وعدة وعدد ، وملوك ورؤساء ، وأقبال وأمراء ، لا يرامون بئذ . ولا يناههم الروم والإفرنج في ضواحيهم تلك بمسخطة الإساءة ا هـ .

وقد أصبحهم الإسلام وحكام السواحل كلهم من الفرنجة ، وهم المستولون على مدن الساحل الإفريقي كلها .

وكان حكام ساحل إفريقية يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية وكان المقوقس صاحب مصر والإسكندرية وبرقة يؤدى الجباية له أيضاً . وكذلك صاحب لبة وطرابلس ، وصبراتة وصقلية .

وقد أخذ البربر دين المسيحية قبل الإسلام عن الروم لأنهم كانوا مغلوبين لهم .

وكان الفرنجة هم الذين يلون أمر إفريقية ، ولم يكن للروم فيها شيء من ولاية ، وإنما كانوا جنداً للفرنجة وأعواناً ، ومن حشودهم . وما جاء في كتب فتح إفريقية من ذكر الروم فن باب التغليب ، لأن العرب قبل فتح إفريقية لم يقاتلوا الفرنجة ، وإنما قاتلوا الروم في الشام ، وعرفوهم فأطلقوا هذا اللفظ على فرنجة إفريقية<sup>(٢)</sup> .

وكان هرقل الرومى ملك النصرانية كلها لا فرق بين الرومى والفرنجى ، فظن العرب أن الروم هم الغالبون على أمم النصرانية فغلبوا اسمهم عليهم ، ودرجت أخبار فتوحات العرب على ذلك . فجرجير صاحب سببلة الذى قتل

(١) أول ما ظهرت المسيحية في أوروبا كانت في إيطاليا زمن قسطنطين الأكبر حوالى

سنة ٣٣٠ م .

(٢) من ابن خلدون .

في الفتح من الفرنجة . وكذلك الأمة التي كانت غالبية على البربر بإفريقية ونازلة مدنها وحصونها كانت من الفرنجة .

وكان جيش جرجير خليطاً من الفرنجة والروم والبربر .

وكلمة فرنجة يقصد منها الفرنسيين . . قال ابن خلدون : هذه الأمة المعروفة بالإفريقية ، وتسميها العامة بالإفرنسيس نسبة إلى بلاد من أمهات أعمالهم تسمى فرانسة ، ما بين جزيرة الأندلس ومضيق قسنطينة ، أخذوا بدين النصرانية من الروم ، واستفحل ملكهم عند تراجع ملك الروم ، وأجازوا البحر إلى إفريقية مع الروم فلكوها ونزلوا أمصارها العظيمة مثل سببلة ، وجلولاء ، وقرطاجنة وغيرها من الأمصار ، وغلبوا من كان بها من البربر حتى اتبعوهم على دينهم . . وجاء الفتح العربي فانتزع من أيديهم سائر أمصار إفريقية وإقريطش ( جزيرة كريد ) ومالطة وصقلية . واجتاز العرب خليج طنجة ، وغلبوا القوط والحلالقة ، والبشكنس ، وملكوا الأندلس ، وخرجوا منها إلى بسائط هؤلاء الفرنجة ، فدوخوها ، فلم تزل في نفوسهم من ذلك ضغائن ، وكانوا يطمعون في إرجاع ما غلبوا عليه . وكانت الحروب الصليبية نتيجة لهذه الرغبة . وكان النصر الذي أحرزه صلاح الدين الأيوبي ثأراً لما أصاب المسلمين من هؤلاء الفرنجة . اهـ ملاحظاً من ابن خلدون .

وقد دلت آثارهم ومدنهم الصحراوية القديمة على أنهم كانوا يميلون إلى إنشاء عواصمهم حول الجبال وما وراءها إلى الجنوب خوفاً من غزو أمم الشمال التي كانت تسكن جنوبي أوربا على الساحل الشمالي للبحر الأبيض .

قال ابن خلدون : كان البربر قبل الإسلام أهل قوة وكثرة في إفريقية والمغرب . وكانوا يعطون الطاعة للفرنجة الذين كانوا يملكون الضواحي كلها . وعلى البربر مناصرة الفرنجة كلما احتاجوا إليهم . ولما دخل المسلمون إفريقية ناصروا جرجير عليهم . ولما قتل المسلمون جرجير تشتت شملهم وتعددت

رياستهم . . وكان كسيلة من أقوى رجالاتهم وأشدهم فالتفتوا حوله . وهو من قبيلة أوربة البربرية ا هـ .

ونقل ابن خلدون عن ابن أبي زيد أن البربر ارتدوا بإفريقية ثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة ، وزحفوا في كلها على المسلمين ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير . ولما جاز إلى الأندلس أخذ معه بعضاً من رجالاتهم ليجاهدوا معه واستقروا هناك ، فاستقر الإسلام بالمغرب ، وأذعن البربر لحكمه ، ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة . ثم سرت فيهم دعوة الخارجية ممن قدموا من العراق ، ووجدت من عامتهم صفاء فاعتنقوها وتعددت طوائفهم فيها وتشعبت طرقها إلى أن رسخت فيهم ، وتطاوت نفوسهم إلى الفتك بالعرب فقتلوا يزيد بن مسلم سنة ١٠٢ هـ .

### هواره :

ومن أشهر قبائلهم في طرابلس قبيلة هواره . وهي بطن من البرانس تنسب إلى هوارين أو ريخ بن برنس جد البرانس . ومن بطون هواره غريان ، وورفل ، وسرارة وسلاتة ، ومجريس .. ( وسلاته ، وغريان ، ومجريس أبناء هوار ) .

وكانت مواطنهم زمن الفتح حول طرابلس إلى ما يقارب سرت . وإلى قصر ميمون من ناحية الجنوب . . وما زال وادي ميمون معروفاً إلى الآن في أراضي ورفلة ، وبه آثار قصور ما زالت موجودة إلى الآن . . وكانوا ظواعن وأهلين . ومنهم من رحل إلى بلاد السودان ، وما زالوا يقال لهم هكار ، قلبت العجمة واوها كافاً أعجمية تخرج بين الكاف والقاف العربيين . وكان لهواره ذكر في الردة ، وكانوا متعصبين للخوارج ، ثم اعتنقوا مذهب الإباضية واستقروا عليه . . ثم غلبتهم العرب على أمرهم ، وتوزعتهم فيمن توزعوا للخدمة ، ويملكوهم تملك العبيد للجباية منهم . . قال ابن خلدون : ثم جرت عليهم الدول

أذيالها ، وأناخت عليهم بكلاكلها ، ومنهم أوزاع في مصر متفرقون ، أوطنوها  
أكرة وشاوية (١) .

### نفوسة :

ومن أشهر قبائلهم في طرابلس قبيلة نفوسة . وهي من البرابر البتر ، تنسب  
إلى نفوس بن زحيك بن مادغيس ، وهو ما دغيس الأبتري جده البرابر البتر .  
وكانت من أكبر قبائل البربر . ومن بطونها بنو زهور ، وبنو مكسورة ،  
وماطوسة . وكانت بطونهم بجهات طرابلس وما إليها — وما زالت جماعات منهم  
كثيرة تسكن الجبل المعروف بهم إلى الآن ( جبل نفوسة ) وكانت مدينة  
صبرة ( صبراتة ) في مواطنهم وتنسب إليهم .

### لواتة :

ومن أشهر قبائلهم لواتة . وكانت زمن الفتح العربي تسكن برقة . وهي من  
أكبر بطون البربر البتر ينسبون إلى لُو الأصغر ، ابن لُو الأكبر ، ولو الأصغر  
هو نفزاو . والبربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والتاء فقالوا لُووات ،  
فلما عربته العرب حملوه على الأفراد وألحقوا به الهاء (٢) .

### زواغة :

ومن قبائلهم زواغة ، وهم من البرابر البتر ، وهم أوزاع في القبائل ، ومنهم  
جماعة بنواحي طرابلس . ومدينة زواغة ما زالت تعرف بهذا الاسم ، وهي غربي  
صبراتة بنحو عشرة كم . وقد خربت ولم يبق منها إلا أطلالها . ويسكن تلك  
الجهة الآن جماعات من العرب .

(١) الأكرة : الذين يؤجرون أنفسهم للخدمة . والشاوية : الرعاة .

(٢) من ابن خلدون .



## لماية :

ومن قبائلهم لسماية ، وهي من البرابر البتر . وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط .  
ولما انتشر مذهب الإباضية في إفريقية . أخذوا به . . ولماية البلد المعروفة في  
طرابلس بين زنور والزاوية مسماة باسمهم ، لأن جماعة منهم كانت تسكنها .

## الفينيقيون

أمة عربية قديمة من الأصل السامي ، اشتهرت منذ القدم بالتجارة والأسفار  
البحرية . وكانت مواطنهم فلسطين وسواحل الشام . ومن أشهر مدنهم صيدا ،  
وصور ، وطرابلس الشام ، وبيروت . وكانوا يترددون على الشمال الإفريقي  
منذ القرن الثاني عشر ق م . وأنشأوا على ساحله محطات تجارية كثيرة لنقل  
بضائعهم منها إلى الأسواق التي تروج فيها . وكانت عنايتهم بالتجارة والصناعة  
في الدرجة الأولى من شئون حياتهم . ولا يبعد أن يكونوا هم الذين جاءوا بزراعة  
الزيتون إلى إفريقية (١) .

ولما مات ملكهم معطجين (٢) ترك بنته عليصار وولده بيجماليون ،  
وكانت رغبته أن يشتركا في الملك بعده ، ولكن الأهالي ولوا عليهم بيجماليون ،  
وتركوا عليصار وكانت تسمى « ديدو » ، وكانت متزوجة من « طيخاربعل »  
رئيس حزب الأشراف ، فقتله أخوها « بيجماليون » بعد مدة من توليه الملك ،  
فاستاءت ديدو من عمل أخيها ، فثارت عليه لتخلعه من الملك ، ولكنه تغلب  
عليها فركبت البحر هاربة ، وأخذت معها جماعة من أكابر قومها حتى وصلت  
الشمال الإفريقي ، فسميت « ديدو الهاربة » .

(١) . خلاصة تاريخ تونس .

(٢) يقال إن هذا هو الملك الذي قال الله فيه « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » .

## قرطاجنة :

ولما وصلت ديدو الشمال الإفريقي نزلت إلى البر ، واشترت من البربر قطعة أرض ، وبنت عليها مدينة « قرطاجنة » ( سنة ٨٤٠ ق م ) . ومعناها المدينة الجديدة . وهي من أعظم المدن التي عرفت في الشمال الإفريقي . . وتطلق قرطاجنة على ثلاث مدن : قرطاجنة إفريقية وهي أعظمها ، وقرطاجنة الجزيرة الخضراء بالأندلس عند جبل طارق ، وقرطاجنة الخلفاء بكورة تدمير بالأندلس .

## نظام الحكم فيها :

وكان نظام حكمها زمن القرطاجنيين أشبه بالجمهوري ، وكان يدير شؤون الحكم مجلس مكون من مائة عضو من الأعيان والتجار . وكان لهم رئيسان ينتخبان في كل سنة ، وديانهم الوثنية ، وأكبر آلهتهم « بعل » .

ولما استقر ملك القينقيين في شمالي إفريقية ، وقوى سلطانهم فيها أخذوا يفكرون في توسيع نفوذهم طمعاً في الاستيلاء على البلاد كلها . . وفي سنة ( ٤٨٠ ق م ) صاروا يغيرون على القبائل البربرية التي كانت تسكن السواحل حتى أخضعوها لسلطانهم ، وشمل نفوذهم من حدود برقة الشرقية إلى بحر الظلمات كما شمل ساحل أوربا الجنوبي إلى جبل طارق الذي كان يسمى إذ ذاك أعمدة هرقل .

( ١ ) وقيل بنيت سنة ٨٨٠ ق م . وذكر بعض المؤرخين أنها بنيت في عهد بعام ملك يهوذا سنة ٨٤٦ ق م . . .

## الروم

من الأمم التي سكنت الشمال الإفريقي الروم . وقد جاء في كتاب « المسالك والممالك » : أول ما دخل البربر إفريقية ملأوا سهولها وجبالها ، واضطر أهلها — وكانوا من الروم — إلى الجلاء إلى صقلية . . وهذا يفيد أن الروم وجدوا في الشمال الإفريقي قبل البربر . ولا يستبعد هذا لقربهم من الشمال الإفريقي ، وإذا صح هذا فهو في تاريخ غير معلوم البداية ولا النهاية ، لأن تاريخ وجود البربر في إفريقية غير معلوم البداية . . وإذا كان التاريخ لم يعين لنا في هذا الدور زمن وجود الروم في إفريقية ، فقد عينه لنا في عودتهم على أثر تغلبهم على القرطاجنيين . وذلك أن القرطاجنيين لما ملكوا إيطاليا الجنوبية أساءوا معاملة أهلها واستبدوا بهم ، فلم يطيقوا صبراً على هذا الاستبداد فحاربوهم ، ودامت الحرب بينهم أكثر من مائة سنة فقد وقعت بين الروم والقرطاجنيين ثلاث حروب<sup>(١)</sup> في المدة ما بين سنة ٢٦٤ إلى سنة ١٤٦ ق م .

الحرب الأولى ابتدأت من سنة ٢٦٤ ، وانتهت سنة ٢٤١ ق م . انهزم فيها الجيش الرومي بإفريقية . . وانهزم فيها الجيش القرطاجني بصقلية .

الحرب الثانية ابتدأت سنة ٢١٨ ، وانتهت سنة ٢٠٢ ق م . انتصر فيها « حنبعل » القائد القرطاجني بإيطاليا في واقعة « كان<sup>(٢)</sup> » ، وقتل فيها من الروم ما يربو على سبعين ألفاً . وكانت سنة ٢١٦ ق م . وكان حنبعل من أكبر قواد القرطاجنيين ، وكاد يقضي في هذه المعركة على روما لولا تقاعس دولته عن إمداده بالمال والجنود لخلاف كان بينه وبين بعض الرؤساء . . . وانتصر عليه الروم في واقعة « جامة<sup>(٣)</sup> » سنة ٢٠٢ ق م . ففر إلى الشام ومات بأنطاكية .

( ١ ) تقسيم هذه الحروب منقولة من خلاصة تاريخ تونس للعلامة حسن حسني عبد الوهاب التونسي .

( ٢ ) بلدة غربي إيطاليا كانت تابعة لها . والآن تابعة لفرنسا وتقع في جنوبيها

( ٣ ) قرية قرب مدينة الكاف غربي المملكة التونسية ، ويسمى الروم زاما

الحرب الثالثة ابتدأت سنة ١٤٩ وانتهت سنة ١٤٦ ق م ، ورجحت فيها كفة الروم على القرطاجنيين ، واستمات القرطاجنيون في الدفاع عن عاصمتهم ، وانتهز البربر فرصة رجحان كفة الروم فانضموا إليهم بزعامة ماكسن البربري ، وكان ذلك نتيجة لما قاسوه من ظلم القرطاجنيين واستبدادهم بهم . . وكانت هذه الحرب القاضية على القرطاجنيين ، فملك الروم قرطاجنة ، وخربوها وأحرقوها بالنار ، وأصبحت أثراً بعد عين ، وكان ذلك سنة ١٤٦ ق م . . وزال ملك قرطاجنة من الوجود بعد أن دام نحو سبعمائة سنة . واستولى الروم على جميع البلدان التي كانت تابعة لقرطاجنة ومن ضمنها طرابلس . . وهذا أول عهد الروم بالشمال الإفريقي فيما حدد التاريخ زمنه .

### الوندال

هم من الأصل الجرمانى « الألمان » ، زحفوا في القرن الرابع الميلادى على إسبانيا فاحتلوها وأقاموا بها دولة عظيمة ، وكانوا يسكنون فيما وراء جبل طارق الذى كان يسمى إذ ذاك « أعمدة هرقل » .

وسبب احتلالهم قرطاجنة أن ملك روما كانت تنوب عنه في حكم إفريقية امرأة يقال لها « إبلاليديا » ومقر حكمها قرطاجنة ، وكان « بونيفاس » أحد ولاة الروم على إفريقية يطعن عليها ويهزأ بحكمها ، ولم تطق صبراً على معاكسته إياها . وفي سنة ٤٢٩ م <sup>(١)</sup> أرادت أن تنتقم منه ، فشق عصا الطاعة على روما سنة ٤٢٧ م ، والتجأ إلى الوندال في إسبانيا واستنجد عليها بملكهم « جنسريك » ، فلبى طلبه ، واجتاز من إسبانيا إلى المغرب ، واحتل مدن إفريقية الواحدة بعد الأخرى إلى أن احتل قرطاجنة سنة ٤٣٥ م <sup>(٢)</sup> ، وقضى على ملك روما في إفريقية <sup>(٣)</sup> ، وجعل قرطاجنة عاصمة لمملكته الجديدة ، وأصبح الشمال الإفريقي

(١) وقيل سنة ٤٢٧ .

(٢) وقيل سنة ٤٣٩ م .

(٣) وفي أيام حكمهم الأول أيام قسطنطين الأكبر سنة ٣٣٠ انتشرت الديانة المسيحية في أوروبا وما اتصل بها .

كله ممتلكات وندالية بعد أن كانت رومية . وأحسن الوندال معاملة البربر فكانوا عوناً لهم على غيرهم .

واستفحل أمر « الوندان » فاحتلوا روما سنة ٤٥٥ م . وأطلقوا أيدي الجند فيها ١٥ يوماً فهبوا كل ما فيها من دخائر نفيسة . وعبثوا بالنظام الرومي في إفريقيا حتى قضوا على آثاره فيها .

وبعد أن مات « جنسريك » ملك الوندال سنة ٤٧٧ م تولى بعده ابنه « هنريق » ، وكان قاسياً على الكاثوليك . وفي سنة ٤٨٣ م قبض على خمسة آلاف من رهبانهم ، وشردهم في الصحراء ، واغتصب أموالهم وكنائسهم . وفي سنة ٥٢٣ م تولى على الوندال « هلدريق » ، وكان ضعيف الإرادة ، منحل العزيمة ، فخلعه وولوا مكانه « جليمير » .

### الروم مرة ثانية :

ولما خلع « هلدريق » استنجد بيوستنيان قيصر القسطنطينية لاسترجاع ملكه وكانت فرصة اغتتمها يوستنيان لطرده الوندال من إفريقيا وإرجاعها إلى ملك روما ، فأجده وأعلن الحرب على الوندال . وهاجم بيبليسا ريوخس القائد الرومي قرطاجنة سنة ٥٣٤ م ، وأسر ملك الوندال « جليمير » واسترد جميع البلاد التي كانت تابعة للوندال إلى مملكة بيزنطة « القسطنطينية » وزالت دولة الوندال من إفريقية بعد أن ملكتها نحو مائة سنة . وأسس الروم على أطلال قرطاجنة الفينيقية قرطاجنة رومية ، وتأنقوا في عمارتها وحضارتها ما شاء لهم الفن والعلم . وقد جلبوا إليها الماء من عين زغوان جنوبي تونس بنحو تسعين كم في ساقية بنيت على قناطر وحنايا وسدود ، أتقن صنعها على شكل هندسي في غاية القوة والإتقان ، يعلون بالمنخفض حتى يصل إلى المستوى المطلوب ، وينزلون بالمرتفع إلى حيث المستوى المطلوب .

وقد عنى الروم بتعمير إفريقية فجلبوا الماء إلى قرطاجنة وحفروا الآبار والصحاريج والمآجل وادخروا فيها ماء المطر للانتفاع به في الصيف ، وأسسوا

فيها مدناً كثيرة ، وحسنوا مواصلاتها فأنشأوا طرقاً كثيرة ، ومنها طريق كان يصل بين طرابلس وعنابة ببلاد الجزائر ويمر بأكثر مدن الساحل .

وقد بلغ عدد سكان إفريقية في هذا العهد أربعة ملايين من النفوس ، وكان عدد سكان قرطاجنة وحدها لا يقل عن خمسين ألفاً .

وقد عنوا بفن النحت فكان لهم السبق في صنع التماثيل الحجرية ، يدل على هذا ما كشف عليه الحفر في مدينتي لبدية وسبراتة ، ومنها ما زال ماثلاً إلى اليوم في كرزة .

ومع طول الزمن وتعاقب السنين اندمج بربر السواحل في الروم بسنة تقليده الضعيف للقوى ، واستحسان المغلوب ما عليه الغالب من عادات وتقاليده ، ونسى بعضهم قوميتهم وعاداتهم ، وأصبحوا روما في كل مقومات الحياة حتى زالت الفوارق بينهم وبين الروم . وبهذا الاندماج أمكنهم أن يتولوا أكبر المناصب في الدولة ، فإن سبتيم سيفاروس - وهو بربري الأصل - انتخبه الجناء إمبراطوراً لعرش الروم سنة ١٩٣ م ، ومات محارباً بإنجلترا سنة ٢١١ م وخلفه ابنه .

وكان هذا الاندماج في بربر السواحل وما قاربها ، أما البربر الذين يسكنون الجبال وما وراءها فقد احتفظوا بقوميتهم وعاداتهم ، ولم يتأثروا بعادات الروم ، ولذلك نراهم كثيراً ما قاوموا الروم وحاولوا إجلاءهم عن وطنهم ، ولم يتركوا فرصة للثورة إلا ثاروا عليهم للتخلص من حكمهم . وفي القرن السابع الميلادي تقلص نفوذ الروم من دواخل ليبيا وانحصر في السواحل .

وفي كل مرة احتلت فيها قرطاجنة كان السبب المباشر في التغلب عليها هو اختلاف الرؤساء ، وجور الحاكمين ، وتدمير السكان من الذل الذي كانوا يلاقونه من الطبقة الحاكمة .

وكانت طرابلس دائماً تابعة لقرطاجنة ، ومحط أساطيل الدول التي تغلبت عليها في هذه الحقبة الطويلة والأزمان البعيدة ، وكانت قبل الفتح الإسلامي

عامرة بالأشجار والبساتين والمزارع ، وصهاريج المياه ، والسدود التي في مجارى الأنهار لحبس المياه للانتفاع بها في الصيف ، والفساقي ، والآبار المحفورة في الأرض ، والمآجل ، وما زالت آثار هذا العمران موجودة إلى الآن .

وبقيت إفريقية تحت ملوك الروم بالقسطنطينية إلى أن فتحها العرب سنة ٦٤٧ م فأجلوهم عنها . . ولأجل هذا ترى الطليان يقولون إن طرابلس بلدنا ، ولقد كذبوا على التاريخ وخالفوا الحقيقة ، فإن بلادهم الأصلية هي روما وما حولها من بلاد شمال البحر الأبيض المتوسط . وإنما جاءوا إلى طرابلس فاتحين وأخذوها بالقوة من الفينيقيين والوندال ، كما أخذها منهم العرب في الفتح الإسلامي بالقوة .

وكان من أهم أسباب انهيار الدولة الرومية هو ما سرى فيها من أنواع الترف والانحلال الخلقي والاختلافات الطائفية . وهذه العوامل ما فشت في أمة إلا أدال الله منها ، وأزالتها من الوجود ، واستبدل بها أمة صالحة للبقاء ، وقد كانت هذه الأمة هي الأمة العربية والحمد لله .

## فتح برقة (١)

كانت برقة قبل الفتح الإسلامي تابعة للإسكندرية تحت حكم دولة الروم الشرقية ، كما كانت جميع البلاد الإفريقية تابعة لهذه الدولة . وما كاد العرب ينتهون من فتح مصر والإسكندرية حتى اتجهت أنظارهم نحو إفريقية لفتحها ، وتخليص سكانها من ظلم الروم وجبروتهم . وكان فتح مصر والإسكندرية مشجعاً على فتح إفريقية لما وجدوه فيها من ثروة تمكنهم من جعلها قاعدة لغزو إفريقية إتماماً لسلسلة فتوحاتهم الموفقة ، ولاستئصال نفوذ الروم من إفريقية .

وكانت أخبار فتح العرب في مصر والإسكندرية قد انتشرت في كل البلاد المجاورة لهما . وقد اشتملت هذه الأخبار على ما أبداه العرب من شجاعة في مقاتلة العدو ، وعلى ما أظهره من عدالة في أحكامهم ، ومساواة بين الناس في الحقوق ، واحترام معابد المسيحيين واليهود وأملاكهم وأعراضهم ، فكانت هذه الأخبار - من حيث شجاعة العرب وإقدامهم - مرهبة لسكان برقة ، ومثبطة لعزائمهم ، ومن حيث عدالتهم وحسن معاملتهم مطمئنة لنفوسهم ، وباعثاً لرغبتهم في التخلص من حكم الروم الذين سلبوهم نعمة الحرية واتخذوا منهم عبيداً ، ومن برقة مزرعة يعملون فيها ليوفروا لهم رغد العيش ومتع الحياة . وهم محرومون من كل شيء حتى مما يشبع بطونهم ويغطي أجسامهم ، حتى اضطر الكثيرون منهم إلى احتراف اللصوصية لكسب لقمة العيش

\* \* \*

انتهى عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية في النصف الأخير من

(١) برقة : بفتح الباء والقاف غير مضافة . وهذا هو الفتح الأول في إفريقية .



سبتمبر سنة ٦٤٢ م (١) الموافق لذي القعدة سنة ٥٢١ هـ ، وسار بجيشه إلى برقة لفتحها ، فلم يحاربه أهلها ، وآثروا أن يدخلوا تحت حكم الإسلام ويتمتعوا بما فيه من حرية وعدالة - على حرب لا قدرة لهم عليها ، وطلبوا من عمرو الصلح فصالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار فرعونى يدفعونها إليه جزية في كل سنة ، فكانوا يرسلونها إليه بدون أن يحوجوه إلى جابى خراج يرسله إليهم .

وجاء في رواية هذا الصلح : « على أن يبيعوا من أولادهم في جزيتهم » .

ويضمهم من هذه العبارة أن عمراً شرط عليهم ذلك في حالة العجز عن الدفع . . وهذا أمر غير مألوف عند العرب في فتوحاتهم . ولم يؤثر عن عمرو ولا غيره من قادة العرب أنهم شرطوا على المصالحين بيع أولادهم في دفع الجزية . ويظهر أن البربر هم الذين اشترطوا على أنفسهم توكيداً للالتزام الوفاء ولو أدى ذلك إلى بيع أولادهم . وإلى هذا الرأي ذهب صاحب « فتح العرب للمغرب » : وذكر أن مثل هذا الالتزام كان متعارفاً في تلك العصور فقد نقل عن المستشرق « ديل روى » : « أن أهل كورسيكة كانوا يبيعون أبناءهم ليستطيعوا دفع الضرائب للحكومة البيزنطية » . ويظهر من هذا أن بيع الأولاد كان أمراً عادياً حتى سهل على البربر أن يشترطوه على أنفسهم لعمرو وكتب في الوثيقة على أنه التزام منهم لا شرط عليهم . وهذا هو ما يتفق مع ما اعتاده العرب في فتوحاتهم كلها .

والذى يتفق مع المنطق المعقول أن الذى يهيم العرب إنما هو دفع الجزية . أما الطرق التى يتوصل بها المصالحون إلى تحصيلها فهى موكولة إليهم .

وتم فتح برقة سنة ٥٢١ هـ . وفى بعض الروايات أن برقة فتحت سنة ٥٢٢ هـ . وقد يكون هذا التاريخ أقرب إلى الصحة لأنه من المعقول أن يبقى عمرو فى

(١) فتحت الإسكندرية عنوة . وجاء فى كتاب عمرو يصفها إلى عمر بن الخطاب قوله : « إن فيها أربعة آلاف قصر ، وأربعة آلاف حمام ، وأربعمائة ملهى ، وأربعين ألف يهودى يؤدون الخراج » . فرد عليه عمر بأن يمنع النهب ، ويحفظ غناها لبيت المال ونشر الإسلام ، ( الوافى فى المسألة الشرقية ) .

الإسكندرية بعد التغلب عليها حتى تستقر الأمور ويأمن الثرة . وإذا قدرنا أن المسافة بين الإسكندرية وبرقة لا تقل عن عشرين يوماً على أقل تقدير اتضح لنا أن المدة الباقية من شهرى ذى القعدة وذى الحجة لا تكفى لاستقرار الأمور فى الإسكندرية، لذلك يبدو أن القول بفتحها سنة ٢٢ هـ أقرب إلى الصحة .

وكانت « برقة قبل الفتح الإسلامى تسمى « أنطابلس » وهى كلمة رومية معناها بالعربية « خمس مدن » وهذه المدن هى : « طوشيرا » ، وسميت فيما بعد « أوسينولى » . واسمها عند العرب الآن طوكرة . . و « سيرين » . أو قورين . واسمها الآن قرنة . أو شحات . . « وردبرنيق » . وقد بنيت على بعض أنقاضها بنى غازى . . « وأبولونيا » : واسمها الآن سدوسة . . « وبارش » ، وسميت فيما بعد أبطوليمائيس : واسمها الآن المرج . . . وهى مدن قديمة أسسها اليونان فى أزمان مختلفة كانت موجودة قبل الفتح الإسلامى، وكان لها شأن فى التاريخ القديم ، وما زالت معروفة إلى الآن ، وقد أدخل العرب على بعض الأسماء شيئاً من التغيير ليسهل عليهم النطق بها .

وقد خرب العرب أسوار هذه المدن لأغراض حربية وهى الخوف من ارتداد أهلها ومحاربة العرب من وراء الأسوار . ولهذا الغرض نفسه رأينا فى هذا العصر الحديث أن الفرنجة كلما احتلوا بلداً من بلاد العرب ، فأول ما يضعون أيديهم على الحصون وعلى المواقع الحربية ، وكل ما يمكن التحصن به من هجومهم ، ووضعوا فيه من الجند والمدافع ما يمكنهم من صد أى هجوم عربى : وإذا كان المستعمرون الآن عندهم من الجيوش ما يمكن توزيعه على القلاع والحصون ، ومع ذلك فأول ما يبادرون بالاستيلاء على الحصون ومواقع الدفاع ، فإن العرب لم تكن جيوشهم فى بادئ الأمر من الكثرة بحيث تمكنهم من هذا ، لذلك كانوا يضطرون إلى هدم أسوار المدن التى كانوا يفتحونها ، ثم يتركونها ويذهبون إلى غيرها .

وفكرة هدم أسوار المدن المحتلة وحصونها فكرة حربية قديمة يعتبرها الغزاة

من أقوى أسلحة الهجوم ، كما أن إقامة الحصون والأسوار يعتبرها المدافعون من أقوى أسلحة الدفاع . وما زالت هذه الفكرة متبعة الآن في عصر الذرة والطائرات .

وفي هذا الدور من فتوحات العرب لم يتخذوا عاصمة في برقة ، بل ولا في غيرها . وفي القرن الثامن م بنوا مدينة المرج وجعلوها عاصمة برقة ، وما زالت إلى الآن عاصمة الجبل الأخضر ، وهي تقع في الجنوب الشرقي من مدينة بنى غازى بنحو مائة كم . وكان من عادات العرب أنهم يبنون عواصم البلاد التي يفتحونها بعيدة عن البحر خوفاً من غزو الفرنجة ، وأيضاً لأنها تكون أقرب لأهل النجعة منهم إلى مراعى حيواناتهم ومنابت زروعهم .

وأطلق العرب كلمة القيروان على فورين . ومن أجل هذا رأينا الطليان كثيراً ما يطلقون كلمة قيروان على هذه الناحية ، كما أطلقوا كلمة برقة على ما يشمل قصور حسان في سرت . وقد استقرت الأمور على أن يكون الحد الفاصل بين برقة وطرابلس هو المقطاع أو عين الكبريت حيث بنى الطليان قوساً هناك وجعلوه حداً فاصلاً بين طرابلس وبرقة<sup>(١)</sup> .

وعاصمة برقة الآن بنى غازى ، وقد بنيت على جزء من مدينة برنيق القديمة . ومن أشهر مدن برقة - بعد بنى غازى - درنة ، وهي مدينة على الطراز العربى ، بنيت على مكان مدينة درنيس القديمة . وكانت غير مسورة ، وبعد الاحتلال الإيطالى أحاطوها بسور من الناحية الغربية .

ويشقه نهر يجرى ماؤه دائماً من الجنوب إلى الشمال ويبتدىء جريانه من وادى الضحاك بقرب الظهر الأحمر وكلما انحدر إلى الشمال أضيفت إليه عيون أخرى إلى أن يمر بعين منصور قرب المدينة ، وهي من أكبر العيون التي تمد هذا النهر .

(١) بنى هذا القوس سنة ١٩٢٩ ، ويبلغ ارتفاعه ٣٣ متراً .

ويوزع ماؤه على بساتين وبيوت المدينة ، وما من بيت إلا وبه بستان يحتوى على كثير من أشجار الفاكهة من البرتقال والعنب ، ويضرب المثل برمانها وموزها في الجودة . . وأكثر سكان المدينة من أصول طرابلسية هاجروا إليها من طرابلس ، وما زالوا ينتسبون إلى أسرهم الطرابلسية : مصراتة ، وورفلة ، وتاجورة وغيرها .

وقد اشتهرت أراضي برقة بالخصب منذ القدم ، وإذا قلر لها من الأيدي العاملة ما يكفى لإصلاحها فستكون مصدراً للثروة لا ينضب .

## فتح زويلة

زويلة مدينة من مدن فزان القديمة ، وتقع في الجنوب الشرقي من مرزق بنحو ١٥٠ كم ، وتبعد عن مدينة طرابلس إلى الجنوب الشرقي بنحو ٧٧٠ كم ، ويعبر عنها بعض المؤرخين بزويلة السودان احترازاً عن زويلة إفريقية التي بناها عبيد الله المهدي بقرب تونس . . وكانت زمن الفتح الإسلامي عاصمة فزان بدل مرزق . . وسميت زويلة بعد الفتح الإسلامي بلد الأشراف ، كما سميت زويلة بنى خطاب ؛ لأن بنى خطاب البرابرة أقاموا فيها ، وأسسوا فيها حكومة ، وسيأتي الكلام عليها . وبقرب زويلة من الجهة الشرقية كثير من قبور الشهداء الذين استشهدوا في فتحها . ويسمونها السكان قبور الصحابة .

ولما كان عمرو بن العاص في برقة ، وقبل أن يتوجه إلى طرابلس ، أرسل إليها جيشاً من المسلمين بقيادة عقبة بن نافع ، فسار في الجنوب الغربي حتى وصلها وتم فتحها على يديه سنة ٢٢ هـ ، وفرض على أهلها ٣٠٠ رأس من العبيد . قال في ( المسالك والممالك ) : « إنها ليست بجزية ولا خراج » .

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة يخبره بأنه قد ولي عقبة بن نافع المغرب ، فبلغ زويلة ، وأن ما بين زويلة وبرقة أصبح سلباً ، وقد حسنت طاعتهم ، وأدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدتهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينها وبين برقة ما رأى أنهم يطيقونه وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها في الفقراء ويأخذوا الجزية من أهل الذمة فتحمل إليه بمصر ، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر أو نصف العشر<sup>(٢)</sup> ، ون أهل الصلح ما صالحهم عليه .

(١) بفتح الزاى وكسر الواو .

(٢) الزرع الذي يسق بالآلات وفي سقيه مشقة زكاته نصف العشر ، والزرع الذي يسق بالمطر ، أو بما لا مشقة فيه فزكاته العشر .

وليس في جواب عمرو ما يدعو إلى الشك الذي وقع فيه صاحب « فتح العرب للمغرب » لأن عمراً كان عنده من الوقت ما يمكنه من تطبيق نظام الزكاة في برقة ، وبعد فتح زويلة أصبح ما بينها وبين برقة سلماً . وفرض عليهم عقبة ما يطبقونه وهو ثلاثمائة رأس من العبيد . وقد طبق في كل بلد ما يتفق مع وضعها مما جاء في كتاب عمرو ، فلا داعي للشك ، ولا يوجد ما يمنع الحقيقة .

سار عمرو إلى طرابلس على طريق الساحل ، وهو آمن أن يؤتى من الجنوب لوجود عقبة في الجنوب ، كما آمن عقبة أن يؤتى من الخلف أو الشمال لوجود عمرو في الشمال . وقد خلف كل منهما برقة ، وقد عقدوا معها الصلح وأصبحوا معها في أمان . وهي خطة حربية حكيمة دلت على مهارة عمرو وعلمه بقيادة الحروب .

ويظهر أن عقبة لم يمر في طريقه إلى زويلة ببلاد ودان ، لأنه سيأتي أن عمراً أرسل إلى ودان بسُـرِّين أبي أرطاة لفتحها . . إذاً فمن المحقق أن عقبة أغدق في السير إلى زويلة وخلف بلاد ودان عن يمينه ، وأن عمراً لم يأمره بفتحها حتى اضطر عمرو إلى أن يرسل إليها بعثاً آخر وهو يحاصر طرابلس لثلاث تكون شوكة في ظهره ، ولثلاث تقطع الطريق على عقبة إذا رجع من فتح زويلة . وسار عمرو إلى طرابلس ، وفي طريقه إليها مر بسُـرِّت ففتحها .

## مدينة سرت

سرت بضم السين مدينة قديمة تقع على الخليج المسمى بها الآن (١). وهي تبعد عن البحر إلى الجنوب بنحو ٤ كم. وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بنحو ٥٥٤ كم ، وكانت محاطة بسور من التراب. وهي غير سرت المعروفة الآن ؛ لأن سرت هذه أنشئت في العهد التركي سنة ١٣٠٣ هـ .

وقد ذكر العياشي في رحلته ما يقرب من تحديد مكانها فقال :

مررنا بالزعفران ، وهو أحساء (٢) على ساحل البحر ماؤها عذب ، وإلى جنوبيه كثبان من الرمل الأحمر تظهر من بعيد ، ومن وراء الكثبان من ناحية البر قصور سرت وهي ثلاثة قصور يخزن فيها العرب ما ثقل حمله . ١ هـ .

والمفهوم من كلام العياشي أنها تسامت الزعفران من الجنوب . والزعفران ما زال معروفاً إلى الآن سنة ١٣٨٣ ، ورحلة العياشي كانت سنة ١٠٧٢ وعاد منها سنة ١٠٧٣ .

وتسمى الآن قرارة الأقواس . وقد طرأ عليها هذا الاسم بعد أن خربت وبقيت أكواماً من التراب والحجارة ولأنها كانت بها أقواس قائمة ، ومن أجل ذلك سميت قرارة الأقواس . وما زال الطاعنون في السن من سكان تلك الناحية يعرفون أنها سرت القديمة . وما زالت بها أكوام من الحجارة والتراب تدل

( ١ ) يبتدئ امتداد خليج سرت من مدينة مصراته ، إلى الجنوب حتى بويرات الحسون . ثم يتجه شرقاً إلى العقيلة على مسافة ٥٨٥ كم من مصراته ثم يتقوس إلى الشمال حتى مدينة بني غازي ، مسافة ٢٨٥ كم ومدينة بني غازي في الشرق تقابلها مدينة مصراته في الغرب ، ويقع خليج سرت جنوبي الخط الاعتباري الذي يصل بين المدينتين .

( ٢ ) الأحساء : جمع حسي ، وهو بئر قليلة الغور يتجمع فيها الماء بطريق الرشع من جوف الأرض ، وتوجد في الأراضي الرملية وخصوصاً على ساحل البحر .

على بقايا قصورها الثلاثة التي ذكرها العياشي في رحلته . وفي حوالي ٣٠٠ سنة أصبحت أثراً بعد عين . وفي زمن العياشي كان للعرب فيها ثروة وصبولة ونفوذ . ونقل في حقائق الأخبار عن البكري أن سكان مدينة سرت ( القدمات ) ، كانت لهم رطانة يتفاهمون بها ، ليست بعربية ولا قبطية ، ولا بربرية ، ولا عجمية . ٥١ . ولا يستبعد أن تكون هذه اللهجة سودانية سرت إليهم من السودان لكثرة الاتصال بهم بسبب التجارة .



## فتح مدينة سرت

مر بها عمرو في طريقه إلى طرابلس ففتحها ، ولم يجد عناء في فتحها ، ولم يذكر أحد أنها فتحت عنوة أو صلحاً ، مما يدل على أنها لم تكن ذات خطر ، فاكتمى منها المسلمون بالاستسلام ، وساروا في طريقهم إلى طرابلس ، ومروا في طريقهم إليها ببلدة .

### لبدة (١)

كانت منطقة لبدة موطناً لجماعات بشرية في عصور ما قبل التاريخ كما تدل على ذلك بغض حجارة وجدت على ضفاف وادي الرملة ، وقد أسس بها الفينيقيون المراكز الأولى للبلدة وصبراتة .

ولبدة مدينة عظيمة من مدن الشمال الإفريقي الكبرى ، أسسها الفينيقيون في أوائل القرن العاشر ق م . عند بداية استعمارهم إفريقية . وهذا التاريخ يقرب من تاريخ إنشاء قرطاجنة . وكانت معروفة عند القرطاجنيين باسم « لبكى » ، وقد حرفها اليونانيون إلى « لبشس » . وبقيت هذه الكلمة مستعملة إلى القرن الثالث ق م . ثم حرفت في اللغة اليونانية من « لبشس » إلى « لبتس » بسهولة النطق في اللغة اليونانية بكلمة « لبتس » عن « لبشس » . . . وبما أن « لبتس » اسم لمدينة في « بيزاشينا »<sup>(٢)</sup> خافوا أن يحصل التباس بين المدينتين ، فأضافوا إلى لبتس الإفريقية كلمة « مانيا » ، فصارت « لبتس مانيا » ومعناها لبدة العظيمة ، أو لبدة الكبيرة .

(١) ملخص ما ترجمه ابننا الأستاذ أحمد الطيب البشتي من دائرة المعارف الإيطالية .

(٢) لعلها من البلاد اليونانية .

وقد استطاع الفينيقيون أن يعمروا البلاد بسرعة نظراً لخصوبة أرضها ، واعتدال مناخها وصلاحيته للسكنى ، ولأن لها ميناء مأموناً وصالحاً للملاحة ولوقوعها على نهر عين كعام<sup>(١)</sup> ، الذي يقع شرقها بقليل . . ومما زاد في سرعة عمرانها العلاقات الطيبة التي نشأت بين السكان والفينيقيين نتيجة لحسن معاملتهم لهم<sup>(٢)</sup> .

وذكر هيرودوت واقعة كبيرة وقعت عند مصب « شنبس » وادى عين كعام . ويستنبط بعض المؤرخين أن هذه الواقعة كان لها أثر سيئ في تأخر لبلدة وتدهور حضارتها . . وقد اعترها الانحطاط في أواخر القرن السادس ق م وفي هذا الوقت حاولت عصابة من اليونان برياسة الأسبرطي ديور أن تنشئ مستعمرة عند مصب نهر « شنبس » نهر عين كعام ، منتهزة فرصة ما اعترى لبلدة من التأخر والانحطاط ، وقد تم لها ما أرادت .

وكانت تقصد إلى أن تحل محل الفينيقيين في هذه المنطقة . ولكن القرطاجنيين خافوا تسرب نفوذ اليونان غربى سرت فلم يلبثوا أن هاجموا وخرّبوا مستعمرتها وطردوها هي ومن معها ، ولم يمكنوها من الرجوع مرة أخرى . واستولوا على لبلدة وما حولها ، وأعادوا إليها ما فقدت من عمرانها وحضاراتها<sup>(٣)</sup> .

وتوطد ملك القرطاجنيين فيما بين السرت الكبير والسرت الصغير<sup>(٤)</sup> ، وأطلق على هذه المنطقة اسم « أمبوريا » ، وصارت جزءاً من أملاك الإمبراطورية القرطاجنية ، وبقيت لبلدة المركز الرئيسى للمنطقة فيما بين السرتين ، وتتمتع باستقلال داخلى . . وبقيت تحت حكم القرطاجنيين إلى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد .

(١) كان يسمى نهر « شنبس » .

(٢) لم نطلع على ما كان بينها وبين المدن الإفريقية من علاقات

(٣) يظهر أن اليونانيين جاءوا إلى لبلدة من برقة ، وقد ترتب على تغلب القرطاجنيين على اليونان أن أقيمت الحدود بين مملكة قرطاجنة واليونان في برقة .

(٤) السرت الكبير هو خليج قابس بتونس . والسرت الصغير هو خليج سدرة بليبيا .

وفي أوائل هذا القرن أصبحت تابعة للنوميديين في الفترة ما بين الحربين القرطاجنتين الثانية سنة ٢١٨ ، والثالثة سنة ١٤٩ . وكانت تبعيتها للنوميديين شكلية لأنها كانت مقصورة على دفع الجزية .

وفي سنة ١١١ ق م أرسلت وفداً إلى روما طالبة صداقتها والتحالف معها للتخلص من حكم النوميديين . وفي سنة ١٠٧ ق م . أمدتها روما بأربع كتائب من الجنود لمحاربة النوميديين . ويظهر أنها لم يمكنها التغلب عليهم ، وبقيت تحت سيادتهم الإسمية متمتعة باستقلالها الداخلي إلى أن احتلها الروم سنة ٤٢ ق م ، وانتهى حكم النوميديين .

وبدخولها تحت الروم صارت جزءاً من إفريقية . هذا بالنسبة للسواحل أما الدواخل فبقيت تحت سلطة حاكم من نوميديا حتى أوائل القرن الثالث م حيث أقيم خط دفاع ضد سكان الجنوب ، وسموه ليمس تريبوليتانوس .

وقد تعرضت لبلدة لغارات الجرمنيين فيما بين سنتي ٢٤ و ١٧ ق م ، واستعانوا بقبائل أخرى من الجنوب ، وذلك بسبب نزاع قام بينها وبين «أويا» طرابلس الآن بسبب اختطاف الماشية ، والتعدى على بعض الأشخاص ، فاستنجدت «أويا» ، طرابلس بالجرمنيين وبعض قبائل الجنوب ، فخفوا لنجدتها ، وهاجموا لبلدة فتغلبوا عليها ، وخرّبوا ضواحيها ، واضطر السكان إلى الاحتماء بأسوار المدينة حتى أدركهم «فاليريوفستو» بجيشه وطرد الجرمنيين ، وأعاد إلى المدينة طمأنينتها وما فقدته من أهمية كانت تتمتع بها كمحطة للقوافل . التي كانت تصل ساحل البحر الأبيض بالجنوب والسودان .

وفي سنة ١٤٦ م ظهر في لبلدة «ستيميو سيفير» وهو من إحدى الأسر الكريمة فيها ، فتولى عرشها ، فعنى بشؤونها ، ونشر فيها العلم والأمن ، وأمعن في مطاردة المعتدين عليها من قبائل الجنوب حتى أقصاهم عنها . وعنى برقيها الداخلي ، فوفر لها سبل الحياة الصالحة بما أنشأ فيها من وسائل العمران والتقدم . . وتقديراً لأعمال هذا الرجل المصلح واعترافاً بإخلاقه أطلق السكان على أنفسهم اسم الستيميين تيمناً باسم ستيميو ، واشتهروا بذلك .

وفي القرن الثالث الميلادي - زمن الإمبراطور سيفيروس سيبتيميوس ،  
من سنة ١٩٣ إلى ٢١١ م . وزمن ألكسندر سيفيروس<sup>(١)</sup> من سنة ٢٢٢  
إلى سنة ٢٣٥ م ، بلغت لبدة مبلغاً عظيماً في الحضارة والتقدم العمراني .  
وفي هذا العصر كان سكانها خليطاً من القرطاجنيين والروم واليونان والليبيين ،  
وبلغ عددهم ثمانين ألفاً . وكانت أوبا « طرابلس » في هذا العهد لم تبلغ  
شأواً يمكنها من مزاحمة لبدة في النفوذ والسلطان .

وفي القرن الرابع أصدر دقيانوس أمره بإعطاء أوبا لقب ولاية . وكانت  
لبدة لها الصدارة ، فأخذت أوبا تزاحمها في صدارتها ومكانتها .

وفيما بين سنتي ٣٦٣ ، ٣٦٦ من القرن الرابع م اعتدى الاستريانيون على  
ولاية لبدة فألحقوا بها أضراراً بالغة<sup>(٢)</sup> ، وخصوصاً بالمدينة حتى ساءت أحوالها  
وأخذت في الانحطاط حتى طمع فيها لوندال .

وفي سنة ٤٥٥ م احتلها الوندال<sup>(٣)</sup> ، ولكنهم لم يعنوا بها وتركوها للقوضى ،  
وامتدت إليها يد النهب والسلب من القبائل البربرية المقيمة في المدينة وحوطها ،  
وأكبرها قبيلة لواتة<sup>(٤)</sup> . وفي هذه الفترة أصيبت بفيضان كبير من وادي عين  
كعام فحطم الجسور والأسوار ، وكان له أسوأ الأثر في شل الأيدي العاملة ،  
وتسرب اليأس إلى النفوس من القدرة على الإصلاح . فأهمل شأنها ، وزحفت  
الرمال عليها ، ودبت روح التمرد في القبائل القاطنة حولها . ولم تأت سنة ٥٣٣ م

---

(١) ولد في طرابلس ، وعنى برق المدن الثلاث ، فكانت تأتيها القوافل المشحونة بالعاج  
والذهب ، وخشب الأبانوس ، وریش النعام والعييد . وكانت هذه البضائع تصدر من موانئ المدن  
الثلاث إلى أسواق روما وجنوبي أوربا . وكان زيتونها خير ما ينتج في حوض البحر الأبيض المتوسط .  
(٢) وفي بعض الكتب أن قبيلة بربرية خربت سنة ٣٧٠ م ، وهذا يوافق زمن احتلال الروم  
الأول لقرطاجنة

(٣) يلاحظ أن الوندال احتلوا قرطاجنة سنة ٤٣٥ م . وجاء في كتاب جوزيف كاكيا  
عن طرابلس : أن الوندال احتلوا قرطاجنة سنة ٤٢٩ م ، وهذا يخالف ما نقلناه عن دائرة المعارف  
الإيطالية . واحتلوا صقلية سنة ٤٤٠ م ، وروما سنة ٤٥٥ م ، ومالطة سنة ٤٥٦ م .  
(٤) كان الوندال ولواتة كل منهما يناصر الآخر .

حتى حولت هذه القبائل الفوضوية المدينة إلى خراب ، وطمع البيزنطيون في احتلالها .

وفي سنة ٥٣٣ م احتل البيزنطيون لبة . وكان احتلالهم لها بداية عهد جديد لعمرانها واسترداد بعض ما فقدت من حضارتها واتخذت مقراً للحاكم العسكري . وقد أصلح جوستينيان كثيراً مما امتدت إليه أيدي الفساد في العهد الذي قبله . وأدخل عليها الروم من فنون العمارة والزخرفة ما زاد في ضخامتها وجمالها . يشهد بذلك ما اكتشف من آثارها الجميلة زمن الاحتلال الإيطالي من سنة ١٩١١ إلى أواخر سنة ١٩٤٢ .

ولكن اللواتيين دأبوا على الثورة والتخريب ، ولم يخضعوا لما أقيم في لبة من حكم وانتهى الأمر بانسحاب حاكم البلد « سيرجو » منها . وبعد جوستينيان أخذت البلاد في الانحطاط ، والسير إلى الخراب بخطى واسعة .

وفي سنة ٦٤٣ م وصلت إليها طلائع العرب الأولى لفتح الإسلامى ، فلم تجد في لبة من العمران إلا بقايا من قصورها العظيمة ودورها الفخمة ، وإلا بقايا من السكان خليطاً من أجناس متعددة يعيشون فيما بقى من خرائب دورها وقصورها . وقد مر بهم العرب الفاتحون في ذهابهم وإيابهم ، فلم يكن لهم معهم شأن ، نتيجة لما هم فيه من ضعف واستكانة ، وفقر مدقع . وقد أتت الكاهنة على ما بقى فيها قابلاً للإصلاح ، كما أتت على عمران غيرها من مدن إفريقية .

وتقع لبة شرقى مدينة طرابلس بنحو تسعين كم ، وقد أكل البحر جزءاً كبيراً منها . وبنيت مدينة الخمس في أوائل القرن التاسع عشر على جزء منها وبأنقاضها .

ولما بنى مراد أغا جامعته الذى بتاجورة نقل إليه منها أعمدة الرخام التى أقامه عليها . وكثيراً ما نقلت منها أعمدة الرخام للجوامع .

## فتح لبدة

مر بها المسلمون فوجدوها خراباً مهدامة ، وحواليها قليل من السكان خليطاً من البربر والروم ، ولم ينقل أحد من المؤرخين أنهم وجدوا فيها أى مقاومة . وواصلوا سيرهم إلى طرابلس .

وكانت في قديمها على جانب كبير من العظمة العمرانية والأبهة المدنية . وقد كشف الحفر فيها عن آثار في غاية الروعة وجمال الفن . . وقد وضع ما أمكن نقله في متحف خاص هناك . . أما بقايا القصور الضخمة ، وأعمدة الرخام وغيرها مما لا يمكن نقله فما زالت في أمكنتها ماثلة للعيان تسترعى النظر وتبهر العقول .

ولم ينته الحفر فيها إلى غايته . وكثير من روائع فنها ما زال مدفوناً .

## طرابلس الغرب

نبذة من تاريخها القديم

طرابلس مدينة قديمة فينيقية على أرجح الأقوال ، أو قرطاجنية .

وفي حوالي سنة ٧٩٥ ق م ، شمل النفوذ القرطاجنى ما بين خليج قابس وخليج سرت ، وأسسوا موانى صبراتة ، وأويا ، ولبتس مانيا ، وربطت هذه المنطقة مع إفريقية بطرق القوافل ، ومع قرطاجنة بطريق ساحلى يبلغ طوله ٥١٢ ميلا .

والثابت أنها أنشئت بعد صبراتة ولبدة ، ولم يعين أحد زمن إنشائها وكانت أقل منهما أهمية ، وكانت تسمى «أويا» (١) .

وفى بين سنتى ٢٤ ، ١٧ ق م حصلت فتنة بين لبدة «وأويا» طرابلس بسبب نهب بعض الماشية ، فأرسلت لبدة رسلا إلى «أويا» ، طرابلس للتفاهم وإزالة الخلاف ، فاعتدوا عليهم ، وازدادت الفتنة حتى انقلبت إلى حرب بين الطرفين .

وكان البحرمنتيون إذ ذاك يسكنون فزان ، وكان لسكان أويا صلة بهم فاستنجدت أويا بالبحرمنتيين وبعض سكان الجنوب على لبدة ، فأنجدوها وهاجموا لبدة فتغلبوا عليها ، ونحروا ضواحيها ، والتجأ السكان إلى المدينة ،

(١) ذكر بعض المؤرخين أن اسمها «أوايات» ويظهر أنه اسم بربرى حرطه الروم إلى «أوا» ، وأن أوا كانت مدينة قديمة ، فخربت وبنيت على أنقاضها مدينة طرابلس الآن .  
وذكرت فى دائرة المعارف الإيطالية باسم «أويا» فكتبتناها كما جاءت فيها . . . وذكر فى بعض المصادر أن اسمها «أناس» ولا أعلم مبلغ صحته .

فدافع عنها « فاليريوفيستو » وطرد الجرمنتين (١) .

وفي أوائل القرن الثالث الميلادي أقيم خط دفاعي ضد الهجوم من قبائل الجنوب وسمى هذا الخط « ليمس تريبوليتانوس » ، ومنذ ذلك الحين أطلق اسم « تريبوليتانوس » على المنطقة الواقعة بين السرتين : السرت الكبير وهو خليج قابس ، والسرت الصغير وهو خليج سرت . .

وكلمة « تريبوليتانوس » تفيد معنى « إقليم المدن الثلاث » ، وهي لبلدة ، وطرابلس ، وصبراتة . . ومع طول الزمن وكثرة الاستعمال اختصرت إلى تريبولي ، ومعناها أيضاً المدن الثلاث ، لأن كلمة « تري » معناها ثلاثة ، وكلمة « بولي » معناها مدينة .

وما يدل على أن كلمة تريبولي تشمل الإقليم كله أن الطليان بعد احتلالهم طرابلس سنة ١٩١١ ، كانوا يسمون كل مدينة باسمها ، فيقولون لبنتس ، وصبراتة ، وأويا .

وكانت أويا في منتصف القرن الثالث الميلادي مركزاً دينياً مسيحياً .  
وفي العهد الرومي ، وقبل عهد دقيانوس كان نظام الحكم في المنطقة الواقعة بين السرتين أن يكون فيها نائب للملك ، وحارس على أموال الإمبراطورية .  
وفي القرن الرابع الميلادي أصدر دقيانوس أمره بإعطاء « أويا » طرابلس ، لقب ولاية وأصبحت عاصمة المنطقة كلها . ومن ذلك الحين أخذت تتراحم

---

(١) الجرمنتيون : سكان جربا عاصمة فزان إذ ذاك ، وما زالت آثارها موجودة ( انظر فزان ) . وقد أطلقت دائرة المعارف الإيطالية على الجرمنتيين كلمة بربر ، ولا ندري هل هم من البربر حقيقة ، لأن البربر كانوا موجودين في إفريقية إذ ذاك ، أو لأنهم كانوا يطلقون كلمة بربر على القبائل الحمجية فأطلقت عليهم لهمجيتهم .

ويلاحظ أن الصلة بين طرابلس وفزان كانت موجودة من قبل الميلاد ، وقد تطورت هذه الصلة مع الزمن حتى أصبحت فزان تابعة لطرابلس . واستمرت هذه التبعية زمناً طويلاً قبل العهد التركي ، وطول العهد التركي ، وأيام الاحتلال الإيطالي . وهذا مما يدحض أكاذيب الفرنسيين من أن فزان تعتبر امتداداً للقطر التونسي فهي تابعة لتونس . وهذا كذب على التاريخ ، وإخفاء للحقيقة لإشباع الرغبة الاستعمارية التي أنست المستعمرين كل صفات الإنسانية التي تميزهم عن البهائم ووحوش الصحراء .



لبدة فيما كان لها من الصدارة ، وما كانت تمتاز به من الأهمية التجارية والعمرائية . وقد شجع « أويا » طرابلس ، على هذه المزاحمة ما أحاط بلبدة من ظروف التأخر والانحطاط بسبب ثورات بربر لواتة وأنصارهم .

وفي زمن دقيانوس كان لهذه المنطقة حكومة إقليمية مستقلة لها حاكم مدني وحاكم عسكري .

\* \* \*

ذكرنا فيما تقدم أن الفينيقيين هم أول من أسس مدينة طرابلس في زمن غير معين ، إلا أنهم لم يحيطوها بسور . ولما احتل الروم الشمال الإفريقي ، وتولى أسفاروس قيصر ( أحد قياصرة الروم ) أحاطها بسور من الشرق ، والغرب والجنوب<sup>(١)</sup> . . . وعلى الرغم من أنها إحدى المدن الثلاث التي أطلق عليها الروم كلمة تريبولي فإنها لم يكن لها من أبهة المدن وعظمتها ما كان للبدة ، وصبراتة ، لا في الاتساع ، ولا في ضخامة البناء ، ولا في الزخرفة والفن المعماري . وكانت في زمن قرطاجنة مشمولة بنفوذها دائماً ، وكل دولة تستولى على قرطاجنة تستولى على طرابلس .

وكانت طرابلس زمن الفتح الإسلامي تابعة لدولة الروم بالقسطنطينية التي كانت تسمى بيزنطية<sup>(٢)</sup> ، وكانت ولاية واحدة مع برقة تابعة لمصر . . . ويقول بعض المؤرخين إنها كانت تابعة لجرجير حاكم سيطة . ولكن مؤرخاً واحداً من اطلعت على كتبهم لم يذكر أن جرجير حاول الدفاع عنها من غزو العرب بأي وسيلة ، بل ولا عن صبراتة وشروس . وانتهى عمرو بن العاص من فتح منطقة تريبولي كلها ، وجرجير قابض في سيطة لم يحرك ساكناً وهذا يدل على أنها لم تكن تابعة له ، وإنما كانت تابعة لنفوذ مصر كما قدمنا .

(١) أكمله هرثمة بن أعين من الشمال سنة ١٧٩ هـ .

(٢) انقسمت دولة الروم سنة ٣٩٥ م إلى قسمين : غربية وعاصمتها روما ، وشرقية وعاصمتها

بيزنطة ( القسطنطينية ) .

وفي زمن الفتح الإسلامي كان أكثر سكان المدينة الروم الذين نسميهم الآن الطليان ، أما خارج السور إلى فزان فكان يسكنه قبيلة هواة ، وغيرها من قبائل البربر ، وتسكن نفوسة الجبل ، وتسكن لواتة برقة وسرت مما جعلهم يغيرون على لينة .

## فتح طرابلس

لما انتهى عمرو من فتح برقة سار في طريقه إلى أن وصل طرابلس ، ولما وصلها ، قال ابن عبد الحكم : نزل على القبة التي على الشرف من شرفها . ولا شك أن ابن عبد الحكم يقصد قبة الشيخ عبد الله الشعاب المعروفة الآن ، لأن الشيخ الشعاب توفي سنة ٢٤٣ هـ . وابن عبد الحكم ألف كتابه في النصف الأول من القرن الثالث ، وتوفي سنة ٢٥٧ بعد وفاة الشيخ الشعاب بأربع عشرة سنة ، فمن المعقول أنه روى عن أخبره بوجود القبة في مكان مرتفع كما هو الواقع ، فنقل هذه الرواية الصحيحة كما هو مشهور عنه في دقة النقل .

ولما حاصرها المسلمون امتنع أهلها عن التسليم ، وتحصنوا داخل السور . ويقول صاحب البيان المغرب : إن سكانها استنجدوا بسكان جبل نفوسة ، لأنهم اعتنقوا النصرانية تبعاً للروم الذين كانوا يحكمونهم . ولو صح هذا الاستنجد لوجد العرب مقاومة من قبيلة نفوسة التي جاءت من الجبل لنجدة من بداخل السور ، ولكن واحداً من المؤرخين لم يذكر أن العرب وجدوا أي مقاومة خارج السور ، مما يبعث الشك في هذه الرواية . ولعل جماعة من بربر نفوسة كانوا داخل السور وقت حصار المدينة ، فاعتبرهم بعض المؤرخين نجدة .

وقد كان سور طرابلس من المناعة بحيث لم يقدر المسلمون أن يتسوروه ، كما لم يقدرُوا أن يقتحموا أبوابه .

وكان السور يحيط بالمدينة من جهة الشرق ، والغرب ، والجنوب ، ولم تكن مسورة من الشمال بينها وبين البحر .

وبقي المسلمون على حصارها نحو شهر لا يقدرُون منها على شيء ، وكانت رسلهم تغدو وتروح حول السور عليهم يجدون فجوة توصلهم إلى داخل المدينة

فلم يجدوا . . . وفي ذات صباح ذهب سبعة من المسلمين للاستكشاف ، أو للصيد كما يقول ابن عبد الحكم ، وكانوا مسلحين بسيوفهم ورماحهم ، وساروا حتى وصلوا إلى جهة السور الغربية الشمالية فوجدوا السور غير متصل بالبحر لأنها لم تكن مسورة من الناحية الشمالية كما ذكرنا ، وقد يكون البحر في حالة جزر مما زاد في اتساع الطريق بين نهاية السور والبحر ، ورأوا من الممكن الوصول إلى داخل المدينة من هذه الفجوة ، فدخلوها من فورهم من ناحية الكنيسة القديمة ، وهو مكان مرتفع يقع في الشمال الغربي من المدينة ، وقد أعمالوا سيوفهم في رقاب الروم ، وعلت أصواتهم بالتهليل والتكبير<sup>(١)</sup> ، وسمع عمرو وبقية المسلمين تكبير إخوانهم داخل السور فأسرعوا إليهم ، وتكاثروا المسلمون ، وعلت سيوفهم رقاب الروم فذهلوا وذعروا فلم يسعهم إلا الفرار ، وتدافعوا في الطرقات المؤدية إلى السفن التي كانت راسية على شاطئ المدينة ناجين بأنفسهم إلى عرض البحر ، واستولى المسلمون على المدينة وغنموا كل ما فيها ، وكانت غنائم كثيرة ، باعها عمرو وفرق ثمنها على المسلمين .

ولم يبد الروم أى مقاومة لا خارج السور ولا داخله . وقد أصابهم من الخوف والذعر - حينما اقتحم العرب عليهم المدينة - ما دل على انهيار قواهم وعدم استعدادهم للحرب ، وعلى أنهم كانوا في حالة ضعف وانحلال لا تقل عن الحال التي كان عليها أهل برقة ، نتيجة لاضطهاد البيزنطيين ، وفساد حكمهم وقسوتهم في جباية الأموال حتى أصبحوا في حال فقر مدقع .

وقد استغرب صاحب « فتح العرب للمغرب » كيف يمكن لهذا النفر القليل من المسلمين أن يقتحموا مدينة على أهلها ، وقال إنها اشتهت على من رواها بقصة فتح بابليون في مصر .

ومن رأى أن القصة لا غرابة فيها ، ولا تستدعى الطعن في روايتها . فقد ذكر ابن عبد الحكم أنه « خرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر

(١) كان المسلمون إذا اختلطوا بالعدو وقت الحرب هللا وكبروا : أى قالوا الله أكبر ، يقصدون إرهاب العدو بهذه الكلمة المقدسة .

عمرو متصيداً في سبعة نفر» ، وذكر قصة لا تخرج عما ذكرنا . وأكثر المؤرخين ذكر القصة بدون لفظ المدبلي . وذكر بعضهم أن المدبلي ومن معه لم يدخلوا المدينة وحدهم بل ندبوا معهم جماعة . وهذا ينفي ما تخيله المؤلف من الغرابة وقد أجمعوا على أن العرب دخلوا المدينة من غير أبوابها ولم يذكروا كيف دخلوها إلا ابن عبد الحكم والذين تابعوه على رواية القصة بذكر المدبلي أو بدونه . والذي يعرف طبيعة الأرض من الناحية التي دخل منها العرب ، ومن الناحية التي كان يعسكر فيها جيشهم ، وبعد مساقفها على السور لا يستغرب ذلك ، فإن الجهة التي دخل منها العرب تؤدي إلى مرتفع من الأرض يقرب من ارتفاع السور إذ ذلك وهو يقع بجوار كنيسة قديمة ، وما زال مرتفعاً إلى الآن . والعرب كانوا يعسكرون على مرتفع من الأرض خارج السور يقرب من ارتفاع السور على مسافة منه لا تزيد على كيلومتر تقريباً ، يضاف إلى هذا ما استولى على نفوس الروم من الخوف والفرع ، وما يشعرون به من الضعف وعدم القدرة على المقاومة ، فبمجرد أن اقتحم العرب المدينة ، وصعدوا إلى المكان المرتفع الذي أشرنا إليه ، وعلت أصوات النصر من العرب ، وأصوات الخوف من الروم سمعهم من كانوا خارج السور ، فأسرعوا إليهم ، وطبيعة الأرض إذذاك لاتنفي سماع الصوت وقد لاتنفي الرؤية أيضاً . ولو اطلع صاحب « فتح العرب للمغرب » على طبيعة الأرض لما وجد في الأمر غرابة ، ولعلم أن هناك فرقاً كبيراً بين سور طرابلس إذ ذلك وحصن بابلون ، وبين قوة الأقباط في مصر وقوة الروم في طرابلس . ولعل هذه الغرابة سرت إليه من تشككات المستشرقين فإنه كثيراً ما يروى عنهم في كتابه هذا .

ولما تم استيلاء العرب على المدينة أمنوا من بقي فيها ، وكفلوا لهم أموالهم ومنعوا التعدي على أعراضهم ومعابدهم وأنفسهم .

ولم يذكر أحد من المؤرخين أن الروم قاوموا العرب بالسيف حينما اقتحموا عليهم المدينة ، مما يدل على أنهم كانوا في حكم المستسلمين . . ويقال إن المسلمين بنوا فيها مسجداً ، وأن مسجد أحمد باشا بنى على أنقاضه .

وقبل أن يغادرها المسلمون هدموا سورها ، لأنهم يخافون من انتفاض الروم عليهم وتحصنهم بالسور ، خصوصاً وأن المسلمين كانوا قليلين بالنسبة للروم وأنصارهم ، وكان العرب حديثي عهد بالبلاد ، وكانت عاصمة المسلمين التي يأتيهم منها المدد بعيدة وهي إذ ذاك المدينة المنورة .  
وكل هذه مبررات لتخريب الحصون وهدم الأسوار . . وتم فتح طرابلس سنة ٢٢ هـ .

### صبراته (١)

مدينة قديمة ، تقع غربى مدينة طرابلس بنحو ٦٧ كم على ساحل البحر الأبيض المتوسط . . أنشأها الفينيقيون حوالى سنة ٩٠٠ أو ٨٠٠ ق م . وهي من أعظم المدن التي كانت في الشمال الافريقي . وكانت أكبر من طرابلس ، وأعظم منها عمراناً ومدنية ، وأروج تجارة . وكانت مركزاً من أهم المراكز التجارية الفينيقية في إفريقية لسهولة مينائها ، وارتباطها بالدواخل بواسطة الطرق التجارية وكانت تحت نفوذ قرطاجنة ،

وقد اتخذت لها موقفاً ودياً مع الروم في حروبهم مع القرطاجنيين . وكانت هي وأويا ولبدة إقليدماً واحداً هو إقليم طرابلس الآن ، وفي ذلك العهد كان يطلق عليه كلمة تريبولى ، إلا أنها كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الداخلى .

وفي بداية القرن الثانى الميلادى تحسن مركزها السياسى ، وأصبح لها حق سك النقود ، ونالت قسطاً كبيراً من الازدهار والتقدم . ولم يدم هذا الازدهار طويلاً .

(١) ملخص مما ترجمه لنا ابننا الأستاذ أحمد الطيب البشقى من دائرة المعارف الإيطالية . كان العرب يسمونها صبرة . قال فى الروض المطار : صبرة مدينة بناحية طرابلس افريقية .

وفي القرن الثالث الميلادي أدركتها الشيخوخة ودخلت في دور الانحطاط وفي القرن الرابع كثرت فيها الثورات الداخلية ، وامتدت أيدي الثوار إلى السلب والنهب ، وصارت بحالة من الضعف لفتت إليها أنظار الوندال فاحتلوها حوالي منتصف القرن الخامس م فدمروها . ثم احتلها البيزنطيون في القرن السادس الميلادي . وفي حوالي النصف منه أمكنهم أن يعيدوا إليها شيئاً من الرخاء والطمأنينة ، وأعادوا بناء أسوارها ولكن على محيط أصغر وأصلحوا كثيراً مما أفسده الوندال ، وأضافوا إليها من فن العمارة الشيء الكثير . وقد كشف الطليان عن بعض آثارها بعد أن احتلوا طرابلس سنة ١٩١١ ، فظهر فيها من آثار الفن وأبهة المدنية ما يبهر العقول .

وقد زرتها في نوفمبر سنة ١٩٥٠ وشاهدت ما كشف الحفر عنه من تماثيل آدمية<sup>(١)</sup> وحيوانية ما زالت في غاية الابداع والاتقان . ووجدت فيها مقادير كبيرة من الفسيفساء ما زالت محتفظة بنضارتها وألوانها الزاهية ، كما كشفت الحفر فيها عن ملهى ما زال محتفظاً بمدرجاته ومسرحه ، وغرفة المظلة عليه ، وفيه كثير من الأجزاء لا تحتاج إلى إصلاح .

وقد بنى الطليان مكاناً في وسط آثار المدينة التي ما تزال قائمة في كل مكان منها ووضعوا فيه ما عثروا عليه من صور وتماثيل آدمية وحيوانية ، وكل ما كان صالحاً للبقاء . ووضعوا فيه ما عثروا عليه من فسيفساء ، ونسقوها تنسيقاً فنياً رائعاً غاية في الجمال والروعة . وإنك لتجد تماثيل الإنسان منحوتاً من الرخام ما زال محتفظاً بجميع أجزائه حتى بتجعده شعره وطوايا ملابسه ، وحتى بمميزات الذكورة والأنوثة .

( ١ ) توجد مثل هذه التماثيل في كرزة - مكان في بادية أولاد أبي سيف ومن أملاكهم - ما زالت متأسكة الأجزاء ومحتفظة بمميزاتا . وتسميها العامة المساخيط ويعلمون ذلك بأنهم كانوا يعصون الله كثيراً فسخطهم ، يعنى بدل صورهم من آدمية إلى حجرية . . وكان البربر قبل الفتح الإسلامي يسكنون هذه الجهة . وبها صنم كانوا يقربون له القرابين ويتبركون به في أمواهم ، ويستشفون به من أمراضهم . انظر كتاب ( المغرب ) .

## فتح صبراتة

لا شك أن أخبار حصار العرب لطرابلس وصلت إلى صبراتة ، وليس من المعقول أن يتي العرب محاصرين لطرابلس نحو شهر ، ولا تصل أخبارهم إليها ، خصوصاً لما بينها وبين طرابلس من الروابط . . . ويظهر أنه لما طال حصار العرب لطرابلس ظن أهل صبراتة أنهم لا يقدرّون على فتحها ، فاستكانوا لهذا الظن وأمنوا . وإذا عجز العرب عن فتح طرابلس - في ظنهم - فهم عاجزون عن فتح صبراتة من باب أولى ، لأن سورها أقوى من سور طرابلس وسكانها أكثر من سكان طرابلس ، فلم يهتموا لأمر العرب كثيراً ، ولم يعملوا على وقاية مدينتهم من إغارة المسلمين . وبغير هذا التخمين لا يمكن أن يفسر كيف أخذوا على غرة ، وقد علموا بوصول العرب إلى طرابلس وحصارهم لها . وقد نقل ابن غلبون ما يؤيد هذا الرأي .

ولما انتهى عمرو من فتح طرابلس أمر الخيل بالاسراع بالمسير إلى صبراتة لفتحها ، وبقى هو في طرابلس للإشراف على أمورها وأسرعت الخيل في المسير برياسة عبد الله بن الزبير فصباحوها من ليلتهم على غرة . فوجدوا أبواب السور مفتوحة ، وأهلها مشغولين بإخراج الحيوانات للمرعى ، فاقتحموها عليهم بالقوة ، وأوقعوا فيهم القتل حتى استسلموا ولم يهرب منهم أحد كما وقع في طرابلس . ويقول التجاني : ولم ينج منها إلا من ركب البحر إلى صقلية ، وقد هدم سورها خوفاً من تحصن الروم به مرة ثانية ، واستولى المسلمون عليها ، وغنموا كل ما فيها ، وكان شيئاً كثيراً ، وأرسلوا إلى عمرو بن العاص في طرابلس يخبرونه بما فتح الله عليهم وبالنصر الجديد الذي أحرزوه على الروم ، فحضر إلى صبراتة . وبعد أن تم استيلائهم عليها رتبوا من أمورها ما أمكنهم ترتيبه . وقد خربوا سورها للأسباب التي ذكرناها آنفاً . ثم ارتحلوا عنها قاصدين مدينة شروس بجبل نفوسة .



ولم يتأثر مركزها التجاري بالفتح العربي ، فبقيت محتفظة به . وكانت تسمى بالسوق القديم إلى أن نقل عبد الرحمن بن حبيب السوق منها إلى طرابلس سنة ١٣١ هـ .

## زواغة

تقع مدينة زواغة غربى صبراتة بنحو عشرة كم ، وهى مدينة بربرية كانت تسكنها قبيلة زواغة البربرية . وهى غير موجودة الآن وليس فيها من الآثار ما يلفت النظر ، وما زالت تعرف إلى الآن بهذا الاسم . ولم يأت ذكر لمدينة زواغة فى الفتح الإسلامى لأنها كانت تابعة لمدينة صبراتة . ويظهر أن سكانها استسلموا حيناً وأوا محل بصبراتة .

## جبل نفوسة

هو سلسلة جبال صخرية تمتد من الغرب إلى الشرق ، وهو جزء من سلسلة جبال أطلس التى تبتدى من بحر الظلمات ، وتمر بمراكش ، والجزائر وتونس ، وطرابلس ، وتنتهى إلى جبال قُماطة ، وهى الهضاب التى تسمى « النقازة » غربى مدينة الخمس بقليل . وكان جبل نفوسة ، وما زال إلى الآن ، موطن البربر ، ومحل إقامتهم الدائمة ، وممتلكاتهم الخاصة .

وبعد أن استقر العرب فى إفريقية شاركوا البربر فى سكناه وأنشأوا فيه كثيراً من القرى الخاصة بهم . وتجد فى سفوحه الشمالية والجنوبية كثيراً من الأراضى الحصبة والمراعى الفسيحة .

وفيه عيون جارية : عين الترك فى غريان . وعين الرومية فى يفرن . وعين الرياينة ، وعين الرابطة . والعين الزرقاء . وعين أم القرب « ننااتالة » وهى

تختلف في اندفاع الماء منها قوة وضعفاً . وأكثرها نفعاً للزراعة عين الرابطة ،  
وعين الرومية في يفرن . وسمى جبل نفوسة باسم قبيلة نفوسة البربرية التي كانت  
وما زالت تسكنه ، وهي من أكبر قبائل البربر . ونفوسة بفتح أوله وضم الفاء  
مخففة .

### مدينة شروس

ويقال لها شروس - بمهملتين - وهي من أكبر عواصم البربر القديمة في  
جبل نفوسة التي كانت موجودة زمن الفتح . وما زالت خرائبها إلى اليوم . وكانت  
إحدى عاصمتي الجبل . وكانت تحتوى على نحو ٣٠٠ قرية . والعاصمة  
الأخرى هي جادو على ما نقله الحموي وغيره .

ولما انتهى العرب من فتح صبراتة ساروا إلى شروس لفتحها . وما زالوا بها حتى  
فتحوها ، وكان أهلها نصارى . ولا ندرى هل فتحت صلحاً أو عنوة لأننا لم  
نر أحداً ذكر ذلك ، ولم يشأ عمرو أن يتقدم إلى الغرب لقلعة القوة التي معه ،  
ولأنه يعلم أن مدناً كثيرة للروم والبربر ما زالت أمامه ، وأيضاً فإن عيونته أخبرته  
بكثرة تجمعات الروم والبربر في تلك المدن ، من أجل ذلك ، وتنفيذاً لما  
تقتضيه الخطط الحربية ، أراد أن يستأذن الخليفة عمر بن الخطاب في التقدم ،  
حتى إذا أذن له اتخذ من هذا الإذن وسيلة لطلب المدد ، فكتب إليه قبل  
أن يغادر شروس - وكان عمر في المدينة المنورة - يستأذنه في فتح إفريقية بعد  
أن فتح عليه أطرابلس وهذا نص كتابه :

« إن الله قد فتح علينا أطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ،  
فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل » .

فلم يوافق الخليفة على تقدم المسلمين في إفريقية . ورد عليه بكتاب هذا نصه :

« لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها  
أحد ما بقيت » .

ولما كان عمرو في مصر اتفق مع المقوقس أن يخبره بكل ما يحدث بعده في مصر . وبعد أن انتهى عمرو من فتح شروس وقبل أن يرتحل عنها أتاه كتاب من المقوقس في مصر يخبره فيه بأن الروم يريدون نكث العهد ، ونقض ما كان بينهم وبينه ، فعاد عمرو إلى مصر قبل مقتل عمر بن الخطاب الذي كان في ٢٧ من ذى الحجة سنة ٢٣ ، وترك عقبة في زويلة . ويقول صاحب فتح العرب للمغرب إن عمراً ترك عقبة في برقة . . وهذا يعين أن عقبة أتم فتح زويلة في سنة ٢٣ ووصل إلى برقة قبل مقتل عمر بن الخطاب .

ويظهر أن عمراً رجع هو وكل من معه من العرب ، لأنه لم يذكر أحد أن عمراً ترك من ينوب عنه في طرابلس ، أو في صبراتة ، أو في شروس ، كما لم يذكر أحد أن عقبة ترك من ينوب عنه من العرب في زويلة .

ويفهم من كتاب عمرو بن العاص أنه أول من سمي أطرابلس بهذا الاسم ، لأنه كتب كتابه على أثر الفتح وقبل أن يغادر شروس .

### حدود طرابلس

تقدم أن تريبوليتانوس التي اختصرت مع مرور الزمن وكثرة الاستعمال إلى تريبولي ، كانت تطلق على المنطقة التي تقع بين خليج سرت وخليج قابس . . أما بعد الفتح الإسلامي ، وبعد أن عرب العرب كلمة تريبولي إلى أطرابلس ، فكانت حدودها تمتد إلى ما وراء صفاقس غرباً كما حصل أيام طورغود باشا ، وإلى ما وراء سرت شرقاً كما حصل في زمن الفاطميين وغيرهم ، وتارة تنقص عن هذا ، وذلك تبع قوة النفوذ السياسي وضعفه .

وفي العهد التركي ، وحينما أدركت الشيخوخة دولة آل عثمان امتدت أيدي المستعمرين إلى ممتلكاتها ، فما لم يمكنهم الاستيلاء عليه اقتطعوا أطرافه وانتقصوا حدوده .

ولما احتل الفرنسيون تونس سنة ١٨٨١ توسعوا في حدودها الشرقية على حساب الأراضي الطرابلسية ، وحصل أخذ ورد بين الدولتين كاد ينقلب إلى نزاع . وقد اتفق الترك والفرنساويون سنة ١٩١٠ على إقامة الحدود في مكان غربي قصر بوكماش بنحو ١١ كم يقال له الغدير ، وما زال معروفاً بهذا الاسم . ونقله بعض الكتاب العرب عن اللغات الإفرنجية بلفظ أغادير ، وهو غلط ، ونصبت هناك أعمدة من البناء ، عند خط الطول ١١° ، ثم يصعد في الجنوب ماراً بوسط ذهبية غربي نالتوت ، ومنها إلى غربي غدامس ، ثم ينحرف إلى الغرب جنوبي الحدود التونسية إلى حدود الجزائر الشرقية ثم يستقيم في الجنوب ماراً غربي غات حتى ينتهي إلى حدود السودان في خط العرض ٢٣° وهو حدود ليبيا الجنوبية ، وتعتبر هذه الحدود حدوداً لليبيا كلها . أما الحد الليبي الشرقي فهو الحد الذي نص عليه اتفاق ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بين مصر وإيطاليا ، وهو يتدنى من بئر الرملة بقرب السلوم ماراً في اتجاهه إلى الجنوب ، شرق واحة الجغبوب بنحو ٣٠ كم إلى ملتقى الخط الخامس والعشرين من خطوط الطول بخط العرض التاسع والعشرين .

ويبلغ مجموع مساحة ليبيا كلها نحو مليون و ٦٤٠ كم مربعاً ويبلغ طول ساحلها نحو ١٨٠٠ كم . وتنتهي حدود طرابلس شرقاً إلى العقيلة بقرب عين الكبريت . . وقد بنى الطليان هناك قوساً<sup>(١)</sup> يعتبر الحد الفاصل بين برقة

(١) حصل نزاع فيما بين سنة ٣١٣ ، و ٣١٠ ق م بين اليونانيين في برقة ، والقرطاجنيين غربي خليج سرت على الحد الفاصل بين الأراضي اليونانية والأراضي القرطاجنية ، ثم اتفقوا على أن يمين كل من الطرفين عدائين من جانبه ، يقوم اليونانيون من مدينة قورين (قرنه) متجهين إلى الغرب ، ويقوم القرطاجنيون من مدينة قرطاجنة متجهين إلى الشرق وحيث يلتقى الفريقان تقام الحدود ، وقد التقوا في مكان القوس الذي بناه الطليان حداً فاصلاً بين برقة وطرابلس .

وقد اتهم اليونانيون القرطاجنيين بأنهم قاموا بالعدو قبل الموعد المتفق عليه ، واشترطوا لرضاهم بإقامة الحد حيث التقوا أن يدفن القرطاجنيون أنفسهم أحياء في مكان الالتقاء ، أو يتركوا يمدون إلى المكان الذي يريدونه ويدفنون أنفسهم فيه أحياء ويكون الحد الفاصل ، فرضى القرطاجنيون أن يدفنوا أنفسهم أحياء حيث التقوا باليونانيين ويكون الحد الفاصل ، فدفنوا أنفسهم أحياء في المنطقة التي أقيم فيها القوس الآن ، واعتبر هذا العمل منهم تصحية كبرى في سبيل إعزاز الوطن وتوسيع حدوده .

وطرابلس ، وقد تم بناء هذا القوس في أوائل سنة ١٩٢٩ ، ويبلغ ارتفاعه ٣٣ متراً ويمر الحد في مسامته العقيلة جنوباً إلى حدود السودان في خط العرض ٢٣° ، وهو حد ليبيا الجنوبي . . . ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط .

وهذا التحديد أقره الطليان بمقتضى الأمر الملكي الصادر في ١٢ يناير سنة ١٩١٣ ، وفي هذا التاريخ كانت طرابلس بحدودها المذكورة تحت إدارة واحدة . وفي أبريل سنة ١٩٣٧ قسمها الطليان إلى ثلاث مديريات : طرابلس ومصراتة ، وهون ، وتعتبر هون مركز المنطقة الجنوبية ، وتسمى المنطقة العسكرية ؛ وتشمل غات ، وفزان ، وغدامس ، ومايسامت غدامس شرقاً إلى حدود الجفرة الشرقية ( كان هذا التقسيم أيام الحكم الإيطالي ) .

ولما فتحها العرب عربوا كلمة تريبولي إلى أطرابلس ، وهو تعريب قريب من الأصل ، مع تحريف بسيط ، لأن كلمة تريبولي في اللغة الإيطالية القديمة كان يلحق بها السين في آخرها .

وأول مصدر عربي ذكرت فيه كلمة « أطرابلس » هو جواب عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب الذي ذكرناه آنفاً . ولكثرة الاستعمال تركت الهمزة وصار ينطق بها طرابلس بضم الباء واللام ، أو بضم الباء وسكون اللام .

وقد غلب إطلاق كلمة طرابلس منذ أوائل عهد العرب بإفريقية على المدينة المعروفة الآن ، وذلك بسبب ما أصاب لبدة من خراب قبل الفتح الإسلامي شمل جميع أجزائها ، وبما أصيبت به صبراتة أيضاً من انحطاط وتأخر آل إلى خراب شامل أيام حكم الكاهنة البربرية . . . وقد يطلق لفظ طرابلس ويراد به الاقليم كله إذا دلت القرينة على ذلك .

## ودان

مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبية . ويتبعها زلة ، وهون ، وسوكنة وما جاورها . ويطلق على الكل بلاد ودان . وكانت ودان زمن الفتح الإسلامي هي العاصمة . وكان عليها سور ، وقد تهدم ولم يبق منه الآن إلا آثاره . وقد امتد عمراتها خارج السور .

وتقع ودان وهون<sup>(١)</sup> وسوكنة على خط طوله نحو ستين كيلو متراً يبتدىء من الشرق بودان ، وينتهي من الغرب إلى سوكنة مع انحراف سوكنة إلى الجنوب قليلاً . . . وتقع زلة في الجنوب الشرقي من ودان بنحو ١٦٠ كم . . . وتقع ودان في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بنحو ٧٦٩ كم ، وإلى جنوبي سرت بنحو ٢٨٠ كم .

---

(١) هون . يظهر لي أنها سميت بهذا الاسم لوجود بني الهون فيها . وبنو الهون قبيلة عربية تنسب إلى الهون بن خزيمية بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ولاشك أن قبائل وأقباداً كثيرة من العرب دخلت إفريقية فلا يبعد أن يكون بنو الهون وجدوا في هذه الناحية فسميت باسمهم .

## فتح ودان

ولما كان عمرو بن العاص محاصراً مدينة طرابلس بعث إليها جيشاً بقيادة يسر بن أبي أرطاة<sup>(١)</sup> ، ففتحها سنة ٢٣ هـ ، وفرض على أهلها غرامة قدرها ٣٦٠ رأساً من الرقيق . وبعد أن غادرهم بسر ارتدوا وبقوا على ردتهم إلى أن فتحهم عقبة بن نافع سنة ٤٩ هـ .

يؤخذ مما تقدم أن البلاد الطرابلسية التي تم فتحها بقيادة عمرو بن العاص هي بلاد الساحل من برقة إلى صبراتة ، ومن بلاد الجنوب شروس ، وزويلة ، وودان ، وهون ، وسوكنة . واستغرقت أعمال الفتح فيها من سنة ٢١ إلى سنة ٢٣ هـ . وكل هذه البلاد فتحت عنوة ( بالحرب ) إلا برقة وزويلة فإنهما فتحتا صلحاً .

---

(١) وقيل بسر العامري . واسم أبي أرطاة عمير وكان بشر من المتحمسين لنصرة معاوية . حضر معركة صفين في عسكر الشام ضد علي بن أبي طالب . وحضر فتوح الشام . وقاد الجيوش في البر والبحر واشترك في فتح إفريقية . . وكان شجاعاً . وفيه كثير من قسوة البداوة . وقاد الحملة التي انتهت بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ، وكوفي عليها من معاوية بولاية البصرة . وقد أوقع بالبيت النبوة كثيراً من القتل والتشريد قال صاحب مروج الذهب : حتى خد لهم الأخاديد . وقتل والدي عبيد الله بن عباس وهما صغيران على يدي أمهما ، ففقدت عقلها ، وهامت على وجهها ، وقد دعا عليه على بأن يطيل الله عمره ويذهب عقله . فكان كذلك . ولم تصح له صحبة .

## الفتح الثاني

انتهى الدور الأول من فتح طرابلس . وبعد رجوع عمرو إلى مصر بقليل توفى عمر بن الخطاب يوم ٢٧ من ذي الحجة سنة ٢٣ ، وأسندت الخلافة بعده إلى عثمان غرة المحرم سنة ٢٤ الموافق ٧ من نوفمبر سنة ٦٤٤ م .

وكان حادث قتل عمر سبباً في شغل المسلمين بعض الوقت . ولم يطل الأمر بسكان طرابلس حتى نقضوا ما عاهدوا عليه عمراً ، وارتد عن الإسلام من كان أسلم منهم ، وانقطعت صلة العرب بطرابلس نحو خمس سنوات وتنوسيت أعمالهم فيها ، وأصبحت وكأن لم يدخلوها فاتحين .

وفي سنة ٢٥ ولي عثمان على مصر عبد الله بن أبي سرح - أخاه من الرضاع - وقد كان وجوده في مصر مدعاة للتفكير في شأن افريقية فأخذ يرسل إليها خيله غازية مستطلعة ليقف على ما فيها من قوة ، وعلى ما تركه فتح العرب في نفوس أهلها من أثر . فكانت هذه البعوث الغازية تغدو وتروح محملة بالغنائم من غير أن تلقى مقاومة تذكر . وكانت هذه البعوث من الكثرة بحيث عبر عنها بعض المؤرخين بكلمة ( جيش ) وذكر فيها عقبة بن نافع ، وأنها كانت سنة ٢٥ . ومن المرجح أن يكون فيها عقبة . لأنه بقي في برقة حينما رجع عمرو إلى مصر ، ولأنه تقدمت له خبرة ببرقة وبعض الجهات الجنوبية من طرابلس ، فكانت هذه البعوث لا تستغنى عن خبرته ، خصوصاً وهو في طريقها جيئة وذهوباً . وأنه ليخيل لقارئ أخبار هذه البعوث أنها غزوات مستقلة ، وما هي إلا للاستطلاع والاختبار . وكانت تأتي بأخبار مطمئنة ، ومشجعة على



التفكير في الاستعداد للفتح ثانية . . وقد أرسل ابن أبي سرح بأخبار هذه البعوث إلى عثمان بالمدينة مشفوعة برغبته في الإذن له بفتح إفريقية . فانشرحت نفس عثمان للأمر ، ولكنه أبي أن يعتزمه إلا بعد استشارة كبار الصحابة ، فاستشار علياً ، وطلحة ، والزبير ، والعباس ، فأشاروا كلهم بغزوها . فاعتزم عثمان الأمر ، وكتب إلى عبد الله بن أبي سرح بالموافقة . وتسامع الناس بما اعتزمه خليفة المسلمين فتوافدوا على المدينة من كل صوب ، واشترك في هذه الغزوة أكثر قبائل العرب الضاربة حول المدينة ، وانضم إليها جمع غفير من الصحابة وأبنائهم . فخرج عبد الله بن الزبير في جماعة من بني أسد بن عبد العزى . ومروان بن الحكم في جماعة من بني أمية . والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود في جماعة من بني زهرة . وعبد الرحمن بن أبي بكر في جماعة من قومه بني تيم<sup>(١)</sup> وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأخوه عاصم ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في جماعة من قومهم بني عدى . وعبد الله بن عمرو بن العاص في جماعة من قومه بني سهم . والسائب بن عامر ، وبسر بن أبي أرطاة في جماعة من قومهما بني عامر . وخرج من جهينة ستمائة ، ومن أسلم ثلاثمائة ومن مزينة ثمانمائة . ومن بني سليم أربعمائة وخمسون . . ومن بني الدليل وضمرة ، وغفار ، وعبد مناف خمسمائة . وخرج من غطفان وفزارة ، ومُرّ سبعمائة . ا هـ من طبقات علماء إفريقية .

ويقول النويرى : « إن عثمان أعان الجيش بألف بعير من ماله ، وحمل على خيل ، وفرق السلاح ، وأمر للناس بأعطياتهم ، وكان ذلك في المحرم سنة ٢٧ . وخطب في الناس ، ورغبهم في الجهاد ، وقال لهم : « لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم إلى أن تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الأمر إليه وأستودعتكم الله<sup>(٢)</sup> » .

(١) تيم بن مرة بن كعب بن لوى ، جد جاهلي من قريش ، من نسله أبو بكر الصديق ، وطلحة الصحابياني رضي الله عنهما (سبائك الذهب) .  
(٢) فتح العرب للمغرب .

ووصل جيش المدينة إلى مصر ، وانضم إليه من كانوا في انتظاره ممن جمعهم عبد الله بن أبي سرح ، واجتمع من هؤلاء وأولئك جيش لا يقل عن عشرين ألف مقاتل . وبعد أن استكمل الجيش عدته سار إلى إفريقية بقيادة عبد الله بن أبي سرح . وهذه الغزوة تسمى غزوة العبادلة .

### غزوة العبادلة

تسمى هذه الغزوة غزوة العبادلة ، ويسمى الجيش جيش العبادلة ، لأنه اجتمع فيه سبعة من كبار الصحابة كل منهم اسمه عبد الله ، وهم :

عبد الله بن عباس<sup>(١)</sup> ، وعبد الله بن أبي سرح<sup>(٢)</sup> . وعبد الله بن جعفر<sup>(٣)</sup> ،  
وعبد الله بن عمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup> . وعبد الله بن عمرو بن العاص<sup>(٥)</sup> . وعبد الله

(١) كنيته أبو الفضل ، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولد بالشعب قبل الهجرة . وتوفي النبي وهو ابن ١٥ سنة . ودعا له فقال « اللهم علمه الكتاب والحكمة » فكان أعلم الناس بمعاني القرآن وناسخه ومنسوخه .

(٢) عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أبو يحيى القرشي العامري ، أرضعت أمه عثمان بن عفان فهو أخوه من الرضاع ، له صحبة وكان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يغير فيما يمليه عليه النبي ، فأهدر دمه ، فخرج هارباً من المدينة إلى مكة مرتدأ عن الإسلام ، فاستأمن له عثمان يوم الفتح ، وقبل النبي لإسلامه . وكان يفر من مقابلة النبي حياء منه ، فشكا ذلك عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « الإسلام يجب ما كان قبله » فكان بعد ذلك يجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلم عليه . ولاء عثمان مصر سنة ٢٥هـ فشكاه أهلها وأخرجوه منها . وولاه عثمان على إفريقية وفتحها سنة ٢٧ . ولم يبايع لعلي ولا لمعاوية . . وكان دعا الله أن يميته وهو في الصلاة فصلى الصبح وسلم على يمينه ، وفاضت روحه قبل أن يسلم على شماله . وكانت وفاته بمسقلان سنة ٣٦ . وقيل سنة ٣٧ هـ ودفن بها في مقابر قریش .

(٣) كنيته أبو عبد الرحمن ، أسلم بإسلام أبيه ، وشهد بدرأ وأحدأ . وكان عمره يوم بدر ١٢ سنة . غزا إفريقية مرتين : الأولى مع عبد الله بن أبي سرح ، والثانية مع معاوية بن حديج . وكانت معه في إفريقية أم ولد توفيت بإفريقية ، وكان له منها أولاد

(٤) كنيته أبو محمد ، ولد قبل الهجرة بسبع سنين ، وبينه وبين أبيه في العمر ١٣ سنة . شهد فتح إفريقية مع ابن أبي سرح سنة ٢٧ وتوفي سنة ٦٥ عن ٧٢ سنة .

بن الزبير<sup>(١)</sup> . وعبد الله بن مسعود . ولما وصلوا برقة وجدوا فيها عقبة بن نافع ، فالضم إليهم هو ومن معه من المسلمين .

وتوجه الجيش إلى إفريقية ، وكان - وهو في طريقه - يرسل الطلائع في كل وجه ، فكانت تأتي بالبقر والشاء وعلف الدواب . ولما وصلوا إلى طرابلس مرت إحدى طلائع المسلمين بها ، فرأوا منراكب راسية على الساحل خارج السور فشدوا عليها ، فأسروا أهلها - وكانوا مائة - وغنموا ما في المراكب ، وكان ذلك على مرءأ من أهل المدينة ، فلم يتعرضوا لهم ، قال في رياض النفوس : « وتحصن أهل طرابلس ولم يتعرضوا لنا ولم نهجمهم ، وأخذنا ما في السفن فكانت هذه أول غنيمة أصيبت » ، ولما لحق بهم عبد الله بن أبي سرح سلموا له الأسرى فقتلهم . لأنهم نقضوا عهد عمرو بن العاص ، وارتد من كان أسلم منهم .

وكانت طرابلس إذ ذاك تابعة لجرجير<sup>(٢)</sup> حاكم سبيطة . واكتفى ابن أبي سرح من طرابلس بهذه الغنيمة ، ولم يفتحها ، واستمر في طريقه إلى سبيطة . هكذا يقول صاحب فتح العرب للمغرب ، وهو يوافق ما جاء في رياض النفوس . وذكر غيرهما أنه فتحها . وهذه الرواية معقولة لأنه يبعد أن يتركها شوكة في ظهره ، وهو يعلم أنها نقضت عهدها وارتد من أسلم من أهلها ، وقد يستغلها الروم لمهاجمته من الخلف .

تقدم المسلمون من طرابلس إلى إفريقية ، وكانت عاصمتها إذ ذاك قرطاجنة ونزلوا بقرب السبخة المجاورة لمكان مدينة القيروان الآن ، وتوجه تفكيرهم إلى فتح سبيطة ، وهي العاصمة الثانية بعد قرطاجنة ، وكان جرجير يقيم بها . . . . . وجرجير هذا بطريق معين من قبل ملك الروم هرقل الذي كان يقيم في

(١) ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً ، وهو أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة . وهو أول من كسا الكعبة الديباج . وهو الذي قتل جرجير . قتله الحجاج بن يوسف وصلبه بمكة في ١٨ من ج. خ سنة ٧٣ .

(٢) تقدم أنها هي وبرقة كانتا تابعتين لمصر . ولعل أهل طرابلس بعد أن غادرهم عمرو أيقنوا أن صلحتهم بمصر غير ممكنة ، وغير مجدية ، فسعوا في تحسين علاقتهم بحاكم سبيطة وانضموا إلى حكمه .

القسطنطينية عاصمة ملكه إذ ذلك، وكانت تسمى بيزنطة . وكان نفوذ جرجير (١) يمتد من طرابلس إلى طنجة بالنيابة عن هرقل . . . ويقال إن جرجير خلع طاعة هرقل ، وضرب العملة باسمه ، وادعى الملك في إفريقية لنفسه ، وكان هذا بتحريض من البابا مارتن الذي قبض عليه قسطنطين فيما بعد وأنزل به عقاباً شديداً .

لم يتقدم جرجير بطلب الصلح من العرب ، بل عمد إلى تعبئة جيوشه وحشد المقاتلين ، ووقفه في وجه العرب ، فلم يكن للعرب بد من اتخاذ مثل هذه الترتيبات والاستعداد للقاء الروم في أي وقت . فما لبث الفريقان غير قليل حتى نشبت المعركة بينهما ، وتوالت ، المعارك فكانت طاحنة ، وأبلى العرب فيها بلاء مكنهم من إحراز النصر ، ورجحت كفة المعركة إلى جانبهم ، وظهر الضعف في صفوف جرجير ، فرأى من الخير له أن يمنح إلى الصلح بعد أن رأى بوادر الهزيمة ، وتقدم إلى ابن أبي سرح بطلب الصلح على مال يؤدونه له ويرتحل العرب عن بلادهم ، فاتفقوا على أن يدفع الروم ألفي ألف وخمسة آلاف دينار للعرب ، فدفعوها لهم ، وارتحل العرب عن إفريقية .

وكان طلب جرجير للصلح فرصة انتهزها ابن أبي سرح خوفاً من أن يتكاثر عليه الروم والبربر ، وهو في قلة من المسلمين ، وقد تأثر جيشه من تلك المعارك الطاحنة التي ما كانت القوة فيها متكافئة ، ولكن قوة إيمان العرب ، وتفانيهم في نشر الدعوة الإسلامية هو الذي كان دائماً سبباً في إحرازهم النصر في مثل هذه المعارك وأشد منها . ولم يخف على ابن أبي سرح بعد مركز المسلمين الذي يأتيهم منه المدد ، فلو رفض الصلح - وهو في تلك القلة - لما أمن أن يجمع الروم والبربر جموعهم ، فينقضوا عليهم ، وإذا ذلك قد لا يفوز العرب بالنصر . فقبل ابن أبي سرح الصلح كان تطبيقاً لسياسة حكيمة أملت الظروف ، واقتضاها قول الله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

(١) اسمه الأصلي غريغور ، وحرفه العرب إلى جرجير .

أسرع ابن أبي سرح - بعد عقد الصلح مع الروم - بالرجوع إلى مصر سنة ٢٨<sup>(١)</sup> بعد أن مكثوا في إفريقية سنة وثلاثة أشهر ، ولم يستخلف بها أحداً ولم يبق بها معسكراً .

ولا شك أن هذه الغزوة كانت أقوى أثراً وأبعد مدى من غزوة عمرو التي سبقتها ، بما امتازت به من التوغل في الأراضي الإفريقية التي أكسب العرب غلماً بحالة السكان الاجتماعية ، ومن الصدام العنيف الذي كانت نتيجته معروفة قوة الروم المادية وروحهم المعنوية ، ومعركة الروابط بين الروم والبربر ، ومكنتهم من دراسة إفريقية عن كثب فكانت بمثابة مقدمة لما تلاها من غزو وفتح .

(١) وفي خلاصة تاريخ تونس سنة ٢٩ .

## الفتح الثالث

### عبد الله بن أبي سرح<sup>(١)</sup>

رجع ابن أبي سرح ومن معه من العرب إلى الشرق ، وتركوا إفريقية على ما صالحهم عليه جرجير ، وعلى ما أخذوه عليه من عهد . ولكن جرجير لم يلبث أن نقض العهد وخان الموثيق . وقد وصلت أخباره إلى المسلمين في الشرق فأخذوا يفكرون في فتح إفريقية مرة ثالثة .

وفي سنة ٢٩ أرسل إليها عثمان جيشاً بقيادة عبد الله بن أبي سرح . ولم تكذب أخبارهم تصل إلى جرجير حتى أخذ يستعد للقائهم ، فجمع جمعاً كثيرة من الروم والبربر قرابة مائة وعشرين ألفاً .

ووصل المسلمون إلى إفريقية<sup>(٢)</sup> فوجدوا جرجير على استعداد للقائهم في سبيطة وهي مدينة مسورة تبعد عن القيروان سبعين ميلاً .

وبما أني اخترت الرأي القائل بتعدد غزوات ابن أبي سرح في إفريقية أذكر ما جاء في رياض النفوس في غزوة ابن أبي سرح الثانية من رواية الواقدي عن

(١) اختلفت كتب التاريخ في تعيين هذه الغزوة بين سنوات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ أما تاريخ ٢٦ فلا يصح لأن أول غزوات ابن أبي سرح كانت سنة ٢٧ فكيف تقع الثانية في ٢٦ . وأما تاريخ ٢٧ فهو الذي جعل بعض الكتاب يقول باتحاد الغزوتين . ولكن حينما يمعن القارئ النظر في تفاصيلهما لا يسعه إلا أن يحكم بتعددتها لأنه بينما نرى أن الغزوة الأولى انتهت إلى صلح عقده جرجير نفسه مع العرب ، إذا بنا نرى أن الغزوة الثانية كانت فيها معارك طاحنة ، وذكرت فيها قصة بنت جرجير ، وقتل فيها جرجير ، وانتهت بصلح مع أعيان البلاد بعد قتل جرجير . إذاً فلا بد من اختيار التاريخ الثالث الذي اختاره ابن خلدون وهو سنة ٢٩ وقد ثبت أن ابن أبي سرح حارب في إفريقية أكثر من مرة ، مما يؤيد أن سبب اختلاف تواريخ الغزوات هو تعددها . والقول بتعدد الغزوتين هو الذي يتفق مع ما اشتملنا عليه من تفصيل . وتباين الروايات يدل على تعددها . والقول بأن تعدد التواريخ شك من الرواة في الواقعة الواحدة لا دليل عليه .

(٢) لم نر من المؤرخين من تعرض لأخبار طرابلس في هذه الغزوة ويظهر أنها بقيت على عهدتها في الغزوة الأولى ، فلم تتعرض لهجوم العرب في هذه الغزوة .

ربيعة الدبلي قال : « . . . ثم تمادينا إلى إفريقية ، وجعلنا نضرب في كل جهة . وأقمنا أياماً تجرى بيننا وبين جرجير - ملكهم - الرسل ندعوه إلى الإسلام ، فكلما دعواته إلى الإسلام نخر . ثم استطال وقال : لا أفعل هذا أبداً . فقلنا له : فتخرج الجزية في كل عام ، فقال : لو سألتوني درهماً لم أفعل . فهبأ الناس للقتال . وعبأ عبد الله بن سعد الناس ميمنة وميسرة وقلباً » .

وعبأ جرجير جيوشه ، وكانت نحو مائة وعشرين ألفاً . ودارت المعارك الأولى لم ينل فيها من العرب ، فأراد أن يغرى بهم الروم ، فأخرج ابنته أمام الجيوش ونادى في عسكره : من قتل أمير العرب : زوجته ابنتي هذه ، فسمع بذلك عبد الله بن أبي سرح فنادى في المسلمين : « وحق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل أحد منكم جرجير إلا نفلته ابنته وما معها (١) » . والتحم القتال حتى ظن الناس أنه الفناء ، وصبر المجاهدون فانهزم جرجير وجيشه ، واندفع العرب نحوه يتسابقون إلى قتله ، فرأت ابنة جرجير المسلمين يتدافعون بسيوفهم في زحام شديد ، - وكانت تطل على المعركة - فقالت ما لهم يتزاحمون ؟ ، فقالوا لها يتزاحمون على قتل أبيك .

وذكر في رياض النفوس أن ابنة جرجير أشرفت على العرب في عسكرهم ، فاستقلتهم فقالت لأبيها : لا تسرع بالقتل في هؤلاء وأنحلنيهم ، فقال لها : قد أنحلتهم .

واشتدت المعركة وكانت قاسية وطاحنة ، فانهزم عبد الله بن الزبير غرة من جرجير فقتله . وذكر في دول الإسلام من رواية عبد الله بن الزبير هذه القصة فقال : هجم علينا جرجير في مائة وعشرين ألفاً ، واختلف الجند على ابن أبي سرح فغضب ابن أبي سرح ، ودخل فسطاطه . وخاف المسلمون العدو ، وأحاط بنا العدو ، وكنا عشرين ألفاً ، فرأيت أنا غرة

(١) كان هذا النداء بعد أن أشار عليه به عبد الله بن الزبير .

من جرجير ، بصرت به خلف جيوشه على بردون أشهب معه جاريتان تظللان عليه بريش الطواويس ، وبينه وبين عسكره فلاة من الأرض ، فأتيت أميرنا ابن أبي سرح ودخلتُ عليه الفسطاط ، فوجدته مستلقياً على ظهره ، فلما دخلت عليه استوى جالساً وقال ما أدخلك على ابن الزبير؟ فقلت له إني رأيت عورة من العدو ، فاخرج فاندب الناس ، قال وما هي ؟ فأخبرته ، فخرج معي مسرعاً وقال : أيها الناس ، انتدبوا مع ابن الزبير ، فندب لي فرساناً فأخذت منهم ثلاثين وقلت لهم اثبتوا هنا ، وحملت على جرجير ، وقلت أحوا لي ظهري ، وخرقت إلى جرجير وهو يظن أني رسول إليه ، فلما ذنوت منه عرف الشر ، فوثب على بردونه وساق مولياً ، فأدركته فطعنته فسقط ، ثم ضربته بالسيف ونصبت رأسه على رمحي وكبرت . وقد ركب المسلمون فحملوا ، وركبنا أكتاف العدو وتمزقوا . وسبقت خيول المسلمين إلى باب الحصن ، فحالوا بينهم وبين الدخول فيه ، وقتلوا أنجادهم وفرسانهم .. ودارت الدائرة على الروم والبربر ، وكثر فيهم القتل والسبي ، واستولى العرب على ما في المعركة ، وجمعت الغنائم فكانت شيئاً لا يحصى كثرة ووقعت ابنة جرجير في الأسر وقالت : لقد رأيت الذي قتل والدي ، ولما عرض عليها المجاهدون تعرفت على ابن الزبير .

ووفى ابن أبي سرح بوعده فأعطى بنت جرجير لابن الزبير . وأرسل السرايا في طول البلاد وعرضها لإخضاع الروم والبربر ، فما ذهبت مذهباً إلا رجعت سالمة غانمة . وكانت هذه المعركة سبباً في كسر شوكة الروم والبربر وذهاب ملك جرجير ، فلجأوا إلى الحصون ، ورهبوا بجانب العرب .

ولما رأى رؤساء أهل المدن والقرى ما حل بهم من هزيمة ، ورأوا أن العرب ما زالوا يغيرون ويفتحون ، وأيقنوا بعجزهم عن مقاومتهم طلبوا من ابن أبي سرح صلحاً على مال يؤدونه ويرحل عنهم ، فقبل منهم ، وعقد معهم صلحاً جاء فيه : « إن ما غنمه المسلمون قبل الصلح فهو لهم ، وما أخذوه بعد الصلح



ردوه<sup>(١)</sup> ، واتفقوا على ثلاثمائة قنطار من الذهب ، فقبضها ابن أبي سرح ورحل عنهم .

وبعد انتهاء المعركة ، وقبل أن يرحل ابن أبي سرح أرسل عبد الله بن الزبير بنجر الفتح إلى عثمان بالمدينة يبشره بما أفاء الله على المسلمين من النصر والغنيمة ، وأخذ ابن الزبير معه بنت جرجير . وقد ساءها أن تكون مسبية في يد العرب ، فألقت بنفسها من على جمل في أثناء الطريق فماتت .

وقد أوصى ابن أبي سرح ابن الزبير أن يبلغ عثمان أن يرسل إليه سفناً في البحر ليشحن فيها الغنائم فأرسلت إليه .

وسافر ابن أبي سرح إلى المشرق ومعه من الغنائم شيء لا يحصى كثرة ، ووافته السفن التي طلبها من عثمان في طرابلس ، فشحن فيها ما يمكن شحنه وسار هو وأصحابه على طريق البر . وقد بلغ سهم الراجل ألف دينار ، وبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف . . . . . ولئن دل مجيء سفن العرب إلى طرابلس على شيء فإنما يدل على ضعف دولة الروم وتقلص نفوذها وانهايار قواها أمام ضربات العرب حتى في إفريقية . وقد خيمت على عقولهم صولة العرب ، وهيمنت على نفوسهم ، فكانت مقاومتهم بعد هذه المعركة تسير من ضعيف إلى أضعف .

وقد يمكن لمتتبع معارك ابن أبي سرح وما بذله من جهود في فتح إفريقية أن يعجب من انسحابه من إفريقية ، بدون أن يترك فيها حاكمًا أو حامية ، في نظير مبلغ من المال مهما كان عظيمًا ، بعد أن خاض فيها تلك المعارك الهائلة ، وبعد أن ضحى فيها بعدد كبير من رحلات المسلمين الذين استشهدوا في معارك سببيلة الطاحنة ، وقد يمكنه أيضًا أن يرى في انسحابه قضاء مبرمًا

( ١ ) يلاحظ أن الصلح في الغزوة الأولى كان مع جرجير نفسه ، وكان على ألف وخمسمائة ألف . وفي هذه الغزوة كان الصلح مع الأعميان بعد قتل جرجير ، وكان على ثلاثمائة قنطار من الذهب . وقال في رياض النفوس . كان الصلح - في الغزوة الثانية - على مائة ألف رطل من الذهب وهذا بما يدل على تعدد الغزوات كما قلنا .

على جهود المسلمين في إفريقية وجهادهم الذي دام ست سنوات متواصلة - قد يمكن هذا العجب ، ولكنه لا يلبث أن يزول إذا علمنا أن جيش ابن أبي سرح قد منى بخسائر كبيرة في الرجال في معارك سيظلة ، وأن من بقى معه من المسلمين لا يمكنهم أن يصمدوا أمام جيوش الروم والبربر التي تفوقهم بأضعاف مضاعفة . . هذا إلى بعد مراكز جيوش المسلمين التي يمكن الاستنجاد بها . وإذا فإن ما فعله ابن أبي سرح هو عين الحكمة ومقتضى الخطط الحربية . ولولا انسحابه لتعرض جيشه للفناء

وكان هذا الفتح قاصراً على السواحل فيما بين جبل نفوسة<sup>(١)</sup> والبحر ، أما غدامس فلم تفتح إلا في سنة ٤٢ هـ في سرية عقبة ، وبقيت ودان على ردتها حتى فتحها هي وغدامس عقبة بن نافع سنة ٤٩ وسيقأتى خبرهما . وكان من بين أسرى هذه المعركة وزمار بن صقلاب البربري ، جد الخزرويين ، وأمير مغراوة وزناتة<sup>(٢)</sup> . ولما وصل إلى عثمان بالمدينة أسلم على يديه ، فأطاعه وعقد له على قومه ، ولذلك كانت زناتة تناصر دعوة الأمويين ، بخلاف صنهاجة فإنها كانت تناصر دعوة العباسيين .

### وصول الخبر إلى هرقل :

أسف هرقل كثيراً حينما بلغه - وهو بالقسطنطينية - خبر قتل جرجير وهزيمة الروم والبربر ، ومصالحة رؤساء المدن والقرى للمسلمين على تلك المئات من قناطير الذهب ، فأرسل إليهم بطريقاً نائباً عنه يقال له « أولية » ليطلبهم بالخراج الذي كانوا يؤدونه إليه في كل سنة ، ولزل بقرطاجنة . ولما طلب من الناس ما أمره به هرقل امتنعوا وقالوا إن ما بأيدينا من الأموال فدينا به أنفسنا من العرب .

(١) لم يذكر أحد موقف سكان جبل نفوسة من هذه الغزوة . ويظهر أن من فيه من البربر استكانوا وأفسحوا الطريق للعرب يذهبون حيث شاءوا ، كما رضى العرب منهم بهذا الموقف فتركهم .  
(٢) قال ابن خلدون : وقد أسر في زمن ابن أبي سرح وزمار إلخ وذكر غيره هذا المعنى ، وعمل به مناصرة زناتة لدعوة الأمويين ، ومخالفة صنهاجة لها ومناصرتها دعوة العباسيين .

وقد حصل خلاف كبير بين « أولية » نائب هرقل ، وبين « حباقيه »  
 حاكم البلد الذي أقيم بعده قتل جرجير ، ورجع البطريق مطروداً ولم يحصل على  
 شيء . . .

لم يول ابن أبي سرح أحداً على إفريقية بعد أن رحل عنها ، وتركها كما  
 تركها في المرة الأولى مكتفياً بعهود الصلح وتقديم الطاعة . وكذلك كان العرب  
 يفعلون قبل أن تستقر أقدامهم في إفريقية ، وقبل أن يتخذوا منها  
 موطناً لهم ، فكانوا يكتفون بدفع الغرامة ، وبتقديم الطاعة سواء أكانت بطريق  
 الصلح ، أم بطريق القهر والغلبة ، لأنهم ما كانوا يأمنون غدر الروم وقتلهم  
 من يولونه عليهم .

ويقول ابن خلدون إن جرجير كان من الفرنجة ، وكان نائباً عن هرقل  
 في إفريقية لأن هرقل كان ملك النصرانية كلها لا فرق بين الروم وغيرهم ،  
 والأمم التي كانت متغلبة على البربر ، وكانت تملك مدنها وقراها إنما هي من  
 الفرنجة ، وما يوجد من الروم في إفريقية إنما هم جنود للفرنجة . ولما كان العرب  
 لم يقاتلوا من الأمم النصرانية إلا الروم في الشام غلبوا لفظ الروم على غيرهم .  
 وما يذكر في كتب فتح إفريقية من لفظ الروم إنما هو من قبيل التغليب .  
 وكان البربر في إفريقية قبيل الفتح تحت حكم الفرنجة ، وعلى دين النصرانية :

## الفتح الرابع

### غزوة معاوية ابن حديج<sup>(١)</sup> الأولى

ما كانت إفريقية تستقر على حال ، ولا تقيم على عهد إلا ريثما يرتحل عنها جيش المسلمين فتتنقض عهدها ، ويرتد من أسلم من أهلها ، وتناصب العرب العداء وتعود إلى ما كانت عليه .

وقد اختلفت روايات المؤرخين في غزوات معاوية بن حديج ، فنقل المالكي صاحب رياض النفوس عن أبي العرب « أن معاوية بن حديج غزا إفريقية ثلاث غزوات : أما الأولى فسنة ٣٤ في خلافة عثمان<sup>(٢)</sup> . وأما الثانية فسنة أربعين . وأما الثالثة فسنة خمسين . وهو يوافق رواية ابن عبد الحكم في أنها ثلاث غزوات . ويحدد هذه الغزوة بأنها كانت قبل مقتل عثمان . وفي أن الثانية كانت سنة ٤٠ ، وهذا غير صحيح لأن تعيينه كان من قبل معاوية ، ومعاوية في هذه السنة كان مشغولا بحرب على ، ولم يتول الخلافة إلا بعد أن تنازل له عنها الحسن بن علي سنة ٤١ ، ويظهر أنها كانت سنة ٤٥ كما ذكر ابن خلدون وقد اخترت هذا القول ، والثالثة كانت سنة ٥٠ ، وهذه ذكرها صاحب نزهة الأنظار وذكر بعض أعماله في القيروان ، وفتح جلولاء . واتفقت رواية صاحب معالم الإيمان ومحمد بن يوسف الوراق على أنها ثلاثة ، وأن الأولى

(١) قال في تاريخ الحميس للديار بكري : معاوية بن حديج - بجاء مهمل مضمومة ، ودال مهمل مفتوحة - وجيم في آخره : وما جاء في ابن خلكان : حديج بجاء معجمة مفتوحة ، ودال مهمل مكسورة ، وجيم ، فهو غلط وهو معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيبة الكندي الحلواني المصبري ، صحابي على قول الأكثرين ، وذهبت عينه في حروبه مع البربر في إفريقية . مات بمصر وهو وال عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٢ .

(٢) قال في طبقات علماء إفريقية : وهذه الغزوة لا يعرفها كثير من الناس .

كانت سنة ٣٤ قبل مقتل عثمان . وذكر بعض المؤرخين واقعة جلولاء في غزوة سنة ٣٤ . وذكرها بعضهم في غزوة سنة ٤٠ . وبعضهم ذكرها في غزوة سنة ٥٠ وكلهم متفقون على تفاصيل معركة جلولاء وما وقع فيها . وقال ابن خلدون إن معاوية بن حديج أرسل إلى إفريقية سنة ٤٥ . وقال التيجاني في رحلته : كان ابن حديج والياً على إفريقية من قبل عمرو بن العاص .

هذا ما أمكنني جمعه فيما يتعلق بغزوات ابن حديج في إفريقية وقد اخترت الرأي القائل بالتعدد فذكرتها متعددة .

مرت على إفريقية نحو ست سنوات بعد رجوع ابن أبي سرح نقض الروم فيها عهودهم مع العرب ، وناصرهم العداء ، وارتد من أسلم إلى نصرانيته . وقد شغل عنها العرب كل هذه المدة بإصلاح ما ظهر من بوادر فتنة عثمان وبما لابسها من آثار سيئة نتيجة لانتقاد طريقة الحكم التي اتبعها عثمان . وبالرغم على ظهور هذه البوادر فقد عني عثمان بأمر إفريقية ، ووجه إليها أبا نعيم معاوية بن حديج سنة ٣٤ لفتحها ، ومعه جيش من العرب فيه كثير من الصحابة والتابعين من المهاجرين والأنصار .

ومر ابن حديج في طريقه ببرقة ، وكان بها عقبة بن نافع فأخذه معه وتقول بعض المصادر إن عمرو بن العاص لما رجع إلى مصر سنة ٢٣ ترك عقبة في برقة والياً على ما فتح من إفريقية ، وقد مروا في طريقهم بطرابلس فلم تبد أي مقاومة فيما اطلعت عليه من كتب .

أما سرت فيظهر أنها لقربها من برقة تأثرت بها ، فهي منذ أن فتحها عمرو لم تبد نشاطاً عدائياً لا ضد ابن أبي سرح في غزواته ، ولا ضد ابن حديج ، وأصبحت مسالمة كما سألت برقة .

وأخبار هذه الغزوة مقتضبة ، حتى قال في طبقات علماء إفريقية إن هذه الغزوة لا يعرفها كثير من الناس . ولم نعث لها على تفصيل أكثر .

## الفتح الخامس غزوة معاوية بن حديج الثانية

وكانت المدة بين غزوتي ابن حديج حوالي عشر سنوات شغل فيها المسلمون بفتنة عثمان وحروب علي ومعاوية ، وانقطعت فيها بعوث المسلمين عن إفريقية ولم يفكروا في شأنها . . .

وقد انتهز الروم والبربر فرصة انشغال المسلمين بهذه الفتنة فنقضوا عهودهم ، وارتد بعضهم ، وثبت بعضهم على إسلامه ، وحصلت ألفة بين من أسلم من البربر وبين من بقى في إفريقية من غزاة المسلمين وحافظوا على إسلامهم . . . ولأول مرة نسمع فيها أن جماعة من المسلمين استقروا في إفريقية ، وهي بادرة تدل على اضمحلال شأن الروم ، وهي كذلك أول خطوة في استقرار الإسلام في إفريقية ، ومزاحمته للمسيحية في دورها ومناطق نفوذها .

وما كادت الخلافة تفضى إلى معاوية بتنازل الحسن بن علي له عنها في ربيع الأول سنة ٤١ ، وبمبايعة المسلمين إياه بالخلافة<sup>(١)</sup> في الخامس والعشرين من هذا الشهر ، وما كادت أمور المسلمين في المدينة والحجاز تأخذ في الاستقرار حتى أخذ معاوية يفكر في فتح إفريقية ، فاختار لها معاوية بن حديج لسابقة خبرته بها ، وأرسله إليها على رأس جيش من المسلمين سنة ٤٥<sup>(٢)</sup>

(١) معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء دولة بني أمية . وهي أول دولة إسلامية قامت على وجه الأرض بعد عهد النبوة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . وتوفي معاوية في رجب سنة ٦٠ ودفن بالشام . . . وتولى هذه الخلافة من بني أمية أربعة عشر خليفة ، آخرهم مروان بن محمد بن مروان الأول . ومدة ملكها في الشام اثنتان وتسعون سنة

(٢) قدر بعض المؤرخين هذا الجيش بنحو عشرة آلاف . وكان من بينهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان ، وجماعة كثيرة من الصحابة والتابعين .

وليس بصحيح ما قيل إنه أرسله إليها سنة ٤٠ لأنه في هذه السنة لم يتول خلافة المسلمين ، وأيضاً فإنه كان مشغولاً بمحاربة عليّ .

سار ابن حديج إلى إفريقية ، ومر في طريقه بطرابلس ، فلم تبد أى مقاومة ويظهر أن قتل جرجير ، كان له أثر سيئ على نفوس الروم والبربر جعلهم لا يفكرون فيما وراء سبيطلة وما حولها . وزاد في سوء حالهم الفتنة التي نشبت بينهم وبين هرقل بسبب طردهم مندوبه « أولية » لهذا تغافلوا عن طرابلس ولم يحاولوا الرجوع إليها وهذا ما شجع أهل طرابلس على الاحتفاظ بعهدهم مع العرب ، ولم يبدوا ضد ابن حديج أى مقاومة فانهز ابن حديج مسالمتهم وولى عليهم من قبله رويغ بن ثابت ، وبذلك أمن انتقاضهم ، كما أمن طريق الرجعة فيما لو اضطر إلى الرجوع . وسار في طريقه إلى أن وصل القيروان وكانت غير مسكونة فبنى فيها مساكن ، وحفر آباراً كثيرة كانت تعرف بآبار حديج إلى منتصف المائة الثانية بعد الألف من الهجرة ، وفتح بنزرت وغم فيها غنائم كثيرة . . . . وقد عزله معاوية بن أبي سفيان عن إفريقية ، ورجع إلى مصر سنة ٤٨ وولى بدله عقبة بن نافع .

ثم سار معاوية إلى سبيطلة ، وسبقته أخباره ، وبلغ قيصر الروم خبر هذا الغزو فأرسل نجدة إلى قرطاجنة على طريق البحر ، والتقى المسلمون بالروم والبربر بقرب « ألجم » فهزموهم ، واستعد الروم للقائه في جلولا . ليكون دفاعهم عن سبيطلة في مواقع بعيدة عنها ، وهناك جمعوا جيشاً لا يقل عن ثلاثين ألف مقاتل ، وتواقع الفريقان خارج أسوار المدينة ، ولم يلبثوا أن رجحت كفة العرب على الروم ، فدخلوا المدينة منهزمين وتحصنوا وراء أسوارها ، وحاول العرب اقتحامها عليهم فلم يقدرُوا . وجرح عامتهم واستشهد كثير منهم ، فتركوها ، ورجعوا عنها مرغمين .

## انهدام سور جلولا<sup>(١)</sup> :

كان انهدام سور جلولا كرامة من الله أكرم بها أولئك النفر من العرب الذين باعوا أنفسهم في الله وأخلصوا دينهم لله ، فبينما هم راجعون ، وقبل أن يتعدوا كثيراً انهدم سور جلولا من تلقاء نفسه ، وبدون سبب ، بعد أن وقفوا أمامه أياماً لا يقدرّون منه على شيء ، وقد تنبه بعضهم إلى ما ثار منه من غبار ، فلما تبينوا الأمر علموا أن السور انهدم ، فرجعوا مسرعين ودخلوا المدينة عنوة ، وفر من الروم من نجا من القتل والأسر ، وغنموا كل ما حوته المدينة ، فكان كثيراً ، وكثيراً جداً . وقسمت الغنيمة على المقاتلين فكان سهم الراجل ٢٠٠ دينار ، وسهم الفارس ٦٠٠ دينار . . . وانتشرت خيل المسلمين في طول البلاد وعرضها ، ورهب السكان جانبهم وقدموا لهم الطاعة ، وأصبح الروم أشد ما يكونون جزءاً من هذه الضربات المتتالية التي انزلها بهم العرب . . . ويقول صاحب المؤنس : « وفي هذه الغزوة فتح عبد الله بن الزبير مدينة سوسة وأبلى فيها بلاء حسناً » .

## رويفع بن ثابت الأنصاري :

هو رويفع بن ثابت ، بن السكن ، بن عدى ، بن حارثة<sup>(٢)</sup> الأنصاري ، من بني مالك بن النجار ، صحابي جليل ، شهد فتح مصر وكان يسكنها . . . ولاء ابن حديج على طرابلس سنة ٤٦ . وغزا جربة من طرابلس وفتحها سنة ٤٧ ، وأمر أصحابه بأن لا يأتوا السبايا إلا بعد الاستبراء وقال لهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره » .

(١) جلولا بفتح الجيم وتشديد اللام اسم لمدينة كانت تبعد عن القيروان بأربعة وعشرين ميلاً تقريباً وهي الآن خراب . ويعرف مكانها بعين جلولا ( خلاصة ) .  
(٢) وقيل خارجة .



ونهاهم عن استعمال دواب الغنيمه وأمتنعها إلا بعد القسم ورجع من عامه ،  
وتوفى ببرقة وهو أمير عليها سنة ٥٣ زمن ولاية مسلمة بن مخلد على مصر<sup>(١)</sup> وإفريقية  
من قبل معاوية بن أبي سفيان .

وكان قبر رويفع قد درس وانمحت معالمه ، وعلى غير قصد عثر إنسان  
على حجر مكتوب عليه : « هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصاري صاحب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم » ، فند ذلك أصبح معروفاً في برقة لا يختلف فيه اثنان  
تلتبس عنده الرحمت بفضل صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم . وكان له جهاد  
في إفريقية وحضر فتح مصر .

### سياسة الغزو :

لقد مر على العرب منذ أن غزوا إفريقية إلى آخر غزوات ابن حديج ست  
وعشرون سنة لم يمكنهم الاستقرار في إفريقية ، وإنما كانوا يكتفون من الروم  
بعقد الأمان ودفع الجزية أو الفرامة الحربية ويرحلون عن البلاد ، لأن أساليب  
حياتهم ما كانت تساعدهم على الإقامة في طرابلس أو في غيرها من البلاد  
الإفريقية . ذلك لأن سكان إفريقية كانوا كثيرين لا يحصون عدداً ، وكانوا  
يدينون بغير دين العرب ، وكانوا يعتبرون العرب غزاة فاتحين يجب عليهم  
أن يطردوهم عن بلادهم ، والعرب يعلمون هذا منهم ، لذلك ما كانوا يأمنون  
على أنفسهم من غدرهم ، خصوصاً وأن نجدة العرب كانت تأتيهم من مصر  
والشام والمدينة وهي بعيدة عنهم .

كان الروم لا ينفون بالعهد ولا يحترمون المواثيق ، فكانوا كلما ارتحل العرب  
عنهم نقضوا عهودهم ، ومنعوا ما كانوا يؤدونه وارتد من أسلم منهم .

والمسلمون ما غزوا إفريقية لأجل المال ، أو لأجل التحكم في رقاب الناس ،  
لأن الله فتح عليهم الشام ومصر والعراق قبل فتح إفريقية ، وفي هذه الأقطار

( ١ ) قال ابن كثير : وهو وال عليها من قبل مسلمة بن مخلد نائب مصر .

من أسباب رخاء العيش ومنابع الثروة ما فيه الكفاية وفوق الكفاية ، ولكنهم غزوا إفريقيا لنشر الإسلام وفضائله ، وتخليص البشرية من مظالم الروم ، ونشر العدالة والمساواة بين الناس ، ولذلك كانوا يكررون الغزو على إفريقيا كلما نقض الروم عهودهم لتحقيق هذه الأغراض السامية مهما كلفهم الأمر من صعاب وبذل أرواح . . . لهذا كان العرب يجاهدون ، ومن أجله كانوا يعملون .

ولكن المستشرقين مثل كودل ، وديبل ، وفورنل ممن كتبوا في تاريخ إفريقيا لا يستسيغون أن يقال عن العرب إلا أنهم سلابون نهابون ، ولقد أكثروا في كتبهم عن فتح إفريقيا من هذه المثالب ، ولنا فيما أجمعت عليه كتب التاريخ العربية ما يفند افتراءاتهم علينا . وإن نقول لهم أكثر مما قاله الله تعالى في أمثالهم : « قل موتوا بغيظكم » .

### سرية عقبة :

يؤخذ من كلام ابن الأثير أنه كانت لعقبة جولة صحراوية فيما بين سنة ٤١ وسنة ٤٣ ، وصل فيها إلى غدامس ، فبدأ باخضاع لواتة في برقة ، ثم أخضع هواره ، وهم سكان سرت وما وراءها إلى الجنوب وإلى جبل نفوسة ، ووصل إلى غدامس ففتحها سنة ٤٢<sup>(١)</sup> وفتح ماحولها من الواحات<sup>(٢)</sup> ، ورجع إلى مصر سنة ٤٣ فوجد عمرو بن العاص في مرض موته وتوفي عمرو في شوال سنة ٤٣ ، وإذا صحت أخبار هذه السرية فإنها كانت في الفترة التي بين غزوتي ابن حديج .

(١) هذه رواية المؤنس .

(٢) أقرب الواحات إلى غدامس هي درج ، وسناون .

## الفتح السادس عقبة بن نافع

عقبة بن نافع الفهري ، من بني فهر ، بطن من بطون قريش . بطل من أبطال العرب ، جاهد فوق ، وحارب الكفار فأبلى ، حضر فتح مصر ، ودخل إفريقية فاتحاً عدة مرات ، قائداً تارة ، ومن أفراد المجاهدين تارة أخرى ، ووليها معاوية ، ولابنه يزيد . وهو الذي أسس مدينة القيروان ، وبني مسجدها الجامع وبه عرف ، وبني دار الإمارة قبلي الجامع . . . وفي أيامه أخذت قواعد الإسلام ترسو في إفريقية ، وتعاليمه تنتشر بين البربر ، ونخالطت بشاشته قلوبهم ، فأخذوا يعتنقونه ، وكان له منهم أنصار . ويقال إن له صحبة . . . وبسبب إخلاصه للإسلام وجهاده في سبيل الله أظهر الله على يديه الكرامات ، كما وقع له في ماء الفرس ووادي القيروان . وكان مجاب الدعوة . ولد قبل الهجرة بسنة ، واستشهد في إفريقية سنة ٦٣ . شكر الله له وأكرم مثواه .

\* \* \*

تقدم أن عمرو بن العاص أرسل عقبة إلى زويلة سنة ٢٢ ، ففتحها وكان موفقاً ، وبعد رجوع عمرو من إفريقية عينه والياً على ما فتح منها ، وبقي في برقة . وشجاعة عقبة وكفايته في الحروب لا ينكرها عليه أحد . وفي المدة التي بقي فيها في برقة اكتسب خبرة بأحوال إفريقية وسكانها ، وعلى الأخص البربر لاختلاطه بهم في برقة ، فكانت هذه المميزات كفيلاً بتوجيه نظر معاوية إلى اختياره لفتح إفريقية ، فأرسله عقبة ابن حديج سنة ٤٩ . وإذا علمنا أن ابن حديج رجع من غزوته الثانية في أوائل سنة ٥٤٨ علمنا أن بين هاتين الغزوتين سنة أو ما يقاربها .

وقد ذكر ابن الحكم والبكري أن هذه الغزوة كانت سنة ٤٦ ، وعنهما نقلت ما ورد من تفاصيل أعماله في فتح فزان وغيرها ، وبناء القيروان . . . ويظهر أن هذا التأريخ فيه شيء من التحريف ، فإن معاوية بن حديج كان في إفريقية سنة ٤٦ ورجع منها في أوائل سنة ٤٨ وهو معين عليها من قبل معاوية ، ويبعد أن يعين معاوية عقبة قبل رجوع ابن حديج ، فلا يبعد أن يكون الكاتب أراد أن يكتب ٤٩ فكتب ٤٦ ، وبين الرقمين شبه قريب جداً . فالظاهر أن غزوة عقبة هذه كانت سنة ٤٩ كما ذكره بعض المؤرخين ، وعليه فيكون دخوله إفريقية وبداية بناء القيروان سنة ٥٠ . . . وعلى كل من الروايتين فإن عقبة كان في القيروان سنة ٥٠ . وقول صاحب نزهة الأنظار إن ابن حديج غزا إفريقية سنة خمسين لا يتفق مع الحقيقة .

سار عقبة إلى إفريقية في جيش من المسلمين ، وكان ابتداء مسيره من برقة لأنه كان مقبلاً بها . . . وفي معجم البلدان أن عقبة أضاف من أسلم من البربر إلى الجيش الذي أرسله إليه معاوية ، وسار حتى وصل إلى سرت فنزل بمكان يقال له مغمداس<sup>(١)</sup> . وهو مكان غربي مدينة سرت القديمة في منتصف الطريق بينها وبين قصور حسان . هكذا ذكره البكري في كتابه « المغرب » ، وذكر أيضاً أن به صنماً ، وإلى جوار الصنم قصر بناه الأعرابي عامل سرت للعبديين . . . وذكر بعض الكتب أن هذا القصر كان يعرف بقصر العبادي . وهو غير معروف الآن . ويشبه أن يكون قصر « بوهادي » الموجودة الآن بقاياها بقرب سرت الجديدة .

وهذا ما أمكننا علمه عن تلك الآثار الدارسة التي يشبه أن يطبق على الحقيقة التي حال بيننا وبينها ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرون سنة .

وقد بلغ عقبة أن بلاد ودان نقضت عهدها الذي عاهدت عليه بسر بن أبي أرطاة سنة ٢٣ ، وارتد من أسلم منهم على يديه ، فترك جيشه بمغمداس في

(١) جاء ذكر مغمداس في تاريخ البكري ، ونزهة الأنظار ، وسير الشياخي ، ورحلة العمياشي . وقد اشتهر على كثير من المؤرخين فذكروه - غلطاً - باسم غدامس .

أرض سرت ، وأتاب عنه في رئاسة الجيش زهير بن قيس البلوي ، وعمر بن علي القرشي ، وسار إليها في أربعمائة فارس ، وأربعمائة جمل ، على كل جمل قربتان حمل الماء . ولما وصل إليها أبي أهلها إلا العصيان وعدم الطاعة ، فحاربهم عقبة حتى أخضع البلاد بلبداً بلبداً ، وقبض على ملكهم فقطع أذنه جزاءً له على نقض العهد ، وقال له : إذا مسست أذنك تذكرت فلا تحارب العرب ، وفرض عليه ثلاثمائة وستين رأساً من العبيد ، وأغرمه ما كان فرضه عليه بسر بن أبي أرطاة سنة ٢٣ .

ولما استتب لعقبة الأمر في بلاد ودان سار إلى جزمة ، وهي العاصمة إذ ذاك لبلاد فزان ، وسميت جزمة باسم أمة الجرموت ، وهي أمة قديمة كانت تسكن فزان (١) فلما دنا منها نزل غير بعيد ، ودعا أهلها إلى الإسلام فأجابوا ، وقدم ملكهم بالطاعة ، وفرض عليهم ٣٦٠ رأساً من العبيد ، واستمر عقبة في فتح بلاد فزان حتى أتى على آخرها ، ونشر فيها من تعاليم الإسلام ما اتسع له وقته ، وهذه أول مرة دخل فيها العرب بلاد فزان فاتحين .

ولما انتهى من فتح بلاد فزان لم يقتصر عليها ، فسأل أهلها هل من أحد وراءكم ؟ فقالوا له وراءنا قصر جاوان ، أو خاوار ، وهو عاصمة بلاد كاوار ، فسار إليه خمسة عشر يوماً ، فلما وصله دعا أهله إلى الإسلام فأبوا ، فطلب منهم الجزية فامتنعوا واعتصموا بمحصنهم ، فحاربهم ، وأقام على حصارهم شهراً فلم يقدر على فتحه ، فتركه وتقدم في الجنوب لفتح بقية بلاد كاوار ، ففتحها حتى أتى على آخرها ، وقبض على ملكهم وقطع إصبعه وقال له : إذا نظرت إلى إصبعك تذكرت فلا تحارب العرب ، وفرض عليه ثلاثمائة وستين رأساً من العبيد . . . وكان في نيته أن يتقدم إلى الجنوب وراء بلاد كاوار ، فسأل أهلها : هل وراءكم من أحد ؟ فقالوا لا نعلم أحداً ، فرجع . . . وفي رجوعه مر بقصر خاوار الذي كان استعصى عليه فتحه ، فوجد أهله ما زالوا معتصمين به ،

فلم يتعرض له ، وتجاوزه بنحو ثلاث مراحل ، حتى ظن أهله أنه لا يرجع إليهم ، فاستأمنوا وفتحوا أبواب الحصن . . . ونزل عقبة في مكان سمي بعد ذلك ماء الفرس<sup>(١)</sup> ، وكان قبل ذلك قفراً لا ماء فيه . . . وسبب هذه التسمية أن عقبة وأصحابه نفذ ما عندهم من الماء وعطشوا هم وحيواناتهم حتى قاربوا الهلاك . ومن عادات المسلمين إذا اشتد بهم الكرب لأي نازلة من نوازل الدهر لجأوا إلى الله بالصلاة والدعاء ، يستنزلون رحمته في تفريج ما نزل بهم ، فصلى عقبة وأصحابه ، ورفعوا أيديهم إلى السماء طالبين من الله أن يسقيهم - وكان عقبة مجاب الدعوة - وإذا بفرس عقبة تنبش الأرض برجلها حتى نبع الماء من محل النبش فكرعت فيه ، فأرأها عقبة تمص الماء ، فنادى في أصحابه أن احفروا الأرض ، فحفروا سبعين حسيماً فنبع الماء منها كلها ، فشربوها وسقوا حيواناتهم ، وأكرمهم الله بسبب إخلاصهم وجهادهم في سبيل الله ، ومن ذلك الوقت سمي هذا المكان ماء الفرس .

وقد استبشر عقبة بهذا الحادث ، فاعتزم الرجوع إلى قصر جاوان فربما أكرمهم الله بفتحه ، فلم يلبث بعد أن استراح قليلاً حتى رجع إليه هو وأصحابه ، وقد أيقن ساكنوه أن عقبة تركهم وذهب إلى سبيله ، فما شعروا حتى أصبحهم على غرة ، واقتحم عليهم الحصن ، فقتل مقاتلهم ، وغنم كل ما في الحصن ، وقفل هو وأصحابه حتى وصل زويلة ، وواصل سيره حتى وصل إلى معسكره بمغمداس بأرض سرت بعد أن غاب عنهم خمسة أشهر .

لم يلبث عقبة أن توجه إلى إفريقية ، واتخذ له طريقاً غير الطريق الساحلي جنوبي جبل نفوسة ، وأرسل خيلاً إلى غدامس ففتحها ، وواصل سيره إلى إفريقية . . . وقد رأى من الخير للمسلمين أن يتخذ لهم مدينة يتخذون منها مركزاً يلتمجئون إليه ، ويعتصمون به من الروم والبربر . . . ولما وصل إلى

(١) جاءت قصة ماء الفرس في المؤنس وغيره

مكان القيروان<sup>(١)</sup> وجد فيه أرضاً متسعة فيها كثير من أنواع الشجر ملتف بعضه على بعض ، تسكنها الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية ، وبقرها سبخة ، فاختارها منزلاً له ، ومكاناً لبناء المدينة التي اعتزم بناءها ، وقد شكوا إليه بعض الناس كثرة ما فيها من الوحوش والهوام ، فهاذا صنع عقبة لإزالة هذه الشكوى ؟ جمع من في عسكره من الصحابة وكانوا ثمانية عشر<sup>(٢)</sup> ، ثم ذهبوا إلى رأس الوادي ، ونادى عقبة بأعلى صوته : « يا أهل الوادي اظعنوا فإننا نازلون » ، وكررها ثلاث مرات ، فلم تنقض ثلاثة أيام حتى خرج كل ما في الوادي من الوحوش ، وكان الناس ينظرون إلى الذئب والحيات تحمل صغارها خارجة لا تلوى على شيء استجابة لدعوة عقبة رضى الله عنه . وقد أكرمه الله باستجابة الدعوة جزاء لاخلاصه وقوة إيمانه . . . وجاء في رياض النفوس أن عقبة قال في ندائه : « أيتها السباع ارحلوا فإننا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فنظر الناس ذلك اليوم إلى أمر عظيم : نظروا إلى السباع تخرج إليهم من الشعراء<sup>(٣)</sup> تحمل أشبالها ، والذئب يحمل أجراه ، والحية تحمل أولادها سمعاً وطاعة . ثم نادى عقبة في الناس : « كفوا عنهم حتى يرحلوا » . وروى أنه دعا للقيروان بعد أن اختطها بقوله : « اللهم املأها علماً وفقهاً ، واعمرها بالمطيعين والعابدين ، واجعلها عزاً لدينك ، وذلاً على من كفر بك ، وأعز بها الإسلام ، وامنعها من جبابرة الأرض » ، وروى عنه أنه اختار القيروان بعيداً من البحر خوفاً من أساطيل الروم ، واختارها قريبة من السبخة لانتفاع إبل العرب بما تنبت من عشب صالح لرعى الإبل .

شرح عقبة في بناء مدينة القيروان : وقال صاحب الحلل السننسية : بنيت القيروان سنة ٥٠ ، ويريد أنه شرع في بنائها . وبنى بها المسجد الجامع

( ١ ) القيروان معرب كاروان الفارسية . وتكلمت به العرب قديماً . والنسبة إليه قيرواني ، وقيروي . ويطلق على القافلة وعلى الجيش ومناخ القافلة ، وموضع اجتماع الناس في الحرب . ويظهر أنه أطلق على المكان لنزول الجيش فيه أو القافلة .  
( ٢ ) وفي طبقات علماء إفريقية كانوا ( ٢٥ ) .  
( ٣ ) الأرض كثيرة الشجر .

الذى ما زال معروفاً بمسجد عقبة وبنى الناس فيها مساكنهم . وتم بناؤها في مدة خمس سنوات : أى سنة ٥٥ .

القيروان أول مدينة إسلامية بنيت في إفريقية ، ومسجدها أول مسجد بنى في إفريقية أيضاً . وقد أصبحت بعد ذلك مأوى للمسلمين ومقر قيادة جيوشهم في أكثر الحروب التي وقعت بعد بنائها .

وكان بناء القيروان من أكبر أسباب تثبيت أقدام المسلمين في إفريقية ، لأنها أصبحت حصناً لهم ، ومأوى لحريمهم وأثقالهم . وأخذ البربر يفتدون عليهم فيها ، فكانت سبباً في اختلاطهم وبسبب هذا الاختلاط وجد العرب سبيلاً إلى بث الدعوة الإسلامية ، فأخذ البربر يتذوقونها .

وفي أثناء قيام عقبة ببناء مدينة القيروان كان يغزو الروم والبربر ، ويرسل سرايا إلى طرابلس وجهات إفريقية لاختضاع من نقضوا العهد ، وإرهاب من تحدته نفسه بالعصيان .

لم يحدثنا أحد من المؤرخين عما فعل عقبة بطرابلس في هذه الغزوة . وقد تقدم في ص ٧٧ أن ابن حديج عين عليها في غزوته الثانية رويحاً الأنصارى ، وأنه عاد من سنته تلك ، ويظهر أن طرابلس نقضت عهدها بعد أن غادرها رويح ، لأن عقبة كان يرسل إليها الخيل لغزوها ، ولكن لم يذكر لنا أحد متى فتحها .

وعلى أثر هذه الغزوة المباركة ، وببركة العرب المجاهدين أخذ الأمن يستقر كما أخذت نفوس البربر تطمئن إلى الإسلام وتأنس بتعاليمه ، فأخذ ينتشر بينهم وأخذ أمر الروم في الاضمحلال ، وضعف نفوذهم على البربر ، واستوطن بعض العرب إفريقية ، وكثر التجاء الروم إلى حصونهم الساحلية بعد أن ذاقوا مرارة ضربات العرب القائلة .

وعزل عقبة عن إفريقية سنة ٥٥ وتولاها بعده أبو المهاجر وسيأتى خبره ولمناسبة ذكر غدامس وفزان في فتح عقبة أحببنا أن نورد تعريفاً موجزاً بهما .



## غدامس :

بغين معجمة مضمومة ، وبدال مهملة ، أو ذال معجمة . . . واسمها البربري القديم « سيداموس » . وهي واحة من واحات طرابلس الصحراوية . ذات شكل مستدير تقريباً وتقع في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس على بعد ٥٠٠ كم ، على جهة المسامته . أما على الطريق الذي يمر بالعزيرية ، وبئر الغم ، وتيجي ، ونالوت ، ثم يذهب إلى سناون فتبعد عنها حوالي ٦٥٨ كم ، وفيها بساتين وكثير من النخل<sup>(١)</sup> . . . ويحيط بالمدينة والبساتين سور طول دوره نحو ستة كم ، وقطر دائرته من الشرق إلى الغرب ١٦٠٠ متر ، ومن الشمال إلى الجنوب ١٥٠٠ متر .

ويشرب سكانها ، ويسقون مزروعاتهم من الآبار ، ومن عين داخل السور قوية النبع ، عذبة الماء ، تصب في الدقيقة ٢٤٠٠ لتر من الماء ، وفي مائها ملوحة بنحو ٣٪ تقريباً .

وهي من أقوى مراكز الحضارة ، ولا يعرف زمن تأسيسها على التحديد . ويقال إنها معمورة من عصور ما قبل التاريخ . ووراء حدها الغربي يقع الحد بين طرابلس وتونس . ويفهم من بعض التواريخ أن المسيحية دخلتها زمن استيلاء البيزنطيين على الشمال الإفريقي .

وفي سنة ١٩ ق م احتلها الروم ، وبقيت تابعة لهم إلى الفتح الإسلامي وسكانها الآن خليط من الأصول العربية والبربرية ، ويتكلمون العربية والبربرية ويعرف بعضهم اللغة السودانية بسبب كثرة أسفارهم للتجارة إلى السودان . ودخلها المذهب الإباضي حينما دخل إفريقية في أوائل القرن الثاني للهجرة ، ولم يثبت أن تقلص منها في القرن الرابع وخلفه مذهب مالك .

(١) يقال إن عدده يتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين ألفاً

وتقع المدينة في الجنوب الغربي بداخل السور المحيط بها . وشوارعها ضيقة مظلمة منها ما هو مسقوف ، ومنها ما هو مقبوع على طراز المدن الصحراوية القديمة . وفي أيام الكاهنة البربرية كانت فيها دواميس وكهوف تحت الأرض اتخذتها سجوناً للمجرمين ، وكانت في كثير من الأزمان مأوى للمنشقين والخارجين عن طاعة السلطان .

وأكثر سكانها يعتمدون في معيشتهم على التجارة مع طرابلس وتونس ، والسودان ومصر ، وهم مهرة في التجارة ، وقليل منهم يعيش على فلاحه البساتين وما يغله نخلها الكثير من التمر . . . .

قال في الروض المعطار : وتعظم فيها الكمأة (الترفاس<sup>(١)</sup>) حتى تتخذ منها اليرابيع والأرانب جحوراً

وأكثر سكانها يتبعون على مذهب الإمام مالك ، وقليل منهم يتبعون على المذهب الأباضي . . . .

وقد فتحها عقبة مرتين ، مرة حوالي سنة ٤٢<sup>(٢)</sup> ، والمرة الثانية سنة ٤٩ ، إذا صح أنها فتحت سنة ٤٢ .

ومنذ الفتح الإسلامي صارت تابعة لطرابلس . ولما احتل الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠ م حاولوا أن يأخذوها من الدولة العثمانية ويلحقوها بالجزائر ولكن فشلت محاولاتهم وبقيت تابعة لطرابلس .

وفي سنة ١٨٤٢ م عين الأتراك فيها مديراً من طرفهم . وفي سنة ١٨٦٤ م رفيت إلى قائمقامية ، وعين فيها قائمقام .

(١) الترفاس كلمة متداولة في طرابلس تطلق على الكمأة

(٢) كان هذا الفتح في إحدى سراياها التي كان يغزو بها الأطراف وهو ببرقة .

## فزان

واحة من واحات طرابلس الجنوبية ، يحدها من الشمال الجبال السود « المروج » ، ومن الجنوب جبال التبو وحدود السودان ، ومن الغرب الطريق الذى يصل بين غدامس وغات ، ومن الشرق خط الطول فى الدرجة ١٨ . . . وطولها شرقاً وغرباً ٩٠٠ كم وشمالاً وجنوباً ٨٠٠ كم ، وارتفاعها على سطح البحر نحو ٥٠٠ متر ، وبها وديان يبلغ انخفاضها فى بعض الأماكن نحو ١٥٠ متراً تحت سطح البحر ومساحتها أكثر من ٣٠٠ ألف كم مربع وقد ساق عليها الروم حملتين : واحدة سنة ١٩ ق م والثانية سنة ٣٧ م حتى وطدوا حكمهم فيها .

وقد ذكرها جرير فى شعره فقال :  
 قفرٌ تُشابهُ آجالُ النعامِ به عيداً تلاقَتْ به فزانُ والنوبُ

والآجال جمع لجل ، وهو القطيع من بقر الوحش .  
 وفى زمن الفتح الإسلامى كان سكانها البربر وبعض السودانين ، أما الآن فسكانها خليط من أصول عربية وبربرية وسودانية ، وفيها قليل من الأصل التركى .

وفى كثير من الأحيان كانت محل تنازع بين سكان الشمال وسكان الجنوب وكان الغالب من الطرفين هو الذى يتولى أمرها حتى فى زمن العرب والترك ، وحينما تضعف السلطة الطرابلسية تستقل بنفسها ، وتحكمها أسرة من سكانها ، أو أحد المغامرين الذين يسعون وراء الشهرة ، ومن هؤلاء المغامرين أسرة بنى خطاب التى ملكتها بين القرن العاشر ، والثانى عشر الميلادى ، ثم ملوك كاتم ، وأولاد محمد من أصل مراكشى .

وأشهر بلادها : مرزق ، وكانت عاصمتها أيام حكم الأتراك ، وتقع إلى جنوبي سبته بمسافة ١٥٠ كم ، وسبته ، ومركزها سبته أو الحديد . وكانت عاصمة فزان قبل العهد التركي ، وتقع على الوادي الشرقي في قلب فزان . ولما احتل الطليان فزان نقلوا إليها العاصمة من مرزق . وبراك ، وهي في وادي الشاطئ شمالي سبته بنحو ٥٠ كم . وجرما ، وهي في الوادي الشرقي ، في الجنوب الغربي من سبته على مسافة ١٧٠ كم ، وهي مقابلة لجرما القديمة التي كانت عاصمة لفزان زمن الروم وما قبلهم<sup>(١)</sup> ، ولا تزال خرائبها موجودة وهي التي فتحها عقبة بن نافع سنة ٤٩ .

وجرما هذه كانت موطناً للجرمانيين ، وهم أمة قديمة كانت تسكن فزان<sup>(٢)</sup> والقطرون ، وسميت باسم وادي النظرون - مع قلب النون قافاً - والنظرون معدن يستخرج من هذا الوادي ، ويسمى عند سكان فزان « الطرونة » وهو مادة متحجرة بيضاء تشبه الشبة ترسب في ماء يوجد في هذا الوادي ، وتستعمل في الدباغ .

وأوباري : وهي في الوادي الغربي . وزويلة ، وكان الروم يسمونها « شيلالا » وتقع على مسافة ١٤٠ كم إلى الشرق من مرزق . وكانت عاصمة ملك المنطقة التي تسمى بها . وتسمى زويلة بنى خطاب<sup>(٣)</sup> الذين ملكوا فزان من أول القرن الرابع الهجري إلى سنة ٥٦٨ بناها عبد الله بن خطاب الهواري وسكنها هو وبنوعه سنة ٣٠٦ وهي منسوبة إليه<sup>(٤)</sup> ، وكانت عاصمة ملكهم ، ولذلك نسبت إليهم . . . وبنو خطاب من البربر من قبيلة هواره . . . وأديري ،

(١) انظر لبدة

(٢) ربما كانت منسوبة إلى جرمانة قبيلة بربرية من بني ما صلت ، بطن من بطون لواتة ، ودخلها شيء من التحريف

(٣) آخر ملوك بني خطاب هو محمد بن خطاب الذي قتله قراقش سنة ٥٦٨ ، حذبه حتى مات.

(٤) الروض المطار .

وتقع في وادي الشاطئ على مسافة ١٢٠ كم إلى الغرب من براك وكان حاكم فزان يسمى السلطان، وهي تسمية قديمة يظهر أنها سرت إليهم من السودان، لأنهم يطلقون كلمة سلطان على رئيس القبيلة .

وليس ببلاد فزان أنهار جارية ، وكل مزروعاتها - وهي قليلة - تسقى من الآبار بطريقة جر الدواب لآلات مخصوصة لانخراج الماء . . ومياها الجوفية كثيرة وقليلة الغور ، وهي تكفي لسقى أراضيها متى وجدت الأيدي العاملة . . . وتقل فيها الأمطار لأن منطقتها صحراوية . . وفيها من غابات النخيل شيء لا يحصى كثرة وفيها من أنواع التمر الجيدة ما لا يوجد في غيرها .

ونعود لوصل سلسلة الفتح ، ومن الذي تولاه بعد عزل عقبة عن إفريقية .

## الفتح السابع دينار أبو المهاجر

هو مولى مسلمة بن مخلد . . وكان معاوية بن أبي سفيان عين مسلمة والياً على مصر وإفريقية سنة ٤٧ ، وهو أول من جمعت له الولاية عليهما ، فولى مسلمة من قبله على إفريقية مولاه ديناراً أبا المهاجر سنة ٥٥ ، وأوصاه أن يعزل عقبة في لين وحسن معاملة ، ولكن أبا المهاجر لم يعمل بوصية مسلمة ، وأساء إلى عقبة ، وضيق عليه ، حتى أصبح كالأسير عنده ، وخرب ما أسسه في القيروان .

وحارب أبو المهاجر الروم والبربر ، وأسلم على يديه كسيلة بن لَمَزَم الأوربي البربري ، من أكبر رؤساء البربر إذ ذاك . . . ولما بلغ معاوية ما فعله أبو المهاجر بعقبة ، بعث في إشخاص عقبة إليه ، ولما وصل عقبة إلى مصر ركب إليه مسلمة بن مخلد ، وأقسم له معتذراً أنه أوصى أبا المهاجر به خيراً . . . وقد أشار بعض الناس على مسلمة أن يبقى عقبة على إفريقية فأبى . . . ويظهر من هذا أن مسلمة يريد إمارة إفريقية لنفسه ، ولكن لا نعتقد أن معاملة أبي المهاجر لعقبة تلك المعاملة السيئة كانت بإيحاء من مسلمة لأننا نستبعد أن يقسم مسلمة حائثاً في اعتذاره لعقبة . . . وكل ما في الأمر أن أبا المهاجر أساء التصرف مخالفاً رغبة سيده في الإحسان إلى عقبة . . . ولما قدم عقبة على معاوية اعتذر له معاوية مما فعل أبو المهاجر في ولايته سنة ٥٦ هـ (١) .

(١) قال في ثدرات الذهب : في سنة ٥٦ مات شيخ إفريقية وقاضيها ، وأول من ولد بها من المسلمين عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشيباني الإفريقي الزاهد الواعظ . روى عن أبي عبد الرحمن الحبل وطبقته ، وليس بقوى في الحديث .

## الفتح الثامن

### إمارة عقبة الثانية

كانت إمارة عقبة الثانية بدء دور جديد في فتح إفريقية ، ومبعث نشاط في البربر ما كان ملحوظاً قبلها . . . والذي يتتبع الحوادث منذ بداية الفتح على يد عمرو إلى إمارة عقبة الثانية لا يجد للبربر أثراً ملحوظاً في الدفاع عن إفريقية . وكل ملاقاه العرب من مقاومة كانت من الروم ، ولا يخلو الأمر أن يكون مع الروم جماعة من الأفارقة والبربر يؤدون مهمة الجند ، أو المحافظة على الأمن ، في الحصون والمدن ولكن لا توجد تلك التجمعات الكبيرة ، والجموع المحتشدة لرد غزو العرب مثل ما وقع أيام عقبة . . . وكل مقاومة الروم كانت في المدن الساحلية وما قاربها . وإذا نظرنا إلى الطرق التي كان العرب يسلكونها في غزوهم على إفريقية نجدها تمر في قلب بلاد البربر ، وفي وسط منازلهم . فكانوا يمرون ببرقة وهي موطن لواتة . ومنها يمرون بسرت وما بعدها إلى طرابلس وهي موطن هواة ، ويقع على يسار طريقهم إلى إفريقية جبل نفوسة ، ولم يذكره أحد بعد فتح شروس ، وهذه القبائل الثلاثة من أكبر وأقوى قبائل البربر ، ومع ذلك لم يذكر المؤرخون لهم أى نشاط عدائى ضد العرب قبل إمارة عقبة الثانية . . . فوجود هذه الكثرة من قبائل البربر في طريق العرب إلى إفريقية ، ولا يبدون مقاومة عنيفة في ردهم عن بلادهم دليل على أن البربر نظروا إلى فتح العرب نظرة لا تتفق مع رغبات الروم ، نتيجة لما لاقوه منهم من سوء معاملة واستبداد فظيع . وسرى للبربر بعد إمارة عقبة الثانية مواقف في مقاومة العرب حافلة بالشجاعة ، بل والاستماتة في الدفاع عن إفريقية . . . وأقرب ما يعلل به موقف البربر من الروم أن البربر كانوا مستائين من معاملة الروم واستبدادهم بهم ، فكانوا لا يبدون نشاطاً في نصرتهم . وقد انتهزوا فرصة غزو العرب فخلوا

بينهم وبين الروم تشفياً فيهم ، وأملا في أن تدول دولتهم التي استعبدتهم واستنزفت أموالهم ، ثم يكون لهم مع العرب شأن آخر .

ولكن البربر بعدما رأوا ملاحم سبيطلة بين العرب والروم ، وبعد أن قتل جرجير وهزمت جيوشه ، وكذلك بعدما رأوه من نشاط عقبة في فتح الجنوب ، وبناء القيروان وإرساله السرايا للغزو في جميع جهات إفريقية — بعد هذا كله تغير رأيهم في العرب وعلموا أنهم قوم لا تلين قناتهم ، وأنهم عازمون على جعل إفريقية عربية إسلامية مهما كلفهم ذلك من تضحية ، ومهما كان الثمن ، وأخذوا يتجمعون ضد العرب ، وأخذت مقاومتهم تشتد شيئاً فشيئاً ، وظهرت شدتها في تلك الجيوش التي قادها كسيلة الأوربي ضد العرب ، وفيما لاقاه عقبة من تلك الجموع الحاشدة .

\* \* \*

ونعود إلى الكلام على إمارة عقبة الثانية :

بقي عقبة بعيداً عن إفريقية نحو عشر سنوات ، وفي سنة ٦٢ ، وبعد أن توفي معاوية بنحو سنتين ولاه يزيد بن معاوية على إفريقية ، وعزل أبا المهاجر الذي كان أساء عزل عقبة وأهانها .

وقدم عقبة إفريقية ، وكان في مقدمة جيشه زهير بن قيس البلوي ، وما زال أبو المهاجر فيها ، فسلم الأمور إلى عقبة ، وقام بها خير قيام ، وقاتل الروم والبربر فكان موفقاً ، واصطحب معه أبا المهاجر ، وكان لا يمكنه من شيء حتى من القتال ، ويقال إنه كبله بالحديد ، وفي شعر أبي المهاجر الآتي ما يدل على ذلك .

ولما عزم عقبة على المسير من القيروان إلى المغرب لفتحها قال لبنيه :  
« يا بني إني بعت نفسي من الله ، ولا أدري ما يقضى علي في سنرى ،  
يا بني إني أوصيكم بثلاث خصال ، فاحفظوها ولا تضيعوها : املاؤا



صدوركم من كتاب الله فإنه دليل على الله . وخذوا من كلام العرب ما تهتدى به ألسنتكم ويدلكم على مكارم الأخلاق ، وأوصيكم ألا تداينوا ، ولو بعم العباء ، فإن الدين ذل بالنهار وهم بالليل ، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم ، ولا تقبلوا العلم من المغرورين فيفرقوا بينكم وبين الله ، ولا تأخذوا ديناً إلا من أهل الورع فإنه أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا<sup>(١)</sup> .

وتوغل عقبة في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى بحر الظلمات ، وكان أبو المهاجر برقفته ، وأدخل عقبة فرسه في البحر حتى وصل الماء إلى صدره ، وقال : « اللهم إني أشهدك ألا مجاز ، ولو وجدت مجازاً لاجتزت ، اللهم إنك تعلم أني إنما أطلب السبب الذي طلبه وليك ذو القرنين ألا يعبد إلا الله ، اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك<sup>(٢)</sup> » .

بعد أن وصل عقبة إلى البحر قفل راجعاً ، وفي أثناء رجوعه حاصرته قبيلة المصامدة في جبال درن ، فأنجده زناة في جموع هائلة ، وخلصته من الحصار ومر بمدينة تهود في أرض الزاب ، فدعا أهلها إلى الإسلام فلم يجيبوا فحاربهم وكان معه كسييلة ابن لَمَزْم البرنسي من قبيلة أوربة البربرية<sup>(٣)</sup> ومن زعماء البربر المشهورين وكان قد أسلم ، ولكنه ارتد - قالوا لمعاملة ساعته من عقبة - فأخبر البربر بقلة جيش عقبة<sup>(٤)</sup> وانضم إليهم ، وجمع جموعاً كثيرة لقتال عقبة .

(١) خلاصة تاريخ تونس .

(٢) هذا الدعاء مجموع روايات متعددة .

(٣) قال في سبائك الذهب : بنو أوربة : بفتح الهمزة والراء المهملة والباء الموحدة : بطن من البرانس من البربر ، وهم بنو أوربة بن برنس ، بن بربر ، غلب عليهم اسم أبيهم فقبل لهم أوربة .

(٤) قال العلامة حسن حسني في خلاصة تاريخ تونس : « ولما كان عقبة بوسط طريقه تقدمته جيوشه ولم يبق معه إلا نفر قليل من جملتهم كسييلة الزعيم البربري الذي كان أسيراً عند عقبة ، فاغتنم كسييلة تلك الفرصة ، وأعلم قومه بقلة المسلمين ، فهجم البربر فجأة على عقبة وأصحابه ، وكانوا نحو ثلاثمائة ، فقاتلوا قتال الأبطال ، وتكاثر عليهم العدو فاستشهدوا بجمعاً في مصرع واحد سنة ٦٤

وفي أثناء ما كان عقبة راجعاً سرح كثيراً من الجيش ليلحقوا بالقيروان . وفي ذات يوم كان عقبة في قلة من أصحابه نحو ٣٠٠ فتعرض لهم كسيلة في جموع هائلة من البربر وأحاطوا بهم من كل جانب . ولما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول الشاعر (١) :

كفى حزننا أن تُطعن الخيلُ بالقنا      وأتركَ مشدوداً عليّ وثاقيا  
إذا قمتُ عنائي الحديدُ وأغلقت      مصارعُ من دوني تصم المناديا

ولما بلغ ذلك عقبة أطلق وثاقه وقال له الحق بالمسلمين وقم بأمرهم ، وأنا أغتيم الشهادة ، فلم يفعل أبو المهاجر ، وقال : وأنا أيضاً اغتيم الشهادة ، ولما أيقن هو وأصحابه أنه أحيط بهم ، وألا مفر من الموت ، استلوا سيوفهم وكسروا أغمادها ، وقاتلوا حتى استشهدوا عن آخرهم رضي الله عنهم . وكان معهم أبو المهاجر . وما زالت قبورهم معروفة بمدينة تهود ، يزورها المسلمون ، ويتذكرون عندها تضحية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل دين الله . . . وكانت هذه الواقعة سنة ٦٣ (٢) . واجتمع على كسيلة البربر وعظم شأنه ، وكثرت جموعه ، وانتشرت الردة بين البربر .

### زهير بن قيس :

لم يكن بد للمسلمين من تولية رئيس عليهم بعد قتل عقبة ، فوقع اختيارهم على زهير بن قيس البلوي ، وعمر بن محمد القرشي ، واستمر العرب في قتال البربر ، وكان ابن الكاهنة من رؤسائهم البارزين فتغلبوا عليه ، وقتلوه هو وأصحابه . واشتدت خميته البربر ، وتألّبوا على العرب في جموع كبيرة ، فراجع زهير وأصحابه إلى القيروان ، وكان لمقتل عقبة أثر سيء على نفوس المسلمين ،

(١) قيل إن هذا الشاعر هو أبو عجمن الذي جاء يرسف في قيوده إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة الشجرة وردّه المسلمون إلى المشركين بمقتضى شروط كانت بين الفريقين .  
(٢) في خلاصة تاريخ تونس أن هذه الواقعة كانت سنة ٦٤ ، وسيأتى أن كسيلة دخل القيروان في المحرم سنة ٦٤ . وإذا فتكون الواقعة في أول المحرم ، ودخول كسيلة القيروان في آخره .

وظهر أثر ذلك على قوتهم المعنوية ، فإنه لما زحف كسيلة في جيوشه الكثيرة على القيروان حاول زهير أن يستنهض همم المسلمين للقائه ، فامتنعوا لكثرة ما كان معه من الجيوش ، فارتحل زهير وكثير من الناس إلى برقة وبقى بعضهم بطرابلس ، ودخل كسيلة القيروان في المحرم سنة ٦٤ .

وكانت القيروان قد مر على تأسيسها نحو أربع عشرة سنة ، فكثرت عمرانها وتم بناء مسجدها الجامع ، وأصبحت مأوى للمسلمين من العرب والبربر على السواء . ولم ينكل كسيلة بسكانها لأسباب قد يكون من أهمها صلة القرابة التي ما تزال بين من أسلم من البربر وبين قبائلهم الضاربة حول القيروان ، وصلة الدين التي بينهم وبين العرب . وقد يكون من أسباب عدم التنكيل بهم عدم المقاومة فخاف كسيلة اضطراب الأحوال إذا امتدت يده إلى سكان القيروان بسوء ، فأبقى عليها واكتفى بخروج زهير منها<sup>(١)</sup> . وبقى كسيلة في القيروان خمس سنوات واتفق هذا مع موت يزيد بن معاوية مع ما قارنه من فتنة الضحاك ابن قيس مع مروانية ففشيت الردة في زناتة والبرانس .

سار زهير إلى أن وصل برقة فنزل بها سنة ٦٤ . وتولى عبد الملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥ وقد استفحل أمر كسيلة في إفريقية ، فطلب الناس إلى عبد الملك أن ينظر في أمر إفريقية ، فقال : « ما أرى أحق بطلب دم عقبة من الروم والبربر من زهير لدينه وورعه » . وهذه شهادة من عبد الملك بمكانة زهير ، واحترامه . وكان قد مر على زهير في برقة نحو خمس سنوات . وقد أمده عبد الملك بالجيوش والأموال وهو في برقة ، وأمره بالسير إلى إفريقية لمحاربة البربر وحماية المسلمين فيها .

(١) في معالم الإيمان : جاء كسيلة مجذوعاً إلى القيروان ففر كثير من الناس ، وبقى فيها العجزة والمثقلون من أصحاب التجارة فأرسلوا إلى كسيلة يطلبون الأمان فأمهم

## ولاية زهير بن قيس

جاء في كتاب المؤنس « أن زهير بن قيس البلوى قدم إلى إفريقية والياً عليها من قبل عبد الملك ابن مروان سنة ٦٩ ، وقد أمدّه بالأموال والرجال والخيول ، وحشد له وجوه العرب » . وذكر في خلاصة تاريخ تونس أن زهيراً كان عاملاً على برقة لعبد الملك بن مروان .

سار زهير في الطريق الساحلى . وإذا استثنينا غزوة عقبة التى مر فيها بمغمداس ، وسلك فيها الطريق الذى يمر جنوبى جبل نفوسة قاصداً إلى غدامس ، ومنها ذهب إلى إفريقية نجد كل الغزوات فى فتح إفريقية سلكت الطريق الساحلى . ولا ندرى هل ترك زهير نائباً عنه فى برقة أولاً ، ولم يذكر أحد ماذا فعل فى طرابلس .

ولما قارب القيروان سمع به كسيلة ، فرحل عن القيروان خوفاً أن يثور به المسلمون ، الموجودون فيها انتصاراً لزهير ، وقال لمن معه : « إن هزمناهم إلى أطرابلس كان المغرب لنا الدهر ، وإن هزمونا كانت الجبال والصحراء قريبة منا نتحصن بها .

ودخل زهير القيروان بدون حرب ، ولم يكتف باحتلال المدينة ، بل اقتنى أثر كسيلة خارج القيروان . وفى اليوم الرابع من خروج كسيلة من القيروان صبحه زهير بجيش المسلمين ، وبعد أن صلى الصبح اشتبكوا فى حرب طاحنة حتى يثس الناس من الحياة ، وقتل كسيلة بممس ، وقتل من البربر خلق كثير ، وأمعن العرب فى مطاردتهم وقتلهم ، وحالوا بينهم وبين الجبال حتى لا يتحصنوا بها ، كما قدر كسيلة حيناً اقترح على من معه الرحيل من القيروان وكان البرانس - قوم كسيلة - طعمة لهذه المعركة الدامية . . وبعد معارك زهير مع البربر وقتل كسيلة كثر نزوحهم من إفريقية والتجأت جمهورهم إلى المغرب .

ورأى زهير أن مهمته قد انتهت ، خصوصاً وأنه أخذ بثأر عقبة بقتل

كسيلة ، وكان شديد الورع كثير العبادة ، فخاف أن تتأثر نفسه بنشوة النصر فتطمح إلى الحكم ، فرجع إلى المشرق ، وترك القيروان آمناً يسكنها كثير من العرب . . . وبسبب هذه المعركة ذل البربر ، واضمححل شأنهم ، ولزموا القلاع والحصون ورهبوا جانب العرب .

ولم نطلع على الأسباب التي دعت زهيراً لترك القيروان ورجوعه إلى المشرق وما زالت الحال في حاجة إلى توطيد حكم العرب - إلا أنه لشدة ورعه خاف أن تتأثر نفسه بنشوة النصر فتطمح إلى الحكم .

قلنا آنفاً لا ندري هل ترك زهير نائباً عنه في برقة أو في طرابلس ، وقد وجد الروم فرصة لقطع الطريق عن زهير عند رجوعه إلى الشرق ، فجهزوا جيشاً في صقلية واحتلوا به برقة ، وأساءوا معاملة المسلمين فيها وصاروا يترقبون رجوع زهير ، و يتربصون به ، ولو ترك زهير من يلي أمر برقة لما تمكن الروم من احتلالها ، ولاتخذ لكل ما يحدث من حركاتهم ما يحبطها ، ولكنه لم يفعل ، فكانت فرصة انتهزها الروم للغدر به وبالمسلمين في برقة . وهكذا كان .

يقول صاحب المؤنس إن زهيراً لما وصل إلى درنة عرج على طريق البحر في نفر قليل من أصحابه ، فرأى بعض المسلمين في أسر النصارى يحاولون إدخالهم في مراكزهم ، فاستغاثوا به فحاول إنقاذهم ، ولكن جموع الروم تغلبت عليه هو وأصحابه ، وقتلوا حتى استشهدوا عن آخرهم ، وكان ذلك سنة ٧١ . ووافقه على هذه الرواية صاحباً نزهة الأنظار والحلل السندسية . وسيأتي سبب آخر لاستشهادهم .

وقصة زهير هذه أشبه بقصة عقبة التي قتل فيها ، فهو بانحيازه إلى طريق الساحل في نفر قليل من أصحابه فعل كما فعل عقبة حينما أمر الجيش بالذهاب إلى القيروان وبقى في نفر قليل . وقد ذهب زهير ضحية هذا التدبير ، كما ذهب عقبة ضحية تدبير مثله .

وفي مثله يقول الشاعر :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتةً      تقوم مقام النصر إن فاته النصرُ  
وما مات حتى مات مضربُ سيفه      من الضرب واعتلت عليه القنا السمرُ

## الفتح التاسع حسان بن النعمان

بعد أن استشهد عقبة ، ورجع زهير إلى المشرق انتشرت الردة في إفريقية بين البربر كعادتهم في كل مرة بعد أن يرجع العرب إلى الشرق ، وتمردوا على العرب ، ونقضوا عهودهم ونزعت نفوسهم إلى الثورة ، قال بعض المؤرخين إن فتح حسان هو الفتح الحقيقي .

وكان حسان بن النعمان آن ذاك والياً على مصر من قبل عبد الملك بن مروان ، فأضاف إليه ولاية المغرب ابتداء من أجدابية ، ويشمل إفريقية كلها ، وكان ذلك سنة ٧٧<sup>(١)</sup> وأمره بالخروج إلى إفريقية لفتحها ، وأطلق يده في أموال مصر يعطى منها من شاء كيف شاء ، في جيش قوامه أربعون ألف مجاهد على رواية ابن عذارى وغيره . ويقول ابن الأثير إنه أكبر جيش دخل إفريقية فيما تقدمه من الغزوات . ولما وصل طرابلس نزل بها ، واجتمع عليه من كان خرج من إفريقية . . .

ويقول ابن عبد الحكم : وأرسل مقدمة جيشه إلى إفريقية برياسة هلال ابن ثروان اللواتي وزهير بن قيس البلوي فغزت بعض الأطراف ، وأصابته غنائم . . . وهنا نلاحظ أن زهيراً كان في مقدمة جيش حسان ، وهذا يخالف

(١) هذا التاريخ ذكره صاحب المؤنس ، وصاحب لب التاريخ وفي خلاصة تاريخ تونس وفي البيان المغرب أنه كان سنة ٧٨ . وذكر صاحب الخلاصة أنه عين سنة ٧٨ ، ودخل إفريقية سنة ٧٩ . وذكر ابن عبد الحكم أنه كان سنة ٧٣ . وفي الحلل السندسية سنة ٧٩ . وفي نزهة الأنظار سنة ٦٩ ، ودامت ولايته إلى سنة ٨٨ . ونجد بين بعض هذه التواريخ تضارباً كبيراً ، وبالرغم على ما بينها من اختلاف نجدتها مجمعة على دخول حسان إفريقية ، ونجد بينها شبه إجماع على تفاصيل ما حدث له فيها

ما تقدم من أنه استشهد في رجوعه إلى المشرق بعد قتل كسيلة ، ويؤيد قصة استشهاده الآتية .

ويظهر أن طرابلس بقيت على عهدنا مع العرب من أيام عقبة فمر بها حسان آمناً مطمئناً . ويؤيد هذا أن أحداً من المؤرخين لم يذكر أن حساناً فتحها في هذه الغزوة ، وأيضاً فقد قدمنا أن صلها ببرقة أصبحت أقوى من صلها بحكم جرجير في إفريقية . وأيضاً فإنه لما هزمت الكاهنة نزل في أراضيها الشرقية . وإذا نظرنا إلى أن هلال بن ثروان هو أول بوبري مسلم تسند إليه رئاسة جماعة من العرب الفاتحين دلنا هذا على أن البربر أصبحوا يطمثون للعرب الفاتحين وللدن الجديدي .

وصل حسان إلى القيروان ودخلها بدون أن يعترض سبيله أحد<sup>(١)</sup> ، وهذا يدل على أن الروم لم يدخلوها بعد أن غادرها زهير ، ويؤكد أنها بقيت على ولائها ويرجح أن طرابلس بقيت أيضاً على مثل هذا الولاء .

ولما استقر حسان سأل أهل القيروان عن أعظم الملوك في إفريقية ، فدلوه على حاكم قرطاجنة ، وكانت أكبر مدينة في الشمال الإفريقي ، وبها خلق كثير من الروم والبربر ، وكانت في منعة من كثرة الجند والحصون القوية ، وقربها من البحر فغزاها حسان ، وقاتل أهلها دونها قتال المستميت . وطال حصارها . وهدم العرب قناتها التي كانت تأتيها بالماء من جبل زغوان فقطع عنها الماء . ولم يزل بها العرب حتى فتحوها عنوة ، وخرّبوا بعض أبراجها حتى لا يحتجى بها الروم والبربر مرة ثانية . وقتل فيها خلق كثير . وفر بعض أهلها في السفن البحرية إلى صقلية

(١) يقول صاحب معارك الإسلام الكبرى : « رسم حسان خطة خاطفة للقضاء على الروم بالاتجاه بقواته مباشرة إلى عاصمتهم قرطاجنة ، وكانت على درجة كبيرة من المناعة ، فحارب حوطاً الحصار ، ثم اقتحمها بقواته ، وترك بها حامية صغيرة وانصرف عائداً إلى القيروان ، وفي طريقه إلى العاصمة الإسلامية ( القيروان ) جاءته الأنباء بأن سكان قرطاجنة تمكنوا من احتلال المدينة بمعاونة البربر وطرّدوا حاميتها ، وأسرعوا إلى تحصينها فعاد بقواته مسرعاً حيث حاصرها مرة أخرى وافتتحها عنوة ، ثم أمر بتخريبها وهدمها . »  
ويؤخذ من هذا أن حساناً قصدتها رأساً وأنها فتحت مرتين .

والأندلس . ولجأ بعض البربر إلى برقة ، ورجع حسان بجيشه إلى القيروان .  
وانتهوا من فتح قرطاجنة سنة ٧٨ .

وهذه أول غزوة عربية على قرطاجنة ، لأن العرب كانوا يتحاشونها لمناعتها  
وقربها من البحر . وكانت تعتر بما حولها من المدن ، حتى إذا ما تداعت  
الواحدة تلو الأخرى انفسح الطريق بينها وبين العرب ، ووجد حسان القوة  
الكافية لمهاجمتها ، فهاجمها ووفق في فتحها .

ثم سأل حسان ؛ هل بقي أحد من البربر له شوكة ؟ فقالوا له : امرأة  
ساحرة بجبال أوراس تسمى الكاهنة ، فإن قتلها دان لك المغرب كله .

### الكاهنة

امرأة بربرية ذات حول وسلطان على البربر ، احترفت السحر والكهانة  
ومن هذا الطريق اكتسبت سلطانها . . اسمها داهيا بنت ماتيا<sup>(١)</sup> الزناتية .  
أو بنت ينفاق ، أو بنت تابتة . وقال ابن خلدون : اسمها دها . وهي من قبيلة  
جراوة ، من زناتة القبيلة البربرية المشهورة . ويقال إن جراوة تهودت قبل الإسلام .  
وكانت الكاهنة بارعة في علم الكهانة ، تستوحى الشياطين علم ما غاب  
عنها . وكانت قوية الإرادة ، شديدة البطش ، استطاعت بقوتها أن تملي  
إرادتها على البربر وتحكمهم . وقد أضفت على نفسها - من طريق الكهانة -  
صفة البركة والولاية ، فكان العامة يعتقدون فيها ذلك . وقد أمكنها أن  
تهيمن على عقولهم من هذا الطريق ، طريق الدجل والشعوذة ، واستعملت  
سلطانها إلى أبعد حد في تمكين هذه الحقيقة من عقولهم ، وبذلك سهل عليها  
أن تسودهم وتسيطر عليهم . . . وقد شمل نفوذها أكثر إفريقية ، وكان الروم  
يهايونها ، واستغلوها ضد العرب إلى أبعد حدود الاستغلال ، ويطيعها البربر  
طاعة عمياء . . . وهي تقيم بجبال أوراس<sup>(٢)</sup> .

(١) في خلاصة تاريخ تونس : دهايا بنت تابتة .

(٢) الأوراس : سلسلة جبال في الجنوب الشرق من قسنطينة بالجزائر .



وقد رأى حسان أنه لا بد له من القضاء على هذه الكاهنة حتى يمكنه فتح إفريقية ونشر تعاليم الإسلام فيها ، فجمع جيشه وغزاها بجبال أوراس ، والتحم الفريقان في معارك كانت دامية ، وكانت من أشدها معركة وادي سكتاتة ، فقد نزل فيها البلاء بالمسلمين ، وهزم حسان وجيشه ، وقتل من العرب خلق كثير ، وأسر منهم ثمانون رجلاً . ومن شدة ما نزل بهم سمي ذلك اليوم يوم البلاء ، وسمى الوادي وادي البلاء . . . وأفلت حسان مع من بقي من جيشه ، والتجأ إلى جهة طرابلس . وطاردته الكاهنة حتى حدود قابس الشرقية ثم رجعت ولم تدخل القيروان . . .

وأرسل حسان بنخبر هزيمته إلى عبد الملك وقال له : « إن أمم المغرب ليس لها غاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية ، كلما بادت أمة خلفتها أمم ، وهم من الحفل والكثرة كسائمة النعم<sup>(١)</sup> » . فأرسل إليه عبد الملك أن ينتظر حيث أدركه كتابه ، فأدركه في أراضى سرت من الناحية الغربية ، فأقام بها خمس سنوات ينتظر المدد ، وبنى بها قصرين ما زالت آثارهما تعرف بقصور حسان وأتاه المدد سنة ٨٤ .

وبعد هزيمة حسان استرد الروم قرطاجنة ، وأنزلوا فيها حامية كبيرة بقيادة البطريرق يوحنا سنة ٧٨ وقد تقاسم النفوذ مع الكاهنة ، فاهتم هو بإعادة سيطرة الروم على الساحل ، وترك ما وراء الساحل من الجنوب للكاهنة ونحلا الجول الكاهنة في إفريقية ، وعاد نفوذها عليها ما عدا القيروان ، وأحسننت إلى من أسرتهم من العرب ، وأطلقت سراحهم .

وقد علمت - من طريق الكهانة - أن العرب سيتغلبون عليها ويزيلون ملكها ، فأبقت لديها من الأسرى خالد بن يزيد العبسي ليكون لها واسطة عند العرب إذا ما أحرق بها الخطر ، وكان وسم الوجه حسن الطلعة ، وقد أرادت أن يكون لها محرماً لتتمكن من التحدث إليه كابن لها ، وهي له كأم ، و

يكن أمامها ما يحقق هذه الرغبة إلا طريق الرضاع ، فقالت له أريد أن أرضعك لتكون أماً لولدي ، فقال لها كيف يكون ذلك وقد ذهب منك الرضاع ؟ فقالت له : إننا جماعة البربر لنا رضاع نتوارث به إذا عملناه ، ثم عمدت إلى سويق من دقيق الشعير فلتته بزيت - وهو ما يسميه المغاربة بسيسة - ثم جعلته على ثديها ، ثم أمرت ولديها أن يأكل مع خالد من ذلك الدقيق الملتوت بالزيت ، فقالت لهم : « أنتم إخوة من الرضاع » .

### خراب إفريقية :

رأت الكاهنة - في تفكيرها الخاطيء أن العرب إنما يأتون إلى إفريقية طمعاً في ثروتها وخيراتها ، فأشارت على قومها بأن العرب إنما يأتون إفريقية طمعاً في أشجارها وثمارها ، ويقصدون المدن طمعاً فيما فيها من الذهب والفضة ، ونحن إنما نريد من إفريقية المزارع والمراعي والحيوانات ، فإذا ما قطعنا أشجارها وخربنا مدنها وقراها انقطع العرب عن غزوها ، فالرأي عندي تخريب المدن والحصون وقطع الأشجار حتى تنقطع أطماع العرب<sup>(١)</sup> - وكانت إفريقية بساتين مزروعة ، ومروجاً خضراء ، وقرى متصلة ، ومدناً منظمة من طرابلس إلى طنجة - فأرسلت عمالاً إلى كل ناحية يقطعون الشجر ، ويحرقون الغابات والأحراش ، ويهدمون القرى والمدن ، حتى أتت على كل ما فيها من عمران ، وتركتها خراباً يباباً من طرابلس إلى طنجة ، وانعدم العمران الإفريقي كله ، فاضطر كثير من البربر والروم إلى الجلاء عن إفريقية إلى الأندلس وجزائر البحر الأبيض . . . وقد ضربت الكاهنة بهذه السياسة النسائية الحرقاء الرقم القياسي في الجهل بمعرفة مقاصد العرب وتقدير العواقب ، فكان عملها هذا أقوى معول استعمل في هدم ملكها وزوال سلطانها . واستاء الروم والبربر مما فعلت ، وفترت عزائمهم في الدفاع عن إفريقية ، لأنهم إنما كانوا يدافعون عن أملاكهم وموارد رزقهم ، وحيث إن الكاهنة أتت على

(١) خلاصة تاريخ تونس .

ما فيها من موارد الثروة وجمال العمران وتركهم ضحية للفقر والجوع فليس من سبب يدعوهم إلى بذل أرواحهم من أجل أرض أصبحت خراباً بلقماً . وذهب كثير منهم إلى حسان يشكون إليه فعل الكاهنة ويستنجدون به عليها فأكرم وفادتهم ، وانتهزها فرصة للانتصار بهم على الكاهنة . فأجاب طلبهم .

وكانت الكاهنة تهدف بعملها هذا إلى صرف أنظار العرب عن إفريقية وهماً منها أنهم إنما يترددون عليها للسلب والنهب . وفاتها أنهم إنما كانوا يغزون إفريقية لنشر تعاليم الإسلام ، وإنقاذ البربر من ظلمات الوثنية وما كانوا فيه من شرك ، ولذلك فإن عملها جاء بضد ما قصدت إليه ، وكان سبباً في فشل سياستها الحرقاء (١) .

واتصل حسان بخالد سرّاً يستفسر منه عن أمر الكاهنة والبربر ، فكتب إليه في ظهر كتابه : « إن البربر متفرقون لا نظام لهم ولا رأى عندهم ، وإنما ابتلينا بأمر أراد الله عز وجل أن يكرم به من مضى ، فاطو المراحل ، وجد في السير ، فإن الأمر لله ، ولن يسلمك إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » (٢) .

وجاء المدد من عبد الملك إلى حسان سنة ٨٤ بأربعين ألف مقاتل . ورأى حسان الفرصة سانحة لإعادة الكرة على الكاهنة لتذمر البربر من أعمالها ولوصول المدد فجمع جيشه وسار إلى إفريقية ، ولقيه الروم والبربر مستنخئين به مما فعلت

(١) إن ما قامت به الكاهنة من أعمال التخريب في إفريقية هو أساس خرابها . وقد زاد في خرابها تلك الحروب الطاحنة المتوالية فما كانت تنتهي من حرب حتى تنشب أخرى ، فلم تنح لأهلها فرصة يستردون فيها ما فقدت من منابع الثروة وسائل العمران . وقد أسس فيها حسان مبادئ عمران ، وأحدث فيها الأغلبة من وسائله كثيراً ، ولكنها لم تعد إلى ما كانت عليه .

(٢) ذكر هذا صاحب الحلال السندسية . ويقال إن خالداً أرسل الجواب في رغييف من خبز الملة ، فأخبرت قومها بأن زوال ملكهم في شيء يأكلونه . وأرسل جواباً آخر في قربوس السرج ، فأخبرتهم بأن زوال ملكهم في خشبة .

الكاهنة ، فاستبشر خيراً وتقدم لملاقاتها ، والتقى بجيشها بقصر أبلج<sup>(١)</sup> - وكانت متحصنة فيه - ونشبت بينهما حرب قاسية ظن أنها الفناء ، وظهر الضعف على جيوش الكاهنة . . . وكانت أخبرت ولديها ويزيد بن خالد العبسي أنها مقتولة لا محالة ، وكأنها ترى رأسها يركض به فارس إلى جهة المشرق . فقال لها خالد وابناها : إذا كان الأمر كذلك فاتركي البلد لحسان وارجعي بنا ، فقالت كيف أفر وأنا ملكة والملوك لا تفر ، فأقلد قومي عاراً إلى آخر الدهر ؟ فقالوا لها : ألا تخافين على قومك ؟ ، فقالت إذا أنا مت فلا أبقى الله منهم أحداً . ولما أحاطت بها جيوش العرب وعلمت أنها مقتولة لا محالة طلبت من خالد بن يزيد أن يطلب الأمان لابنيها من حسان ، وقالت له : « إنما تبنيتك لمثل هذا اليوم » ، وأمرت ولديها وخالد أن يذهبوا إلى حسان ، فذهبوا إليه ليلاً ، وأخذ لهما خالد الأمان ، وقال لحسان : لقد علمت من طريق الكهانة أنها مقتولة . . . ولما احتدم القتال نزلت إلى المعركة بنفسها نائرة ناشرة شعرها ، وقاتلت حتى انهزمت فتبعها حسان حتى قتلها بمكان ما زال يعرف ببئر الكاهنة بقرب جبال أوراس ، وهو موطن جراوة قبيلة الكاهنة . . . وقيل قتلها بطبرقة . ويقال إن حساناً قطع رأسها وأرسله إلى عبد الملك سنة ٨٤<sup>(٢)</sup> . . . وبعد قتلها أخذ البربر إلى الطاعة واطمأنت نفوس أكثرهم إلى الإسلام .

وطلب البربر الصلح من حسان ، فاشتراط عليهم أن يقدموا له اثني عشر ألفاً من المحاربين يكونون في صفوف الجهاد ، فرضوا بذلك ، وولى عليهم

(١) قصر أوحسن أبلج ، هو من أشهر حصون إفريقية وأمنعها ، يبلغ علوه مائة ذراع ، ودوره ميل حوصرت فيه الكاهنة . وجاء في رحلة محمد بك فريد أنه ما بين صفاقس وسوسة ، وهو بقايا تياترو روماني قديم ضخيم البناء ، ويتكون من ست طبقات كلها من الحجر . وتوجد بجواره قرية عربية تسمى أبلج . وهذه القرية أقيمت على أطلال مدينة رومانية تسمى تيدروس . . . وقال في خلاصة تاريخ تونس : أبلج ، واسمها الروماني تودروس مدينة صغيرة بعمل المهدي في منتصف الطريق بين سوسة وصفاقس ، اشتهرت بأنها ملعب لمبارزة الحيوان : طوله ١٥٠ متراً وعرضه ١٢٥ ، وارتفاعه ٣٦ متراً ، وهو من أكبر المراسح الموجودة في العالم ، وما زال هذا البناء قائماً يقصده السياح من جميع الأفاق .

(٢) يقال إنها كانت ضخمة الجسم جداً ، حتى إنها لما قتلت قال من رآها : إن الأترجة يمكن أن تندرج بين كتفيها وعجيزتها لكثرة اللحم حول فقار ظهرها .

ابن الكاهنة ، كل واحد على ٦٠٠٠ ، وأرسلهم إلى المغرب للجهاد يقاتلون الروم ومن لم يسلم من البربر . وكان مقتل الكاهنة في رمضان سنة ٨٤ (١) ، وحسن إسلام كثير من البربر ودانوا بالطاعة . وبموت الكاهنة وجلاء الروم عن قرطاجنة دانت إفريقية بأسرها للعرب ، وانتهى الصراع الدامي الذي استمر أكثر من ستين سنة بين العرب من ناحية ، والروم والبربر من ناحية أخرى . وبعد قتل الكاهنة توجه حسان بجيشه إلى قرطاجنة للقضاء على الروم ، وبعد معركة عنيفة سقطت في يد العرب ، وهزم البطريق يوحنا فجمع من بقي من جنوده في أسطول وعاد بهم إلى القسطنطينية . وكان هذا آخر عهد الروم بإفريقية وودعوها الوداع الأخير .

وتفرغ حسان لتنظيم الإدارة الإفريقية فدون الدواوين ، وجعل اللغة العربية في دواوين الحكومة هي الرسمية ، ووزع الأراضي على فقراء البربر بعد أن كانت ملكاً للحكومة البيزنطية ، فازدادوا رغبة في الإسلام . وفرض الحراج على الأراضي ، وجدد بناء جامع القيروان . وبإصلاحات حسان انتعشت إفريقية وكثر عمرانها ولا شك أن هذا الإصلاح شمل طرابلس لأنها كانت تابعة للقيروان إذ ذاك . ويمكن القول بأن أعمال حسان في إفريقية كانت بداية لنهاية فتحها ، لأن ما وضعه حسان من نظم مبدئية ، وإشراك البربر في الفتح ، وفي رياسة الأجناد ، وما لمسوه من مساواتهم بالعرب في الحقوق - كل هذا كان سبباً في اطمئنان نفوسهم نحو العرب ، وميلهم لاعتماد الإسلام ، وقوى أملهم في الاستقرار فأخذوا يعملون - باعتمادهم الإسلام وانحيازهم إلى صفوف العرب - لقتال الروم ومن انضم إليهم من الأفارقة والبربر للتعجيل بقطع دابر الفتنة واستتباب الراحة .

وحكمت الكاهنة البربر خمساً وثلاثين سنة ، وعاشت مائة وسبعاً وعشرين سنة وبعد قتلها تشتت شمل البربر ، ولم تبق لهم رياسة تجمعهم مما

( ١ ) قال في البيان المغرب : إن غزوات حسان وقتله الكاهنة لم تضبط تواريخها ، وأن عزل حسان بن النعمان ، وتولية موسى بن نصير كانا من عهد العزيز ، وبدون إذن أخيه عبد الملك .

سهل انضمامهم إلى حسان وغيره من رؤساء العرب الفاتحين . . . وكان وجودها ووجود كسيلة أكبر عقبة في تقدم الفتح الإسلامي . وبعد موتها أخذ الإسلام في الانتشار ، وقواعده في الرسوخ . . . وأخذ البربر يشاركون في وضع الخطط في إفريقية ، وصاروا يقتسمون النىء مع المجاهدين ، وحسنت طاعتهم .

ورجع حسان إلى القيروان وأقام بها ، واستقامت له الأمور ، وهو أول من دون الدواوين ، ووضع الخراج على الروم ، وعلى من بقى من البربر معهم على دين النصرانية ، وجدد جامع القيروان في رمضان سنة ٨٤ ما عدا المحراب .

ورجع حسان إلى المشرق ومعه ما غنمه من إفريقية ، وكان شيئاً كثيراً . ويقال إنه كان معه من سبي البربر خمسة وثلاثون ألفاً . . . ووتى على الصدقات حنش بن عبد الله الصنعاني ، واستخلف على إفريقية رجلاً من جنده يقال له صالح .

ولما مر ببرقة ولى على خراجها إبراهيم بن النصراني ، واستمر في طريقه إلى أن وصل إلى مصر ، فتلقيه عبد العزيز بن مروان ، وأخذ كثيراً مما معه من الغنائم التي كان يريد تسليمها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان في دمشق . . . وكان حسان أدرك هذه النتيجة من عبد العزيز فأخفى كثيراً من الذهب والجواهر في قرب الماء ، ولولا هذه الحيلة لما أفلت من عبد العزيز إلا بما عرفت عنه نفسه .

وسار حسان إلى دمشق حيث الخليفة عبد الملك ، وترك زهير بن قيس في مصر مع عبد العزيز بن مروان . وسر عبد الملك بغنائم حسان وكثرتها ، وكان من بين الغنائم وصائف بربريات كثيرات ذات جمال بارع وحسن رائع . وقد ازداد فرحه حينما أفرغ بين يديه ما كان معه في القرب من جواهر وذهب .

ومن المؤرخين من يروى أن حسان وصل إلى دمشق بعد وفاة عبد الملك وتولى الوليد الخلافة . ويقول صاحب هذه الرواية إنه لما رأى الوليد كثرة ما معه من الغنائم عرض عليه أن يرده إلى عمله في إفريقية فأبى ، وقال : « لا ألى لبني أمية » ، لما رآه من تعسف عبد العزيز معه في مصر .

## مقتل زهير بن قيس

هذه رواية ابن عبد الحكم في سبب قتل زهير وأصحابه تخالف الرواية الأولى :  
 بعد أن غادر حسان برقة لم تلبث الأمور فيها أن اضطربت ، ونقض الروم  
 عهدهم وثاروا على من فيها من المسلمين والعرب واحتلوها ، وفر إبراهيم بن  
 النصراني وترك برقة وأهل ذمتها في أيدي الروم فاستبدوا بحكمها ، وبلغ خبرها  
 عبد العزيز بن مروان بمصر ، فندب لها زهير بن قيس ، فجمع نحو سبعين  
 مقاتلا ، ولكن عبد العزيز لم يمهل حتى يجمع عدداً كبيراً من المقاتلين وألح  
 عليه في الخروج ، فخرج زهير مغاضباً له وقال له : « أنا خارج لا ردى الله  
 إليك » فلما بلغ درنة لقيه الروم في جموعهم الكثيرة ، ولم يكن مع زهير إلا  
 أصحابه السبعون ، فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى استشهدوا عن آخرهم (١) . وما زالت  
 قبورهم مشهورة بدرنة ، وتعرف بقبور الصحابة تقصد للزيارات ، وتلمس  
 عندها الرحمات . . . هذا ملخص رواية ابن عبد الحكم . . . وبينها وبين الرواية  
 التي تقدمت خلاف ؛ فإن في هذه الرواية كان زهير عاملاً لعبد العزيز ، أما في  
 الأولى فكان عاملاً لعبد الملك .

ويمكن القول بأن زهيراً لم يقتل حينما كان راجعاً من غزو إفريقية في المرة  
 الأولى ، بل مر ببرقة وذهب إلى دمشق ، لأنه يستبعد أن يمثل الدور الذي  
 وقع لعقبة وهو أن يبقى في نفر قليل من أصحابه ويدخل ديار العدو ، ويترك  
 بقية الجيش تسير في طريق آخر ليفاجئته العدو مثل ما فاجأ عقبة ، وكان  
 حاضراً مع عقبة ، ووقع الحادث على مرعى منه . . . ويبعد كذلك أن يقتل زهير  
 وأصحابه ولا تقوم بقية الجيش بأى عمل لإنقاذه ، أو للأخذ بثأره . . . وبعد أن  
 تجاوز حسان برقة إلى مصر احتل الروم برقة ، وابتدأت الرواية الثانية .

( ١ ) ذكر بعض المؤرخين أن قتلهم كان سنة ٧٦ وهو يختلف مع ما قبله .

ومما يرجح صحة الرواية الثانية أن زهيراً خرج مغاضباً لعبد العزيز ، وكان معه نفر قليل ، ومن المعقول تغلب الروم عليهم ، ولم يكن في الرواية الأولى ما يشبه حديث زهير مع عبد العزيز حتى نقول إنه اشتبه الأمر على الراوى ، فنسب ما في إحدى الروايتين للأخرى ، بخلاف وجوده ببرقة فقد كان في المرة الأولى والثانية ، وهذا هو محل الاشتباه بين الروايتين فاشتبه الأمر على بعض الرواة ، فبعضهم نسب قتله لوجوده في المرة الأولى ، وبعضهم نسبه لوجوده في المرة الثانية . . . وقرائن الأحوال تدل على صحة الرواية الثانية . ويؤكد صحتها وجود زهير مع حسان في إفريقية ، وأن حسان لما رجع إلى الشرق كان معه زهير وتركه في مصر مع عبد العزيز ، ولا يوجد مثل هذا في الرواية الأولى حتى يكون موضع اشتباه .

### عطية بن يربوع

لم يذهب دم زهير هدراً . فإنه بعد قتله انتدب لقتال الروم في برقة عطية ابن يربوع المذحجى ، واستغاث ببعض المسلمين الذين كانوا منتشرين في بادية برقة وحوالى درنة ، فاجتمع حوله نحو ٧٠٠ رجل ، وزحف بهم على الروم فقاتلهم حتى هزمهم ، ولم ينج منهم إلا من فر بالسفن في البحر . وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان بمصر ، فأرسل عبده طارقاً في جماعة من أشرف مصر ليتولى أمور المسلمين بدرنة ويصلى بهم<sup>(١)</sup> ، ولكن الناس استاءوا من أن يحكمهم ويصلى بهم عبد ، ووصل خبر ذلك إلى عبد العزيز ، فأرسل إلى طارق يعتقه ، وأقام بدرنة . وقصة محاربة عطية بن يربوع للروم انتقاماً لزهير مما يرجح الرواية الثانية .

تقدم أن حسان بن النعمان قال للوليد : لا ألى لبني أمية . وعلى رواية من

(١) كانت عادة المسلمين في صدر الإسلام أن يصلى بهم الحاكم . وكانت الإمامة من وظائفه .



يقول إن حسان وجد عبد الملك في دمشق ، فإنه يقول أيضاً إن عبد الملك أقر حسان على إمارة المغرب وأمره بالرجوع إليه ، ولما وصل حسان إلى مصر طلب من عبد العزيز أن يخلع طارقاً عن ولاية درنة فأبى ، فقال له حسان : إذا أرجع إلى عبد الملك ، فقال له ارجع ، وكان عبد العزيز يريد أن يولى على المغرب موسى بن نصير . ورجع حسان إلى الشام لمقابلة عبد الملك ، ولكن عبد الملك ما لبث أن توفي .

## الفتح العاشر

### موسى بن نصير<sup>(١)</sup>

كان عبد العزيز بن مروان يمانع في رجوع حسان إلى إفريقية ، ويريد أن يولى عليها موسى بن نصير لصداقة بينهما ، فولاه عليها ، وقدمها سنة ٨٨<sup>(٢)</sup> وكان بها صالح الذى استخلفه حسان فعزله .

وكانت فتوحات حسان قد مهدت لموسى بن نصير ، وأخذت الأحوال تستقر ، ووجد موسى القيروان هادئة ، ونهض لقتال الروم ومن يناصرهم من البربر والأفارقة ، واستمرت فتوحاته إلى الأندلس ، وأرسل إلى عبد العزيز بن مروان بمصر غنائم كانت كثرتها محل إعجاب الناس وتقديرهم لشجاعة موسى ابن نصير ، وأعجب به عبد العزيز أيما إعجاب .

ورجع موسى إلى المشرق سنة ٩٤ أو سنة ٩٥ بطلب من الوليد . وقد نكبه الوليد نكبة ما زالت يضرب بها المثل في عدم الوفاء للمخلصين ، أدت به إلى الفقر المدقع بعد تلك الغنائم التى يضرب المثل بكثرتها .

(١) هو أبو عبد الرحمن اللخمي ، ولد سنة ١٩ للهجرة . وهو من كبار التابعين . وكان كريماً وشجاعاً مع معرفة بأمور الحرب ، قيل إنه لم يهزم له جيش قط . وتوفى وهو في طريقه إلى الحج مع سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ أو ٩٧ .

(٢) ذكر هذا التاريخ صاحب « لب التاريخ » . وذكر غيره أنه كان سنة ٧٨ أو ٧٩ ، وهذا لا يصح ، لأن حساناً كان في هذا التاريخ موجوداً في إفريقية . وقال في نزعة الأنظار إنه كان سنة ٧٩ ، ونقل فيها عن جذوة المقتبس أنه كان سنة ٩٧ وهذا غير صحيح لأن موسى توفى سنة ٩٠ أو ٩٧ . . وهذا تضارب كبير ، وتفاوت كثير بين هذه التواريخ ، والذي يرجع إلى تاريخ وجود حسان في إفريقية يظهر له ترجيح مجيء موسى إليها سنة ٨٨ . وجاء في خلاصة تاريخ تونس للعلامة حسن حسنى أنه كان سنة ٨٥ .

وموسى بن نصير أول من عنى بتعليم البربر القرآن وعلوم الدين . فقد قال ابن خلدون : « ارتد البربر في إفريقية عن الإسلام اثنتا عشرة مرة ، ولم يثبتوا على الإسلام إلا في عهد موسى بن نصير » . وفي زمنه أخذت الأحوال تستقر في طرابلس<sup>(١)</sup> .

## ولاية بكر بن عيسى القيسى على طرابلس

كانت طرابلس قد شملها الهدوء الذي شمل القيروان . وجاء موسى وهي على الحال التي تركها عليها حسان . ولم نعلم اسم من عينه حسان عاملا عليها وقبل أن يغادر موسى إفريقية ولي على طرابلس بكر بن عيسى القيسى ، واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله ، وعلى الأندلس ابنه عبد العزيز . . . . وكان معه في غزوته على الأندلس المنذر الصحابي . ورجع المنذر من الأندلس إلى طرابلس ، وتوفي بها ، وقبره مشهور لا يختلف فيه اثنان .

والمنذر - بصيغة التصغير - يمانى ، من مذحج أو من كندة . ويقال له المنذر الإفريقي لطول بقاءه فيها<sup>(٢)</sup> . وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم . وروى عنه رشدين بن سعد ، وحى بن عبد الله من طريق عبد الرحمن الحبلي .

( ١ ) البستاني في دائرة المعارف .

( ٢ ) ذكر ابن السكن والبغوي أنه سكن إفريقية .

### محمد بن يزيد القرشي

ولاه سليمان بن عبد الملك على إفريقية والمغرب سنة ٩٧ . ومما أوصاه به سليمان : « اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل ، وقد وليتك إفريقية والمغرب كله » ، ودامت ولايته سنتين وأشهرًا . ولم نطلع على من ولاه على طرابلس .

### عبد الله بن كرينز

ولاه سليمان بن عبد الملك على إفريقية ، وعلى رأس المائة دانت له من برقة إلى السوس ، وعزله عبد العزيز بن مروان ، وولى بعده محمد بن يزيد الأنصاري .

### إسماعيل ابن عبيد الله

#### ابن أبي المهاجر

ولاه عمر بن عبد العزيز على إفريقية في المحرم سنة ١٠٠ ، فكان خير أمير ، قال ابن خلدون : وأسلم جميع البربر في أيامه . وأرسل معه عشرة من فقهاء التابعين وعلمائهم يفقهون الناس في أمور الدين ، ويبينون لهم الحلال والحرام . وهم :

١ - عبد الله بن يزيد المعافري (أبو عبد الرحمن الحبلي) وهو رئيس البعثة ، انتفع منه أهل إفريقية ، وبث فيهم علماً كثيراً ، وهو الذي بنى جامع الرباط ، وتوفي بالقيروان سنة ١٠٠ ، ودفن بباب تونس ، وهو باب من أبواب سور مدينة القيروان قبالة مدينة تونس .

٢ - سعيد بن مسعود التجيبي (أبو مسعود) صاحب بأمير إفريقية عقب صلاة الجمعة في مظلمة ، فقال له : أنا بالله لا بك ، فقضى حاجته .

٣ - إسماعيل بن عبيد الأنصاري ، مولى الأنصار ، ويعرف بتاجر الله ، كان كثير الصدقة والعبادة ، محسناً غاية الإحسان ، وسمى تاجر الله لأنه جعل ثلث كسبه لله تعالى يصرفه في وجوه الخير . وكان يتجر في المولدات ، فسمع بكاء في القافلة ، فقال ما هذا ؟ ، فقيل له المولدات اللاتي وجهتهن يبكين مع آبائهن وأمهاتهن وأخواتهن ، فبكى وقال : « إن دنيا بلغت بي إلى أن أفرق بين الأحبة إنها لدنيا سوء ، أشهدكم أن من كان لها أب ، أو أم ، أو أخت ، فهي حرة لوجه الله عز وجل » فأنزل من المحامل سبعين مولدة فاعتقهن كلهن . وهو الذي بنى بجامعاً وسوقاً بالقيروان ، نسبا إليه . وله قصص كثيرة في عمل المعروف ، والإحسان إلى الفقراء ، تظهر ما لهذا الرجل من القدر العظيم . توفي مجاهداً في فتح صقلية سنة ١٠٧ .

٤ - عبد الرحمن بن رافع (أبو الجهم) التنوخي ، من فضلاء المؤمنين وهو أول من ولي قضاء القيروان من قبل موسى بن نصير ، توفي بالقيروان سنة ١١٣ .

٥ - موهب بن حي المعافري ، كان من أهل الفضل والعلم أقام بالقيروان وتوفي بها .

٦ - حيان بن أبي بجيلة القرشي ، مولى بني عبد الدار ، كان من أهل الفضل والصلاح . سكن القيروان وانتفع به أهلها . توفي سنة ١٢٥ .

٧ - بكر بن سودة الجذامي (أبو ثمامة) . كان من أهل الفضل . سكن القيروان وتوفي بها سنة ١٢٨ .

٨ - جعثل بن عاهان بن عمير البثور (أبو سعيد) ولي قضاء الجند بإفريقية لهشام بن عبد الملك . توفي أول خلافة هشام قريباً من سنة ١١٥ .

٩ - إسماعيل بن عبيد الله الأعور بن أبي المهاجر القرشي المخزومي ، (أبو عبد الحميد) كان من أهل الدين والزهد . سكن القيروان ، وسار في

المسلمين بالحق والعدل ، وعلمهم السنن . أسلم على يديه خلق كثير من البربر .  
توفي بالقيروان سنة ١٣٢ .

١٠ - طلق بن جابان ، ويقال له طلق بن جعنان الفارسي .

\* \* \*

هؤلاء هم الفقهاء العشرة من خيرة فقهاء التابعين أرسلهم عمر بن عبد العزيز  
إلى إفريقية ليفقهوا الناس في دينهم ، فكانوا عند ظنه بهم ، وكانوا للناس  
قدوة صالحة .

ولما ثار الخوارج على حنظلة بن صفوان بطنجة جمع هؤلاء العشرة فكتبوا  
له رسالة ليقتدى بها المسلمون ويعتقدوا ما فيها . وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة  
أما بعد . فإن أهل العلم بالله ، وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم  
قالوا : إنه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل إلى عشر آيات : أمرة ، وزاجرة ،  
ومبشرة ، ومنذرة ، ومخبرة ، ومحكمة ، ومشتبهة ، وحلال ، وحرام ، وأمثال :  
فأمرة بالمعروف ، وزاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة  
بخبير الأولين والآخرين ، ومحكمة يعمل بها ، ومشتابهة يؤمن بها ، وحلال أمر  
أن يؤتى ، وحرام أمر أن يجتنب ، وأمثال واعظة : فمن يطع الأمرة ، وتزجره  
الزاجرة ، فقد استبشر بالمبشرة ، وأندرت المنذرة . ومن يحلل الحلال ويحرم  
الحرام ، ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله ، مع طاعة واضحة ، ونية  
صالحة ، فقد أفلح وأنجح ، وحيا حياة الدنيا والآخرة . . والسلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته . »

وما زال ابن أبي المهاجر يدعو البربر إلى الإسلام حتى أسلم منهم خلق  
كثير وانتشرت بينهم تعاليم الإسلام ، وأذعنوا لحكمه ، ورسخت فيهم كلمته ،  
وتناسوا الردة . وجاء في المؤنس . وعلى رأس المائة الأولى دانت إفريقية للعرب من  
برقة إلى السوس ، ولم تقم بعدها للنصارى والبربر قائمة ، فمنهم من دخل الإسلام  
ومنهم من بقي على النصرانية فضربت عليه الجزية ، وانحاز بعض النصارى  
إلى عدة قرى كانوا متجمعين فيها .

## يزيد بن أبي مسلم

ولاه يزيد بن عبد الملك على إفريقية سنة ١٠٢ ، وهو مولى للحجاج بن يوسف وكان ظالماً مثله ، وقد ضاق البربر بظلمه وسئموا حكمه ، فقتلوه بعد شهرين من ولايته ، وولوا عليهم محمد بن يزيد - وهي ولايته الثانية - وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك معتذرين من قتل يزيد بن أبي مسلم فقبل عذرهم وأقر ما فعلوه .

وقد اقترن قتل يزيد بظهور دعوة الخوارج في إفريقية ، وقد وصلت إليهم من العرب القادمين من العراق ، فلقنوها البربر ، فوجدت في نفوسهم أرضاً خصبة ، فنمت فيها وأخذت في الانتشار .

## الخوارج

ولمناسبة ذكر الخوارج ، وما تركوه في إفريقية من أثر سيئ يحسن أن نقول عنهم كلمة نحاول فيها تحديد زمن دخولهم إفريقية ، أو ما يقرب من التحديد ، كما نحاول ذكر بعض فرقهم المخالفة لتعاليم الإسلام الصحيحة ورغبات العرب .

لما اشتد الخلاف بين سيدنا علي ومعاوية ، وانحاز أكثر الصحابة إلى علي ، وانحاز بعضهم إلى معاوية ، وحصلت بينهم حروب كان من أشدها هولا واقعة صفين ، فكان من آثارها أن دعا بعض الناس إلى التحكيم بين الفريقين المتحاربين . ولما رضى سيدنا علي بالتحكيم ، انشقت عليه جماعة من أتباعه - وكانوا ممن وافق على التحكيم - ونقضوا بيعته ، ولم ينضموا إلى معاوية ، وقالوا كلمتهم المشثومة : « لا حكم إلا لله » فسموا الخوارج . . وقد قال لهم سيدنا علي : إن هذه كلمة حق أريد بها باطل . وبذل سيدنا علي جهده في

إقناعهم ، فأصروا على العناد ، وأبو إلا الخروج على عليّ ومعاوية فأصبحوا قسماً ثالثاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وقاتلوا سيدنا عليّاً وحزبه قتالاً مريراً كانوا أثبت فيه للموت من الحبال للرياح .

ومنذ أن خرجوا على سيدنا عليّ انفتح باب الفتنة في المسلمين فلم يسد بعد ، ولن يسد ما دام لهم أنصار على وجه الأرض .

ولم يقتصر في نشر مذاهبهم الهدامة على الشرق فقط ، بل تسالت رسلهم إلى المغرب ، وبثوا فيه ضلالاتهم ، ووجدت دعوتهم الحبيثة من البربر آذاناً صاغية فتمكنت من نفوسهم ، وتفرقوا فيها أحزاباً وشيعاً تسمت كل منها باسم رئيسها . فمنهم النكار ، ويقال لهم النكارية<sup>(١)</sup> ، والصفيرية<sup>(٢)</sup> والأزارقة<sup>(٣)</sup> ، وغيرهم ، واختلفت أهوائهم فيما يدعون إليه ، وأعان على نشر ضلالاتهم بين البربر الجهل الذي كان مخيماً على عقولهم ، وكان هم أصحاب هذه النحل محاربة مبادئ الإسلام ، وانتزاع الدولة من العرب بأى ثمن كان . ورفعوا راية العصيان في وجه الحكومة الأموية . وانتشرت بدعة الخوارج في كافة المغرب ، ويقول صاحب خلاصة تاريخ تونس : وانتشرت في الأندلس لأنها كانت إذ ذاك تابعة لإفريقية . . وقد ساعد على انتشارها ما طرأ على الدولة الأموية من ضعف بسبب ظهور الدعوة العباسية<sup>(٤)</sup> . . وقد كان لظهور دعوة الخوارج في إفريقية أسوأ الأثر على الإمارات العربية في إفريقية ، ولم يستقم أمرها إلى أن استقر أمر الدولة العباسية ، فاهتموا بإفريقية اهتماماً خاصاً .

ونحن إذ نعرض في هذه الكلمة إلى الخوارج فلا نغني إلا باضوية ؛ فإن

(١) قيل إنهم هم الذين أنكروا على عبد الوهاب بن رستم وخرجوا عليه .

(٢) ينسبون إلى ابن صفار أحد زعماء الخوارج . . وقيل إنهم اصفرت وجوههم من كثرة العبادة فسموا صفيرية .

(٣) أصحاب نافع بن أزرع الحنفي ، وهم يتبرأون من سائر المسلمين ، ويكفرونهم ، ويستبيحون قتل الأطفال لأنهم كفار عندهم .

(٤) خلاصة تاريخ تونس .



لنا فيهم كلمة خاصة . . وقد دخل مذهبهم إفريقية بعد أن انتشرت فيها مذاهب الخوارج .

وقد تسربت بدعة الخوارج إلى إفريقية في زمن غير معين . ويظهر أنه كان في أواخر المائة الأولى من الهجرة ، وأوائل المائة الثانية منها ، وجاء بها جماعة الأفاقين من المشرق . وكانت قبيلة مضغرة — من البربر البتر — أول من اعتنق المذهب الخارجي ، وانتشر فيها . وكان لرئيسها ميسرة المضغري نشاط في الدعوة إليه . وكان ميسرة يعرف بالحقير . ويفهم من كلام ابن خلدون في الخوارج في الجزء الثالث ، وفي الفصل الرابع في أخبار البربر من الجزء السادس : أن ميسرة المضغري هو أول من ناصر نحلة الخوارج ودعا إليها ، وجمع الناس على تأييدها وقد تلقاها من الأفاقين القادمين من المشرق .

ولما ولي عبد الله بن الحبحاب على إفريقية سنة ١١٤ استعمل عمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى ، فنقم البربر عليه سيرته فيهم فقتلوه سنة ١٢٥ . وولى ميسرة بدله على طنجة عبد الأعلى بن جريج الإفريقي ، وهو رومي الأصل ، ومولى للعرب وأصل خارجية البربر ، وتقدم إلى السوس فقتل ، وانتشرت الفتنة ، واضطرب جبل الأمن في المغرب ، فأرسل عبيد الله بن الحبحاب إليه جيشاً بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري ، فلقبه ميسرة في جموع كثيرة من البرابر فهزمه وقتل خالد ، وازدادت فتنة الخوارج بالمغرب وقويت شوكتهم . وكان من أكبر قواد ميسرة المشهورين طريف أبو صبيح البرغواطي<sup>(١)</sup> . وكان قائماً بدعوة الصفرية .

(١) سيأتي في تعليقتنا على برغواطة أن صالح بن طريف ادعى فيهم النبوة في أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ وهو من أصل يهودي فانظره هناك .

## المذهب الإباضي<sup>(١)</sup>

الإباضية جماعة من المسلمين يتبعون على مذهب عبد الله بن إباح .  
 وإباح - بكسر الهمزة ، كما في أنساب السمعاني - قرية بعرض اليمامة ،  
 كانت عندها وقعة نخالد بن الوليد مع مسيلمة الكذاب نسب إليها عبد الله بن  
 يزيد الفزاري الكوفي . وقيل إباح اسم والده ، وهو من بني مرة بن عبيد من  
 بني تميم ، وهو صاحب المذهب ، وإليه ينسب الإباضية<sup>(٢)</sup> .

وهذا المذهب معدود من مذاهب المسلمين التي تعتمد في أصولها على  
 الكتاب والسنة ، ويتفق في كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة ،  
 ولا يختلف معها إلا في مسائل قليلة . وما من مذهب من مذاهب أهل السنة إلا  
 وهو يخالف غيره في بعض المسائل . وقد قال ابن حزم في كتابه « الفِصَل في

---

( ١ ) بمناسبة ذكر المذهب الإباضي تذكر نبذة على العزابة منقول عن طبقات الإباضية .  
 العزابة واحد من عزابي . هذه اللفظة استعملت لقباً لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير  
 أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها فإن حصل جميع هذه الصفات سمي عزابياً ، وإن حافظ على  
 السير والعمل بها فقط سمي به ، وإن حصل العلم دون السير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسم بهذا  
 الاسم . . . . .

وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه ، فاستعير لمن بعد عن الأمور الدنيوية  
 الشاغلة عن الآخرة . . . . .

وأول ما استعمل هذا اللقب في أيام الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر من أهل النصف الأول من  
 المائة الخامسة كما ذكره المؤلف لما أسس الحلقة ورتب قوانينها .

والحلقة اسم للجماعة تجتمع على الشيخ يعلمهم العلم ، ويلقنهم السير ، ويبصرهم في الدين  
 بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم . . . . .

التلميذ اسم الواحد المبتدى عند الدخول في الطريق سواء كان طالب فنون أو مقتصراً على الصلاحية  
 فقط . وأصل هذه اللفظة فارسي .

الخمسة اجتماعهم لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ أو بغير شيخ ،  
 ( قلت : ونظام العزابة يشبه نظام الطرق في البلاد الشرقية ) .

( ٢ ) ظهر عبد الله بن يزيد الإباضي أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في أوائل القرن  
 الثاني من الهجرة .

الملل والنحل» إن أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضي الفزاري الكوفي أقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الأخرى .

وهذا المذهب منتشر في مسقط وعمان من بلاد العرب بالشرق ، وفي الزنجبار من بلاد السودان ، وفي إفريقية ، في طرابلس وتيهرت بالجزائر .

وأول دخول هذا المذهب إلى إفريقية في أوائل المائة الثانية من الهجرة سنة ١٢٠ وما بعدها تقريباً .

ويؤخذ من كتاب السير للشماخي أن أول من أدخله إلى إفريقية سلمة بن سعيد قدم من المشرق إلى إفريقية في أوائل المائة الثانية لنشره والدعوة إليه . وكان شديد التعصب له . وذكر الشماخي في كتاب السير أنه كان يقول : «وددت أن يظهر هذا الأمر - يعني مذهب الإباضية - يوماً واحداً ، فما أبالي أن تضرب عنقى» .

وقد اجتمع به في إفريقية عاصم السدراتي<sup>(١)</sup> ، وإسماعيل بن درار الغدامسي ، وداود القبلي الفزاري ، وعبد الرحمن بن رستم ، وأخذوا عنه مذهب الإباضية ، ولما رأى رغبتهم في دراسة هذا المذهب رغبتهم في السفر إلى البصرة لتلقى المذهب على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري مولى بني تميم<sup>(٢)</sup> ، وكان إذ ذاك من علماء الإباضية المبرزين في المذهب ، فرحلوا إليه أربعتهم ، وانضم إليهم بالبصرة عبد الأعلى بن السمح : أبو الخطاب الحيميري اليمني ، فأصبحوا خمسة ، ومكثوا عند أبي عبيدة خمسة أعوام يأخذون عنه المذهب الإباضي حتى أصبحوا من أعلامه ، ثم رجعوا خمسهم إلى إفريقية في زمن غير معين ، ويظهر أنه فيما بين الخمسة والعشرين إلى الأربعين من القرن الثاني الهجري .

وعبد الرحمن بن رستم<sup>(٣)</sup> بن مهران من مسلمة القادسية وهو من الفرس

(١) توفى بالقيروان أيام أن كان أبو الخطاب يحاصرها .

(٢) توفى في ولاية أبي جعفر .

(٣) بويع له بإمامة الإباضية سنة ١٦٠ أو ١٠٢ بتاهرت .

حج مع أبيه وأمه ، فمات أبوه بالحجاز ، وتزوجت أمه برجل من القيروان ، فذهب معها إلى القيروان . وأول ما تلقى مذهب الإباضية على مسلمة ابن سعيد .

وهؤلاء الخمسة يسميهم الإباضية حملة العلم ، وهم عندهم في محل التعظيم والإجلال ، ومن أئمتهم المشهورين .

وبعد رجوع هؤلاء الخمسة إلى إفريقية زاد انتشار مذهب الإباضية وكثر أنصاره كما نذكره في حروب أبي الخطاب .

وقد انحصر أتباع هذا المذهب في إفريقية في البربر . وكان أكثر أتباعه من هواره ، ولماية ، ونقزاوة ، ومغيلة ، ومغراوة ، وبنى يفرن من زناتة .

وقد توارثوه خلفاً عن سلف ، وما زالوا يدينون به إلى الآن ، وقل أن تجد في طرابلس بربرياً على مذهب مالك ، كما ينذر أن تجد فيها عربياً على مذهب الإباضية .

وأصحاب هذا المذهب في طرابلس سكان جبل نفوسة من البربر ، وسكان زوارة .

ويعد بعض المؤرخين مذهب الإباضية نحلة من نحل الخوارج . ولكن الإباضية — وفي مقدمتهم علماءهم — لا يعترفون بنسبتهم إلى الخوارج ، ويعدون هذا من غلطات التاريخ التي لم يتحر فيها المؤلفون الحقيقة . وقد اجتمعت بالأستاذ إبراهيم أطفيش في مصر ، وهو من أكبر علماءهم بل ومن أئمتهم في عصرنا ، فأكد أن نسبتهم إلى الخوارج غير صحيحة ، وأنهم ليسوا منهم في شيء . وقد تقدم قول ابن حزم أنهم أقرب الفرق إلى أهل السنة .

ومن مذهبهم تحريم دماء مخالفيهم وأموالهم ، ويرون حل مناكحتهم والتوارث معهم .

وما زلنا نشاهد في النفوس شيئاً من الخزازات بين المالكيين والإباضيين في طرابلس بسبب اختلاف المذاهب . ومن الأسف أن توجد الخزازات في النفوس بسبب اختلاف المذاهب وكلها إسلامية . وقد نشأ عن هذا شيء من التنابد ،

والتنازير بالألقاب ، والطعن في العقائد ، بل صار وسيلة إلى الحرب التي حرمتها جميع الأديان والمذاهب .

ويجب أن نفهم أن جميع مذاهب المسلمين تضرر عن أصل واحد هو كتاب الله وسنة رسول الله اللذين جاء بهما محمد صلى الله عليه وسلم الذي أجمعت جميع الفرق الإسلامية على تكريمه وتعظيمه .

ويكفي لأن نكون كتلة واحدة ، وإخواناً متحابين متحدين أننا نعبد الله على تعاليم هذا النبي الكريم .

وقديماً كان الاختلاف في الرأي حتى في فهم كتاب الله وسنة رسول الله . وكما استنار العقل البشري أمكنه أن يدرك حقائق الأشياء على وضعها الصحيح . إذاً فمن الواجب أن يحترم كل منا رأى أخيه . وقد شاهدنا في مصر - وفيها مسلمون ومسيحيون - أنهم كانوا يقولون - حينما أرادوا الاتحاد ضد الإنجليز - الدين لله والوطن للجميع . وهذا مع اختلافهم في الدين ، فما بالنا لا نقول ذلك ونحن مختلفون في المذهب فقط .

يجب على الطرابلسيين - من العرب والبربر ، وقد جمع بينهم الإسلام ، ووحدت بينهم مصالح الوطن ، وأحكم صلتهم الجوار والنسب - أن يعيشوا إخواناً متحابين في الله ، متحدين في العمل لخير وطنهم ، عاملين على النهوض به ، وتخليصه من سيطرة الغاصب ، وإكل في مذهبه ما يصحح به دينه ، ويوصله إلى الله الذي وجدت المذاهب لمعرفة وفهم شرائعه .

### بشر بن صفوان

ولاه يزيد بن عبد الملك على إفريقية سنة ١٠٣ . وقد نكل بآل موسى بن نصير تنكيلاً فظيلاً ، واستصغى أموالهم لنفسه ، ثم رجع إلى يزيد فوجده توفى سنة ١٠٥ وتولى هشام بن عبد الملك ، فرده إلى إفريقية ، وغزا صقلية ، ورجع إلى القيروان فمات بها سنة ١٠٩ ، وكانت ولايته سبع سنين .

## عبيدة بن عبد الرحمن

ولاه هشام بن عبد الملك على إفريقية في المحرم أو في صفر سنة ١١٠  
مكان بشر ، وكان محل إقامته القيروان .

## يزيد بن مسلم الكندي

كان عاملاً على طرابلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن ، وكان المستنير  
ابن الحبحاب الحرشي قد كلف بغزو صقلية من طرف عبيدة ، فتناقل عن  
غزوها حتى جاء الشتاء وصعب ركوب البحر ، ثم جهز نفسه وغزاها ، وبينما  
هو في طريقه إليها هاج به البحر ، وأغرق كل ما معه من السفن بما فيها ومن  
فيها ، ورمى بالسفينة التي كان بها على طرابلس ، فأمسكه يزيد حتى جاءه كتاب  
عبيدة يأمره بالقبض عليه وإرساله إليه موثقاً ، فنفذ يزيد أمر عبيدة وأرسل إليه  
ابن الحبحاب كما أمر ، فأوجعه ضرباً ، وطاف به القيروان ، على حمار  
تشهيراً به لتقصيره في غزو صقلية ، وتأخيره إلى وقت الشتاء حتى كان ذلك  
سبباً في غرق الجيش ونخسارة المسلمين ، وعزل هشام عبيدة سنة ١١٤  
ودامت ولايته أربع سنين وستة أشهر .

## عبيد الله بن الحبحاب<sup>(١)</sup>

ولاه هشام بن عبد الملك على إفريقية في ربيع الآخر سنة ١١٦ ، وقيل سنة ١١٤  
ويقال إنه هو الذي بنى جامع تونس . وقد ظهر لهشام - في عدة مناسبات -

(١) وقيل اسمه عبيد الله بن عبد الرحمن .

عجزه عن القيام بأمر المسلمين ، وبإخضاع من بقى من البربر مناوئاً للعرب ، فعزله في جمادى الأولى سنة ١٢٣ .

\* \* \*

يشعر المتتبع لأحداث إفريقية بأنه منذ أن تولى يزيد بن مسلم سنة ١٠٢ إلى أن تولى كلثوم بن عياض سنة ١٢٣ قد قل النشاط الحربى في إفريقية ، وأهمل أمر الفتح ومحاولة إخضاع من لم يخضع من البربر . ولولا ما كان من أمر عبدة لابن الحبحاب بغزو صقلية وفشله فيه لقلنا إنه لم يكن هناك نشاط . ويظهر أن هشاماً أدرك هذا ، خصوصاً لما ظهر له عجز عبدة الله بن الحبحاب ، فتدارك الأمر ، وولى على إفريقية كلثوم بن عياض ليجدد النشاط في إخضاع من بقى مناوئاً للعرب .

### كلثوم بن عياض

وبلغت أخبار الخوارج في إفريقية هشام بن عبد الملك ، فولى عليها كلثوم ابن عياض القشيري في جمادى الآخرة سنة ١٢٣ وأرسله إليها في جيش قوامه اثنا عشر ألفاً ، وخرج معه جماعة من الشام وكتب معه إلى والى كل بلد أن يخرج معه لقتال البربر ، فخرج معه أهل مصر ، وأهل برقة ، وأهل طرابلس ، وزحف إلى البربر سنة ١٢٣ فلقبه ميسرة — من رؤساء الخوارج الصفرية — بقرب طنجة ، في جموع من البربر كثيرة ، واستماتوا في قتاله حتى قتلوه وهزموا جيشه .

وقويت شوكة الخوارج ، واقتطعوا المغرب عن طاعة الخلفاء في المشرق . ويقول صاحب شذرات الذهب : هزمهم أبو يوسف الأزدي رأس الصفرية الخوارج ، ولعل ميسرة هو أبو يوسف أو أحد قواده ، واتبعت الخوارج من انكسر من المسلمين فثبت لهم بلخ القشيري بن عم كلثوم وانتصر عليهم ، وقتل أبا يوسف الأزدي رئيس الخوارج .

## صفوان بن أبي مالك

لما وصل كلثوم إلى طرابلس ، وكان الحاكم عليها صفوان بن أبي مالك ، أعد صفوان جيشاً وخرج معه إلى إفريقية ، فوصلوا القيروان في رمضان من هذه السنة . وكان الجيش يقدر بنحو ثلاثين ألفاً : عشرة من بني أمية ، وعشرون من مختلف العرب . وخرج كلثوم لقتال البربر ، واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ، وعلى الحرب مسلمة بن سودة الجذامي القرشي . وما زال بعض الرؤساء من البربر يترهبون بالعرب ويتحينون الفرص للوثوب عليهم ، ومن هؤلاء الرؤساء عكاشة<sup>(١)</sup> بن أيوب الفزاري ، وهو من قبيلة هواره من البرابرة الصفرية ، وكان يقيم بنواحي قابس ، فجمع هواره وثار بها على مسلمة بن سودة منتهزاً غياب عياض بن كلثوم عن القيروان ، وأرسل عكاشة أخاه إلى صبراتة فحصر أهلها في المسجد ، وجعل عليهم حبيب بن ميمون . . . وبلغ خبر ما حل بأهل صبراتة إلى صفوان حاكم طرابلس ، فخرج لنجدتهم ، وحاول أخو عكاشة أن يدافع عن صبراتة ، ولكنه ما لبث أن غلب على أمره ونجا برأسه منهزماً بعد أن قتل أكثر أصحابه من زناتة وهواره وغيرهم ، ولحق بأخيه عكاشة في قابس . . . وكتب كلثوم بن عياض إلى صفوان بطرابلس يستنجده على عكاشة ، فأنجده بأهل طرابلس . . . ولكن جيوش البربر تكاثرت على كلثوم فقتل قبل أن يصل إليه صفوان في نجدته ، ولما بلغ صفوان قابس بلغه قتل كلثوم وأصحابه فرجع إلى طرابلس ، وتفرق جيش كلثوم ، فرجع أهل إفريقية ومصر إلى إفريقية ، وذهب أهل الشام إلى الأندلس وكان من بينهم عبد الرحمن بن حبيب الآتي ذكره ، وكان ذلك سنة ١٢٤ أو ١٢٥ .

لم ييأس العرب من النصر برجوع صفوان إلى طرابلس وقتل حنظلة بالرغم على مكانتهما المرموقة بينهم . وانفسح المجال أمام البربر ، فتحصن سعيد بن

(١) جاء في بعض الكتب بتشديد الكاف .



بحرة وأصحابه بقابس وتنحى عنها عكاشة بنحو عشرين كم . . وأعاد العرب جمع صفوفهم ، فخرج عبد الرحمن بن عقبة الغفاري في أهل القيروان لقتال عكاشة فلقية بين القيروان وقابس ، فانهزم عكاشة وقتل عامة أصحابه ، ثم جمع جموعه وأعاد الكرة على عبد الرحمن ، فهزم عكاشة ، وأعاد الكرة الثالثة فهزم ، وفي الرابعة استعان بعبد الواحد بن يزيد الهواري الصفرى فخرج إليهم عبد الرحمن ، فقتل عبد الرحمن وأصحابه ، وكان ذلك سنة ١٢٤ وتقدم عكاشة وعبد الواحد في جموعهما إلى القيروان .

### حنظلة بن صفوان الكلبي

بعد قتل عبد الرحمن بن عقبة كان عكاشة وعبد الواحد يهددان القيروان بجموعهما ، وأسند هشام بن عبد الملك<sup>(١)</sup> ولاية إفريقية والمغرب إلى حنظلة بن صفوان في صفر سنة ١٢٤ ، فأخذ في الاستعداد للدفاع عن القيروان . وعكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد بن يزيد من برابرة هواره . ومن المتتمذهيين بمذهب الخوارج الصفرية الذين يستحلون أموال أهل السنة ، ويستبيحون نساءهم وقتلهم ، وكان معهما من البربر جموع عظيمة قدرت بثلاثمائة ألف . ولما وصلوا القيروان خرج إليهم حنظلة فهزموه ، وتقدموا لحصار القيروان ، فأعاد حنظلة جمع شمله وتأهب لقتالهم ، وأخرج كل ما في خزائنه من السلاح والعتاد ، ودعا الله بطلب النصر ، وأمن المسلمون على دعائه ، وخرج للقائهم خارج القيروان والتحم الجيشان بمكان يقال له «القرن» قرب القيروان ، وكانت حرباً في أشجع صور الحروب القاسية ، فهبت ريح النصر على العرب وهزم البربر ، وقتل عبد الواحد ، وجيء برأسه وبعكاشة أسيراً إلى حنظلة ، فقتله حنظلة صبراً . وقتل في هذه المعركة ما يزيد على مائة وسبعين ألفاً ، وكان هذا سنة ١٢٤ وتسمى واقعة القرن .

وسمع الليث بن سعد بنجر هذه المعركة فقال : « ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلى من غزوة القرن » .

(١) توفي هشام في ربيع الآخر سنة ١٢٥ . ومدة خلافته ١٩ سنة وسبعة أشهر ، وعشرة أيام .

## معاوية بن صفوان

كان عامل حنظلة على طرابلس ، فكتب إليه حنظلة يستنجده ، فأنجده بأهل طرابلس ولما وصل إلى قابس بلغه خبر هزيمة عكاشة وعبد الواحد ، فأمره حنظلة أن يتقدم بجيشه إلى حرب البربر بنفزاوة فذهب إليهم وقاتلهم حتى قتل ، فبعث حنظلة زيد بن عمرو الكلبي إلى جيش معاوية ورجع به إلى طرابلس . .

## عبد الرحمن بن حبيب

هو عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع . كان من أنصار كلثوم ، ومن المهزمين في معاركه مع عكاشة إلى الأندلس سنة ١٢٣ . وقتل والده حبيب مع كلثوم . وهو أول متغلب على إفريقية ، واستقل بها أيام حكمه عن بني أمية وخلع طاعة أبي جعفر المنصور .

ورجع من الأندلس إلى تونس في جمادى الأولى سنة ١٢٧ ، ودعا أهلها إلى نفسه فأجابوه وحاول حنظلة أن يدخله تحت طاعته فأبى وقتل رسل حنظلة . واعتزم عبد الرحمن أن يحتل القيروان ويضمها إلى تونس ، فأرسل إلى حنظلة يطلب إليه التخلي عنها ، وأنه مصر على حربه إن لم يفعل . . وكان حنظلة تقياً ورعاً ، فلم يسعه - أمام إصرار عبد الرحمن على الحرب - إلا أن يتنازل له عن القيروان ، حقناً لدماء المسلمين . وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ١٢٩ . ودخل عبد الرحمن القيروان ، وتغلب على إفريقية كلها واستقل بها . وكتب إليه مروان بن محمد بولايتها . وفي سنة ١٣١ جدد سور طرابلس من جهة البر . . وانتقل الناس إليها من كل مكان .

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد ، وانقرضت دولة بني أمية من المشرق ، بعد أن ملكت إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر ، وخمسة أيام ، وتولى الملك فيها أربعة عشر ملكاً . . وظهرت على أعقابها دولة بني العباس . والله يرث الأرض ومن عليها .

## الدولة العباسية

وفي سنة ١٣٤ تولى الخلافة أبو العباس عبد الله السفاح . وهو أول حاكم في الدولة العباسية فأقر عبد الرحمن بن حبيب على إمارة إفريقية .

### إلياس بن حبيب

عين عبد الرحمن أخاه إلياس عاملاً على طرابلس ، وما زال العرب إذ ذاك يخافون ثورة البربر وتديبير مكائدهم . وكان رئيسهم في طرابلس عبد الله بن مسعود التجيبي رئيس الإباضية ، فقبض عليه إلياس وضرب عنقه . . . ويظهر أن هذا العمل من إلياس لم يقع موقع الرضا من أخيه عبد الرحمن .

### حميد بن عبد الله العكبي

وأراد عبد الرحمن أن يسترضى الإباضية ، فأقال أخاه إلياس وعين بدله حميد بن عبد الله العكبي ، ولكن هذا لم يرض الإباضية ولم يهدئ من ثورة نفوسهم وأخذوا يتلمسون أسباب الثورة للانتقام من إلياس أخى عبد الرحمن .

### عبد الجبار بن قيس

وما زال الإباضية في غضبهم حتى نزعوا إلى الفتنة ، وتقدم إلى قيادتهم أحد رؤسائهم وهو عبد الجبار بن قيس المرادي ، فالتفوا حوله ، وأعلنوا الثورة على العكبي ، فخرج لمحاربتهم وأتاب عنه في القيام بشئون المدينة بكر بن عيسى . فحاصروا العكبي في بعض القرى فطلب منهم الأمان فأمنوه ، وأخذوا من أصحابه نصير بن راشد مولى الأنصار ، فقتلوه في عبد الله بن مسعود التجيبي ، وخرج إليهم بكر بن عيسى يدعوهم إلى الصلح فأبوا ، وقتلوه ، واستمروا في ثورتهم إلى أن استولى عبد الجبار على كل البلاد ما عدا المدينة داخل السور .

## يزيد بن صفوان المعافري

لا ندرى ما فعل الله بالعكى بعد أن أمنه الإباضية في إحدى قرى طرابلس . غير أنه لما لم يمكنه التغلب على الإباضية كتب عبد الرحمن بن حبيب بولاية طرابلس إلى يزيد بن صفوان المعافري ، وأرسل مجاهد بن مسلم الهواري إلى هواره يستألفهم ويغريهم بعبد الجبار ، فأقام فيهم شهراً يحاول إغراءهم بعبد الجبار والانتقاض عليه ، ولكن هواره لم تصنع إلى قوله ، وطردته فرجع خائباً ولحق بيزيد بن صفوان في طرابلس .

ولم ير عبد الرحمن بن حبيب - وهو في القيروان - بدءاً من مواجهة القوة بالقوة ، فأرسل إلى طرابلس محمد بن مفروق في خيل ، وكتب إلى يزيد بالخروج معه فخرجوا لقتال عبد الجبار ، فلقبهم هو والحارث بن تليد في أرض هواره<sup>(١)</sup> ، فقتل يزيد ومحمد بن مفروق ، وانهمز مجاهد بن مسلم ، ثم اجتمع له جمع كبير ، فزحف بهم إلى عبد الجبار والحارث بن تليد ، فهزم مجاهد ثانية ، واستولى عبد الجبار والحارث على طرابلس كلها ، وطاردت خيل عبد الجبار مجاهد ابن مسلم وعمرو بن عثمان ، فلجأ عمرو إلى سرت ، فأدرسته خيل الحارث وقتلوا بعض أصحابه ، ونجا هو على فرسه بجريماً ، واستولى الحارث على عسكره .

واستفحل أمر عبد الجبار والحارث ، ثم اختلفا ، فاقتتلا ، فقتلا سنة ١٣١ ونكب الإباضية بموتهما نكبة كبيرة .

## إسماعيل بن زيان النفوسى

وبعد قتل عبد الجبار والحارث ولّى البربر عليهم إسماعيل بن زيان النفوسى فعظم شأنه ، وسار بجيشه إلى قابس ، وكان بها شعيب بن عثمان ابن عم عبد الرحمن وكان قد استعد للقاء إسماعيل بن زيان . وخرج عبد الرحمن بن حبيب من

(١) كانت هواره تسكن السواحل من صرمان تقريباً إلى قرب سرت ، وتمتد شرق جبل نفوسة وجنوبيه .

القيروان للقاء إسماعيل . وقد كان بجيش شعيب ، وجيش عبد الرحمن يمثلان كماشة وقع البربر بين فكيفها ، وقد التقت نخيل إسماعيل بنخيل شعيب قريباً من قابس ، فقتل إسماعيل وأصحابه ، وأسر من البربر خلق كثير ، وتشتت جمعهم ، وأخذ عبد الرحمن السير إلى طرابلس ومعه الأسرى وكتب إلى عمرو بن عثمان في سرت فقدم عليه . وولى عبد الرحمن على طرابلس عمرو بن سويد المرادي .

وقد سفر الجو بين إلياس وأخيه عبد الرحمن . وصدرت أعمال من عبد الرحمن أوغرت صدر إلياس ، وذلك أن عبد الرحمن كان يرسل أخاه إلياس لقتال البربر وإخضاعهم ، وكلما حصل انتصار على يديه نسبة عبد الرحمن لابنه حبيب . ومن أجل ذلك صار يتربص به الدوائر . . . وقد مرض عبد الرحمن وكان قد كلف إلياس بمهمة ، فجاء إلياس ليعوده ويودعه . وقد وجد في وجوده عنده وهو مريض فرصة لقتله ، وبينما هو يهيم بالانصراف لاحت له منه غرة ، فطعنه بسكين بين كتفيه نفذت إلى قلبه ، ثم احتر رأسه ، وتملك أبواب القصر ، واحتل القيروان وتولى السلطة . . . وكان قتل عبد الرحمن سنة ١٣٧ . وولايته عشر سنين وسبعة أشهر ، .

\* \* \*

كان إلياس يظن أنه بقتل أخيه عبد الرحمن يتم له الأمر ويستولى على زمام الحكم في القيروان ، ولكن النتيجة جاءت بعكس ما قصد إليه ، فإن حبيب ابن عبد الرحمن ما لبث بعد قتل أبيه أن ثار بعمه مطالباً بدم والده ، وحصلت بينهما حروب بقرب القيروان ، فطلب حبيب عمه للمبارزة ، وقال له لا داعي لهذا التطاحن بين المسلمين . فلنخرج للمبارزة فأينا قتل صاحبه تم الأمر للثاني واستراح الناس من القتال ، فتبارزا ، وبعد تطاحن شديد طعن حبيب عمه طعنة أودت بحياته واحتر رأسه ، ودخل القيروان ظافراً ، ورأس عمه ورؤوس كثير من أنصاره محمولة على الرماح . وكان ذلك سنة ١٣٨ . ومدة ولاية إلياس بعد قتله أخاه نحو ثمانية عشر شهراً .

## ثورة ورفجومة

ورفجومة هذه قبيلة كبيرة من قبائل البربر المشهورة ، وهي على مذهب الصفيرية إحدى فرق الخوارج الذين يستحلون من أهل السنة ما حرم الله ورسوله .

وما كاد حبيب بن عبد الرحمن يستقر به الحكم في القيروان حتى ثارت به ورفجومة برياسة عاصم الورفجومي ، فأرسل عاصم عبد الملك بن أبي الجعدى لقتال حبيب ، ولم يصمد حبيب لقتال ورفجومة ، فلم يلبث أن قتل في المحرم سنة ١٤٠ .

وبعد قتل حبيب تغلبت ورفجومة على إفريقية ، واحتلت القيروان ، وعسفت بأهلها ، وأذاقتهم أنواع العذاب ، وربطوا دوابهم في المسجد ، وقتلوا كل من وجدوه من قريش . واشتد البلاء على أهل القيروان فهجروها فراراً من الظلم ، وأرسلوا إلى أبي جعفر المنصور يستنجدون به .

ولم تكن ورفجومة تعبر بهذه القسوة الشاذة عن آراء جميع قبائل البربر وخصوصاً الإباضية منهم ، فسرعان ما أنكرت عليها هوارة وزناتة من برابر طرابلس ، ونهضوا لقتالها بزعامة عبد الأعلى بن السمح ، وسيأتي خبر ذلك .

## أبو الخطاب

هو عبد الأعلى ، أبو الخطاب بن عبد الرحمن بن السمح [بن عبيد بن حرملة] (١) . المعافى اليمى ، من رجالات العرب المشهورين ، وكان إباضى المذهب ، ومن أجل ذلك التف حوله البربر الإباضية الذين جمعهم به نحلة المذهب ، وانضوا تحت رايته ، وكان من أكبر أصحابهم وأشدهم تمسكاً بمذهبه . . وكان من

(١) الزيادة من كتاب الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ .

أشد خصوم سياسة العرب في إفريقية ، وقاتلهم انتصاراً لبني مذهب . وقد  
أنخلص للبربر إخلاصاً يجعله منهم في محل التقدير والإعجاب واختاروه إماماً لهم  
سنة ١٤٠ .

وأبو الخطاب من حملة العلم الخمسة الذين أخذوا المذهب الإباضي عن  
أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة ، ثم جاء إلى إفريقية مع الأربعة  
الآخرين .

ولما وصلوا بلدة صياد المجاورة لزنزور اجتمع عليهم كثير من البربر ،  
وكانت بلدة صياد إذ ذاك وما جاورها من مواطن البربر ، وكان مذهب  
الإباضية قد انتشر بينهم بواسطة سلمة بن سعيد وأعوانه . واجتمعت كلمة  
البربر على أبي الخطاب وانتخبوه إماماً لهم وأصبح عنده جيش عظيم ، واتفقت  
كلمتهم على فتح طرابلس .

ويقول الشماخي في كتاب السير : « فلما بايعوا أبا الخطاب قبيل ذلك ودخل  
مدينة طرابلس سنة ١٤٠ ومعه جماعة المسلمين<sup>(١)</sup> على حين غفلة من أهلها ،  
وأدخلوا الرجال في الجوارق ، فلما توسطوا المدينة أشهروا السلاح وقالوا :  
« لا حكم إلا لله »<sup>(٢)</sup> .

وقبض أبو الخطاب على عمرو بن سويد المرادي<sup>(٣)</sup> عامل طرابلس من قبل  
أبي جعفر المنصور وعزله عن الحكم ، وخيره بين البقاء في الأمان ، وبين  
الخروج من المدينة فاختر الخروج وسافر إلى المشرق ، واستقر أبو الخطاب في  
طرابلس .

(١) يعني جماعة الإباضية .

(٢) هذه الكلمة هي التي اتخذها الخوارج ذريعة للخروج على سيدنا علي وأصبحت شعاراً لهم ،  
ولا ندري كيف يقولها الإباضية وهم ينكرون أنهم من الخوارج .

(٣) لم يعين الشماخي اسم عامل المنصور . وقد قلت إذنه عمرو ابن سويد على سبيل التقريب  
لأنه هو الذي عينه عبد الرحمن بن حبيب عاملاً عليها قبل موته ، ولا يبعد أن يكون أبو جعفر أقره  
بعد وفاة عبد الرحمن .

وبعد أن استتب الأمر لأبي الخطاب عين عمر بن يَمَكْتَنَ عاملاً على سرت . . . وكان البربر يتوقعون هجوم ابن الأشعث عليهم ، من الشرق ، فمر أعرابي بابن يَمَكْتَنَ في سرت ، فقال له : نخشى أن يباغتنا محمد بن الأشعث من الشرق . فقال له العربي : « لا يأتيكم ابن الأشعث بغفلة ، وهو في جند أمير المؤمنين برجال مشمرين ، ونخيل مضمرات ، وسيوف مهندات ، بل يأتيكم جهاراً نهاراً » . وقتل ابن يَمَكْتَنَ مع أبي الخطاب (١) .

ويقول غير الشماخي إن أبا الخطاب احتل طرابلس في صفر سنة ١٤١ وولى عليها رجلاً من أصحابه يقال له عبد الله رحيمة .

وبعد أن رتب من أمورها ما كانت الحاجة تدعو إليه سار في جيش كبير إلى القيروان لقتال ورفجومة ، فخرجت ورفجومة لقتاله خارج القيروان (٢) بزعامه عبد الملك الورفجومي . وبينما هم في حرب طاحنة مع أبي الخطاب ثار بهم سكان القيروان ، فكانت هذه الثورة سبباً في انهزامهم أمام أبي الخطاب ، وقتل رئيسهم عبد الملك ، وركبهم أبو الخطاب وقومه بالسيوف ، وأسرفوا في قتلهم ، واستولوا على القيروان سنة ١٤١ . وفي هذه السنة بويح بالإمامة .

(١) ملخص من كتاب السير للشماخي .

(٢) يظهر أن المكان الذي وقعت فيه هذه الحرب هو رقادة . وسميت رقادة قال البكري : لأن عبد الأعلى بن السمح المعافري « أبا الخطاب » قتل فيها ورفجومة قتلاً ذريعاً ، فسميت بذلك ؛ لرقاد جثثهم فيها بعضها على بعض . وهي - أي رقادة - من القيروان على أربعة أميال أ هـ .



## ولاية أبي الخطاب

وباستيلاء أبي الخطاب على القيروان أصبح والياً على إفريقية . وهو أول وال على إفريقية من الإباضية . وقد بلغه أن أبا جعفر المنصور أرسل جيشاً من مصر لإنخضاع إفريقية ، فاستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي (١) . وعاد إلى طرابلس للاستعداد للقاء جيش أبي جعفر . وأصبحت طرابلس والقيروان تحت حكم أبي الخطاب .

أراد أبو جعفر المنصور أن يرجع إفريقية إلى العباسيين ويدخلها تحت نفوذهم بعد أن نبذ عبد الرحمن بن حبيب طاعتهم واستبد بها . وقد جاءت هذه الفكرة أيام أن كان أبو الخطاب صاحب الدولة والصولة في طرابلس ، وكان يأتمر بأمره من البربر مئات الألوف مما يجعل غزو إفريقية مهمة شاقة ، ولكنه اعتزم الأمر وتوكل على الله .

والذي يعنى النظر في حروب أبي الخطاب مع جيوش أبي جعفر المنصور لا يشك في أنها حروب سياسية قصد منها توسيع النفوذ ، والاحتفاظ بالسلطة على أكبر عدد ممكن من الناس ، وعلى أوسع رقعة من الأرض ، فجيوش أبي جعفر تريد أن ترجع للعرب ما فقدوا من إفريقية ، وتحتفظ لهم بسلطتهم عليها . وجيوش أبي الخطاب ترى أن إفريقية بلادهم ، وهم أولى بحكمها ، خصوصاً وقد أصبحوا مسلمين يتعبدون على مذهب عبد الله بن إباح الذي يعتقدون أنه لا ينقص عن أى مذهب من مذاهب المسلمين .

(١) هو من أبناء رستم أمير فارس في حرب القادسية وكان من موالى العرب . وهو من رؤساء الخوارج وقدم إلى إفريقية مع طلائع الفتح ، وأخذ بمذهب الإباضية . ١٥١ من ابن خلدون ( انظر ص ١٠٦ ) . اختطت تاهرت سنة ١٤٤ .

## عمر أبو الأحوص العجلي

كنيته أبو الأحوص . وهو أول من وقع اختيار أبي جعفر عليه لقيادة الجيش الذي أعده لغزو إفريقية ، وانقادها من ثوار البربر . . ويظهر أن أبا جعفر لم يكن على علم بكثرة البربر ، وما أصبح لهم من القوة زمن أبي الخطاب لأنه لم يرسل الجيش الكافي لإخضاع البربر ، وكانت النتيجة أن هزم أبو الأحوص .

وسار أبو الأحوص إلى إفريقية . وقد بلغت أخباره أبا الخطاب فاستعد للقاءه ، ولم ينتظره حتى يدخل عليه طرابلس ، بل سار إليه حتى لقيه في سرت ، في مكان يقال له مغمّداس على شاطئ البحر . بقرب سرت وقد التقى الجيشان في معركة انجلت عن هزيمة أبي الأحوص ، ورجع هو وأصحابه إلى مصر مفلولى الجناح ، واستولى أبو الخطاب على عسكره ، ورجع بغنائم كثيرة إلى طرابلس . وكان ذلك سنة ١٤٢ .

وجاء في طبقات الإباضية أن رجلاً - عربياً - سأل رجلاً من البربر : « ما تفسير تاورغة » يريد التعريض بهزيمة أبي الخطاب وأصحابه وقتلهم ، فظن البربرى لما أراده العربى ، فقال : « تفسيرها مغمّداس ، فيه أربعة أكّداس ، في كل كدس أربعة آلاف » يشير إلى هزيمة أبي الأحوص في مغمّداس .

وجاءت كلمة « مغمّداس » في طبقات الإباضية بلفظ « مغمّداس » مشكولة بالقلم بفتح الميمين وسكون الغين والمقصود منها المكان الواقع بقرب سرت ، وهو غلط ، وصحتها مغمّداس .

## محمد بن الأشعث

كانت الهزيمة التي أصابت جيش أبي جعفر في إفريقية حافزاً له على الاهتمام بأمر إفريقية وإعادة الكرة عليها في جيش أكثر واستعداد أقوى . ومهما بلغت كثرة جيش يذهب من مصر لغزو إفريقية ، فلا يمكن أن تصل واحداً من عشرين من جيش البربر الذي يمكنهم أن يعدوه لمقابلة هذا الجيش . ولكن النصر بيد الله ، والله مع الصابرين .

وابن الأشعث هذا ، هو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي ، كان والياً على مصر حينما رجع أبو الأحوص مهزوماً من إفريقية ، وقد وقع اختيار أبي جعفر المنصور عليه لغزو إفريقية ، فجهز له جيشاً من أربعين ألف مقاتل ، وزوده بما يلزم له من العتاد ، وأسند إليه إمارة إفريقية ، فكان أول أمير عليها من قبل العباسيين . وسار إليها سنة ١٤٤<sup>(١)</sup> . وكان معه الأغلب ، ابن سالم ، بن عقال ، بن خفاجة ، بن سواده ، التميمي . وهو جد الأغالبة الذين أسسوا دولة بني الأغلب في إفريقية . وسيأتي ذكرها .

واتصلت أخبار ابن الأشعث بأبي الخطاب في طرابلس ، فخرج للقائه في نحو مائتي ألف مقاتل من البربر ، وعسكر في ورداسة بالقرب من تاورغة وتقع في الجنوب الغربي من تاورغة وتسمى الآن قداس . وعلم بذلك ابن الأشعث فاستعد للقائه . والتقى الفريقان قرب تاورغة ، وكشرت الحرب عن أنيابها ، فكانت في أشنع صور الفظاعة والقسوة . وذكر الشماخي في كتاب السير<sup>(٢)</sup> أنه استشهد من البربر في هذه المعركة نحو اثني عشر ألفاً ودارت الدائرة على البربر فهزموا ، وقتل أبو الخطاب وأصحابه في صفر سنة ١٤٤ ، وأرسل رأسه إلى أبي جعفر ببغداد ، وتقدم أبو هريرة الزناتي

(١) وقيل سنة ١٤٣ .

(٢) كتاب السير في علماء الإباضية للشيخ أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي . توفي

سنة ٩٢٨ وقبره معروف تحت قصبة ابن مادي بجبل يفرن .

وجمع فلول البربر ، وأعاد بهم الكرة على ابن الأشعث ، فهزمه ابن الأشعث في ربيع الأول سنة ١٤٤ ، وتبع البربر في الجبال حتى كسر شوكتهم وشتت شملهم ، وتم له الاستيلاء على طرابلس . وبموت أبي الخطاب انتهت إمارة الإباضية على إفريقية ، وكانت مدة ولايته سنتين .

وقد تحريت كثيراً لتحديد المكان الذي وقعت فيه المعركة ممن لهم خبرة بجهات تاورغة وما عساه يقارب الحقيقة ، فظهر لي أن هذه المعركة كانت قريبة من قصر قداس غربى تاورغة ، وهو قصر قديم بين سوفجيين وزمزم على طريق سيرت ويمر به واد ما زال يعرف بوادى قداس . وما زال بعض الناس من الطاعنين في السن يحكى قصة معارك هائلة وقعت في تلك الناحية من زمن بعيد . . وما زالوا يشاهدون بقايا عظام وجماجم آدمية توجد قريباً من تلك الناحية ، مما يستأنس به لصحة هذا التقدير . وقد اتضح لي أن ورداسة التى يقال إنها وقعت فيها هذه المعركة ، هى المعروفة الآن بقداس . وفى سنة ١٣٤٠ كشفت السيول عن بئر رومانية بقرب قصر قداس كثيرة الماء كانت مغطاة بالتراب ، ويظن أن آباراً أخرى ما زالت مردومة . وهذه البئر وأمثالها هى التى كانت تمد قصر قداس وما حوله بالماء مما جعله مركزاً يصح أن تستند إليه تلك الجيوش المتقاتلة فى إمدادها بالماء ، وإلا لما أمكن أن تنزل على غير ماء فى صحراء قاحلة .

ويشهد لوقوعها فى ورداسة بيت شعر قيل فى هذه المعركة وهو :

قد لى البربر يوماً شاسا وساقها الحين إلى ورداسا

وذكر تاورغة إنما جاء للتقريب لشهرتها ، لا لتحديد ، لأن جيشين يتألفان من مائتين وأربعين ألف مقاتل يلتحمان فى معركة لا شك أنهما يحتاجان إلى عشرات الكيلومترات ليتسع مجال الكر والفر لهذا العدد الهائل ، ولذلك فلا يبعد أن تشغل المعركة ما بين تاورغة وقداس .

## المخارق بن غفار الطائي

وتقدم ابن الأشعث إلى طرابلس فاستولى عليها ، وولى عليها المخارق بن غفار الطائي ، وسار إلى القيروان لطرده ابن رستم منها . وقد بلغ ابن رستم خبر انتصار ابن الأشعث على البربر وقتل أبي الخطاب فهرب من القيروان ونزل في مكان مدينة تيهرت<sup>(١)</sup> ، وبقي هناك . . ودخل ابن الأشعث القيروان غرة جمادى الأولى سنة ١٤٤ .

وفي سنة ١٤٥ أمر ابن الأشعث ببناء سور القيروان ، وأتمه سنة ١٤٦ . وأرسل إلى زويلة وودان جيشاً واستولى عليهما ، وكانتا مسكونتين بالإباضية ، فحاولوا الدفاع عنهما ، وكان رئيسهم عبد الله بن حيان الإباضي ، وكان يقيم بزويلة ، فقتل وقتل معه أناس كثيرون ، وبذلك دانت إفريقية لابن الأشعث ، واستتب له الأمر فيها .

وفي سنة ١٤٧ ثار عليه موسى بن عجلان - وهو أحد جنوده - فأخرجه من القيروان ورجع إلى المشرق . وكانت مدة ولايته ثلاث سنوات وعشرة أشهر .

## عيسى بن موسى الحراساني

لما تغلب الجند على ابن الأشعث وأخرجوه من القيروان ولّوا عليهم عيسى ابن موسى الحراساني في ربيع الآخر سنة ١٤٨ ، وتولى أمور الناس من غير عهد من المنصور ، ولا انتخاب من العامة ، وقد استند الجند في ذلك على القوة والإرهاب ولم يقر المنصور هذا العمل ، فعزل عيسى بعد ثلاثة أشهر من ولايته ، وولى بعده الأغلب بن سالم . وفي أيام موسى كان العامل على طرابلس المخارق ابن غفار .

(١) شرع في بنائها سنة ١٦١ على أنقاض مدينة قديمة .

## الأغلب بن سالم التميمي

كنيته أبو عقال . وكان رجلاً شهياً ، صائب الرأي ، محباً للمشورة . قدم إفريقية مع محمد بن الأشعث الخزاعي . ولما رجع ابن الأشعث إلى المشرق أرسل إليه المنصور عهد الولاية على إفريقية في جمادى الآخرة سنة ١٤٨ . . وكان المخارق عاملاً على طرابلس فأبقاه الأغلب على عملها . . . . . ومرت سنة ١٤٩ ولم يحصل فيها من الأحداث ما يستحق الذكر .

ومنذ أن انتشرت مذاهب الخوارج في إفريقية سنة ١٠٠ كان البربر أول من اعتنق هذه المذاهب ، ووجد دعايتها منهم قلوباً صاغية للمتطرف منها وغير المتطرف . وشحنوها ضغينة ضد العرب بدعوى أنهم غرباء عن إفريقية ، وتأثر البربر بعامل العنصرية وعامل المذهبية ، وأصبح لكل من هذين العاملين أثره السيئ على نفوس البربر في كراهة العرب ؛ لأن البربري يشعر بأنه من غير جنس العرب ، وله مذهب غير مذاهب العرب ، ولذلك فقد كثر الاصطدام بينهم . وكانت سلطة الحكم هي محل التنازع وملتقى الخلافات .

ومنذ أن ابتدأت أقدام العرب تثبت في إفريقية ، وأخذ الإسلام في الانتشار كانت أكثر النحل ثورة بالعرب هم البربر المتأثرين بمذاهب الخوارج وكان الإباضية أقرب طوائف البربر إلى العرب ، وأقل نزاعاً معهم ، ولذلك نجد أكثر الثوار على أمراء إفريقية العرب من الصفيرية وغيرهم من النحل المتطرفة .

وكان الخوارج ينهزون أدنى الأسباب للثورة على العرب . وكان أبو قررة الصفري في طابطة الناقلين على العرب ، فما كادت تمضي على حكم الأغلب ابن سالم سنتان حتى ثار عليه أبو قررة سنة ١٥٠ في ناحية الزاب . والتفت حوله جموع من البربر لا تحصى ، فخرج الأغلب لقتالهم ، نفر أبو قررة وتشتت جموعه ، وأراد الأغلب أن يطارده ، ولكن رؤساء الجند أبوا عليه ذلك ، واكتنفوا بما حصل . ولما أصر الأغلب على رأيه خالفوا عليه ، وأخذوا يتسللون إلى القيروان

وساءت الحال بين الأغلِب وجنده ، وسنحت الفرصة لبعض خصومه للوثوب عليه ، وكان الحسن بن حرب الكندي حاكم قابس يتربص بالأغلِب ، فانتهاز فرصة تدمير الجند فاستألم وثار على الأغلِب وسار إليه في جموع عظيمة . فجمع الأغلِب - وكان بالقيروان - أهل بيته وخاصته وأعلمهم أنه سيلتقي الحسن وحده إن لم يعنه أحد . فلما بلغ الحسن القيرواني لقيه الأغلِب فيمن معه ، وشدوا على الميمنة فكشفوها ، ثم انصرف الأغلِب وهو يقول :

لم يبقَ إلاّ القلبُ أو أموتُ      إن تحم لي الحربُ فقد حَسِيتُ  
وإن توليتُ فلا بَقِيتُ

ثم حمل الأغلِب على القلب ، فلم يثن حده حتى قتل بسهم أصابه ، وذلك في شعبان سنة ١٥٠ . ومدة حكمه سنة وثمانية أشهر .

### المخارق بن غفار الطائي

وبعد موت الأغلِب اجتمعت كلمة أصحابه على حاكم طرابلس المخارق ابن غفار فولوه عليهم ، وخذلوا على الحسن حاكم قابس ففر إلى تونس ، وقام المخارق بأمر إفريقية ما عدا تونس .

### آل المهلب

آل المهلب بيت عربي عريق في المجد ، له المكانة الأولى في أيام العرب ووقائعهم ، ورثوا الكرم والشجاعة كابراً عن كابر . وكانت لهم المكانة الممتازة أيام الدولتين : الأموية والعباسية ، وكانوا من خير الولاة في إفريقية ، رفعوا من ذكر العرب وأقدارهم ، وكان لهم المقام الأول في حرب الخوارج في إفريقية والشرق . وكان للمهلب بن أبي صفرة القدح المعلى في قتالهم وتشتيت جموعهم . وأول ولايتهم في إفريقية عمرو بن حفص ، وآخرهم محمد بن مقاتل العكبي .

## عمر بن حفص بن قبيصة الأزدي

لقبه ( هزأمرّد )<sup>(١)</sup> وهو أول وال من آل المهلب على إفريقية، وولاه عليها أبو جعفر المنصور سنة ١٥١ . وكان مركز ولايته القيروان فقدمها في صفر من هذه السنة واستقامت له الأمور في إفريقية ثلاث سنين وأشهرًا ، ثم سار إلى الزاب ونزل طبنة فبنى سورها ، واستخلف على القيروان قريبه حبيب ابن حبيب ، فثار عليه البربر وقتلوه .

## الجنيد بن بشار الأسدي

وولى عمر على طرابلس الجنيد بن بشار ( أوسيتار ) الأسدي . وفي سنة ١٥٣ ثار عليه برابر طرابلس بزعمارة يعقوب بن لبيب بن يزيد بن يسطوفت الملزوزي الإباضي المغيلي ، وكنيته أبو حاتم ، فأمد عمر الجنيد بن بشار بالجيوش لمحاربة يعقوب ولكن كثرة البربر تغلبت على الجنيد وأصحابه فانهزموا إلى قابس ، ودخل أبو حاتم طرابلس في رجب سنة ١٥٤ وأقام بها أشهرًا . وكثرت الثورات في إفريقية ، وانتقضت على عمر من كل جانب .

ورأى البربر في انتفاض إفريقية فرصة لانتزاع الحكم من العرب فاجتمع أمراء قبائلهم من كل مكان ، وذهبوا إلى عمر في طبنة ، وأحاطوا بها في اثني عشر معسكرًا لا يقل ما فيها من المحاربين عن خمسة وسبعين ألفًا ، ومن أشهر هؤلاء الأمراء أبو قرّة المغيلي الخارجي الصفري أمير تلمسان ، وكان معه أربعون ألفًا وعبد الرحمن بن رستم الإباضي في خمسة عشر ألفًا وجاء بهم معه من مكان تاهرت . وأبو حاتم فيمن معه من برابر طرابلس . وعاصم السدراتي وكان معه عدة آلاف من الإباضية ، والمسور الزناتي في عشرة آلاف من الإباضية . وأمم من البربر من زفانة وصنهاجة وهوارة لا تحصى . .

( ١ ) معنى هزأمرّد بالفارسية ألف رجل . وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة أخى المهلب ، وكان شجاعاً وكنيته أبو جعفر .



## ثورة يعقوب بن لبيب (١)

وقال ابن حداث: ثار يعقوب بن لبيب الملوزي - أبو حاتم - سنة ١٥٠م وغلب على إفريقية كلها ، وفتح القيروان ، وبلغت عساكره من الخيل خمسة وسبعين ألف فارس ، ومن الرجال ٣١٥ ألفاً . . . كل هذه الجموع الحاشدة وجيش عمر لا يتجاوز ١٥٥٠٠ .

وعلم عمر ألا سبيل إلى التغلب على هذه الأمم المجتمعة من طريق الحرب ، فسلك مع رؤساء البربر طريق الوعود ، والرشوة ، والهدايا . وأول من قبل هداياه أخو أبي قررة ، ووعدته بأن يعمل على صرف أخيه ، وتفريق الصفيرية عنه ، وقد فعل ، ونجحت الحيلة ، وتفريق الصفيرية عن أبي قررة ، وهاجم عمر ابن رستم فانهزم أمامه ورجع إلى تاهرت ، وقتل من أصحابه نحو ثلاثة آلاف . ورجع عمر إلى القيروان ، وما زالت جيوش البربر حولها كثيرة ، وقد أدخل عمر إلى القيروان كل ما يحتاج إليه من المؤن والعتاد الحربى .

وأقبل أبو حاتم في مائة وثلاثين ألفاً وحاصر القيروان ، وكان عمر يخرج كل يوم لقتالهم . وكان البربر من الكثرة بحيث كلما فئيت أمة جاءت أخرى . . وطال الحصار على عمر ومن معه في القيروان ، وفقى ما عندهم من المتاع حتى أكلوا الدواب والسنانير ، وقل جندهم من طول الحرب وكثرة الموتى ، فاضطرب أمره وضاق بالحياة ذرعاً . وأشيع أن يزيد بن حاتم بعث المنصور لنجدة عمر فكبر على عمر أن يقال يزيد أخرج عمر من الحصار ، فقال عمر : « إنما هي رقدة وأبعث إلى الحساب » ، وخرج إلى العدو فما زال يقاتل حتى قتل في نصف ذى الحجة سنة ١٥٤ (٢) واستولى أبو حاتم على القيروان ، بعد حصار دام

(١) هو يعقوب بن لبيب الملوزي الهوارى وكنيته أبو حاتم . ويقال إنه بقى مستولياً على طرابلس أربع سنين .

(٢) هذه الرواية منقولة عن الرقيق بواسطة . وقال الطبرى سنة ١٥٣ .

نحو سنة ، وبإيعة الإباضية والبربر بالولاية على إفريقية . وكان ما وقع بين عمرو بن البربر من الوقائع ثلاثمائة وخمسة وسبعين واقعة في مدة لا تتجاوز سنة على رواية الطبري ، ولا تتجاوز سنتين على رواية الرقيق<sup>(١)</sup> . عليه وعلى آل المهلب جميعاً رحمة الله . واستولى الإباضية على أكثر إفريقية :

وقد استاء المنصور لقتل عمر ، فأرسل يزيد بن حاتم إلى إفريقية للأخذ بثأر عمر من أبي حاتم ، في جيش ، قال في شذرات الذهب : إنه مكون من خمسين ألف فارس ، وبلغنا أنه أنفق عليه ثلاثة وستين ألف ألف .

### يزيد بن حاتم

هو يزيد بن حاتم ، بن قبيصة ، بن المهلب . وكنيته أبو خالد ، كان شجاعاً مقداماً ، ذا نجدة ومروعة . وكان شبيهاً بجده المهلب بن أبي صفرة في الكرم والشجاعة ، وكان من خواص المنصور ووجه ولائه . قال صاحب النجوم الزاهرة : وفي سنة ١٤٩ ضم أبو جعفر المنصور برقة إلى يزيد بن حاتم زيادة على عمل مصر . وهو أول من ضم له برقة على مصر هـ . ولاء المنصور إفريقية سنة ١٥٥ . وكان أبو حاتم الإباضي إذ ذاك مستولياً على طرابلس والقيروان . ويقال إنه كان مستولياً على إفريقية كلها .

وبلغته أخبار يزيد بن حاتم ، فخرج إلى طرابلس للقائه ، فغدر به أهل القيروان فرجع لقتالهم فقاتلهم ، ووكل عليهم جرير بن مسعود المديوني ورجع إلى طرابلس ينتظر ورود يزيد بن حاتم .

(١) الرقيق القيرواني : هو إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني ، مؤرخ أديب من أهل القيروان . رحل إلى مصر سنة ٣٨٨ هـ يحمل هدية من باديس بن زيري إلى الحاكم ، وعاد إلى وطنه فتوفى فيه على الأرجح .

وصفه بن رشيح صاحب العمدة بأنه شاعر سهل الكلام محكمه ، لطيف الطبع ، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحق الناس هـ .  
ونعته ياقوت بالكاتب ، وأورد أسماء كتبه ، ولعل غيرها « تاريخ إفريقية والمغرب » و« كتاب النساء » و« نظم السلوك في مسامرة الملوك » .  
معجم الأدباء ج ١ ص ٢٨٧ .

ولما وصل يزيد بن حاتم إلى طرابلس انضم إليه جماعات من البربر لقتال أبي حاتم الملزوزى الإباضى . وكان مع أبي حاتم جيوش كثيرة ، فالتقى بها يزيد واحتدم القتال بين الفريقين ، وانجلى المعركة عن هزيمة أبي حاتم فالتجأ إلى جبل نفوسة في فلول من جيشه ، فطارده يزيد إلى أن أدركه في جندوبة ، فقتله في ثلاثين ألفاً من أصحابه<sup>(١)</sup> وتفرقت جموع البربر واستولى يزيد على طرابلس .

كان أبو حاتم من أئمة الإباضية المشهورين . وبمناسبة قتله نقل الأستاذ الشماخى في كتاب السير خرافة من صنع الذين يعملون لتفريق الكلمة ، ورفع أقدار بعض الناس على حساب الطعن في أقدار غيرهم . قال الأستاذ الشماخى ما نصه :

« إن مكان المعركة يستضيء نوراً كل ليلة ، وقد اشتهر عندنا — من غير أن أراه — أن النور ينزل على قبره — يعنى قبر أبي حاتم — وقيل لم ينزل حتى دفن إلى جنبه أعرابى فكف » ا هـ . ما ذكره صاحب السير .

ومثل هذه الخرافة لا يصح من الأستاذ الشماخى أن يسود بها صحائف كتابه فإن أى إنسان لا يصدق أن النور الذى كان ينزل على قبر أبي حاتم انقطع لما دفن الأعرابى إلى جانبه . ولكن الذى اختلق هذه الخرافة يريد أن يرفع من شأن أبي حاتم بالطعن في العرب . وهو خطأ فى التقدير يؤدى إلى الفتنة بين المواطنين وإلى تأريث الكراهة بينهم . ولو اقتصر الخرافة على مدح أبي حاتم لما عانا شئ منها ، ولما تعرضنا لها بنقد .

وقد ذكر مثل هذه الخرافة فى حكاية قتل مهدى النفوسى حينما قتل وعلق رأسه على باب سور طرابلس ، « فكانت أسارير وجهه تنبسط حينما يقولون له انتصر أصحابك ، وتنقبض حينما يقولون له انتصر العرب » وأغرب ما فى الموضوع أن البارونى باشا ينقل هذه الحكايات فى كتابه « الأزهار الرياضية » ولا يعلق عليها بشئ .

(١) يظهر من سياق الكلام أن يزيد بن حاتم قدم إفريقية أوائل سنة ١٥٥ ، وقتل أبو حاتم الملزوزى فى أوائل هذه السنة .

ويجب على الطرابلسيين من العرب والبربر أن يتجنبوا كل ما من شأنه الطعن والتحقير ، وما يوجب الفرقة وتغيير النفوس ، فقد جرت هذه الأوصاف على الوطن أكبر الولايات وأشد النكبات ، ونحن في زمن أحوج ما نكون فيه بجمع الشمل واتحاد الكلمة .

وكان يزيد هذا شجاعاً مشهوراً بالكرم ، أغرى كرمه به الشعراء ، ودلم عليه ، فتباروا في مدحه ، وقالوا من عطائه .

ومن مدحه من الشعراء ربعة بن ثابت الرقي ، قصده ذات مرة ، فشغل عنه بعض الوقت ، فانصرف مغاضباً وقال :

أراني - ولا كفران لله - راجعاً  
بنتي حنين من عطاء ابن حاتم  
فبلغ يزيد ذلك ، فرده وملاً له خفيه ذهباً ، فأخذ يمدحه ويفضله على يزيد  
ابن أسد السلمي . ومن شعره في مدحه :

حلفت يمينا غير ذي مشنوية  
لشتان ما بين اليزيديين في الندا  
فهم الفتي الأزدي إتلاف ماله  
فلا يحسب التتمام أني هجوته  
ويزيد هذا هو القائل في نفسه :

لا يالف الدرهم المضروب خرقنا  
إلا لماماً يسيراً ثم ينطلق  
يمراً مرّاً عليها وهي تلفيظته  
إني امرؤ لم يخالف صرقي الورق  
وكان يضرب به المثل في الكرم وعظم الهمة .

وفي سنة ١٥٧ انتفضت عليه ورفجومة ، وولوا عليهم رجلا اسمه أبو زرجومة فأرسل إليهم يزيد جيشاً فهزموه ، فأرسل إليهم ابنه المهلب في جيش ، وأمدته بالعلاء بن سعيد بن مروان المهلبى ، فأوقع بهم وقتلهم أبرح قتل .

وفي سنة ١٦١ انتقضت نفاوة ، ودعوا إلى مذهب الإباضية فهزمهم .  
وركبت ربيع الخوارج من البربر ، وتداعت بدعتهم إلى الاضمحلال .  
وكان يزيد بمكان من التقوى وخوف الله . وكان عادلاً في أحكامه حازماً  
فيها . وكان يقول : « والله ما هبت شيئاً قط هبتي من رجل ظلمته ، أنا أعلم  
أن لا ناصر له إلا الله ، فيقول الله حسبك ، الله بيني وبينك » .  
توفي بالقيروان في ١٨ من شهر رمضان سنة ١٧٠ .<sup>(١)</sup> ومدة ولايته  
خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر . ودفن بباب سلم بتونس .

### سعيد بن شداد

وبعد أن قضى يزيد على أبي حاتم وجيشه ولى على طرابلس سعيد بن شداد  
وسار إلى القيروان فدخلها بدون حرب يوم الاثنين لعشر بقين من جمادى الآخرة  
سنة ١٥٥ ، وأقر الأمن ، واطمأن الناس ، وباشروا أعمالهم ، وأرجع إلى البلاد  
بعض ما فقدته من النشاط التجاري والصناعي ، ورتب أسواقها ، وجعل لكل  
صناعة سوقاً خاصة بها .

وفي سنة ١٥٦ ثار عليه بناحية طرابلس أبو يحيى الهواري ( بن قرياس )<sup>(٢)</sup>  
فتصدى له عبد الله بن السمط الكندي - قائد جنود طرابلس من قبل يزيد  
ابن حاتم - فالتقى به على شاطئ البحر ، وأسفرت المعركة عن هزيمة ابن  
قرياس ، وقتل عامة أصحابه ، وتم الأمر في إفريقية ليزيد بن حاتم المهلبى  
وضبط أمورها .

(١) اقتصرنا على سنة ١٧٠ كما جاء في وفيات الأعيان .

(٢) ذكره بن خلدون باسم يحيى ابن فوناس .

## داود بن يزيد

وقبل أن يموت يزيد استخلف ابنه داود على إفريقية حتى يأتي التقليد من بغداد لمن يختاره الخليفة لولاية إفريقية . ولم يمهل البربر داود فثاروا به ، ولكنه انتصر عليهم وقتل كثيراً منهم ، واحتفظ بولاية إفريقية ، حتى صدرت أوامر هارون الرشيد بولاية روح بن حاتم ، وهو عم داود ، بعد تسعة أشهر ونصف من ولايته .

## روح بن حاتم<sup>(١)</sup>

هو أخو يزيد بن حاتم ، وكنيته أبو خالد ، وقيل أبو حاتم . ولاء الرشيد على إفريقية في جمادى الآخرة سنة ١٧١ . ودخل إفريقية في هذه السنة .

وفي هذه السنة رغب عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت في موادعته فوادعه . قال ابن خلدون واستكان البربر للغلب ، وفرضت عليهم الضرائب ، واستقر الإسلام .

وتوفي روح ليلة الأحد لسبع بقين من رمضان سنة ١٧٤ . ومدة ولايته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر . ودفن مع أخيه يزيد في قبر واحد .

---

(١) ابن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، كان من أجود العرب ، وولي خمسة من الخلفاء: السفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد . قيل إنه لم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري ، فإنه ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، رضي الله عنهم .

وقبل أن يتولى إفريقية كان والياً على السند . وكان الناس يتعجبون من بعد ما بين ابني حاتم : يزيد في إفريقية وروح في السند ، فاتفق أن الرشيد عزل روحاً عن السند ، فلاحق بأخيه يزيد بإفريقية . وبعد وفاة أخيه يزيد تولى إفريقية ومات بها ودفن مع أخيه يزيد بباب سلم بتونس في قبر واحد .

## على بن زياد العبسي<sup>(١)</sup>

وفي أيام ولاية روح - وكان مقرها القيروان - كان يوجد بتونس العلامة الفقيه الأستاذ على بن زياد العبسي الطرابلسي ، سمع من مالك ، والثوري ، والليث بن سعد ، وابن طبيعة ، ولم يكن بإفريقية مثله . . أخذ عنه البهلول بن راشد ، والإمام سحنون ، وشجرة بن عيسى ، وأسد بن الفرات . وكان يقول : إنني لأدعو الله عز وجل لعلي بن زياد مع والدي لأنه أول من تعلمت العلم عليه . . ولم يكن سحنون يقدم عليه أحداً من أهل إفريقية . . وهو أول من أدخل موطأ مالك لإفريقية وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه ، وهو معلم سحنون . . وسأل سحنون شرحبيل قاضي طرابلس عن أصل على بن زياد فقال : كشفنا عن أصله فإذا هو من العجم ، وكان أوله من طرابلس ، ثم سكن مدينة تونس . . وكان البهلول يفرع إلى على بن زياد في مشكلات العلم . قال سحنون : ما بلغ البهلول شسع على بن زياد ، ويقول ما أنتجت إفريقية مثل على بن زياد . وكان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى على ابن زياد ليخبرهم من هو على الصواب .

أرسل إليه أمير إفريقية ورسول الخليفة يستشيرانه فيمن يلي القضاء فامتنع عن الذهاب إليهما ، فحضرنا إليه في منزله ، فلما قيل له إنهما بالباب حول وجهه إلى الحائط ، فدخلا عليه وسأله الوالي بلسان رسول الخليفة عن من يلي القضاء في إفريقية ، فحول وجهه إلى القبلة وقال : ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحداً يستوجب القضاء ، قوموا عني .

وبعث روح بن حاتم - وكان بالقيروان - في طلبه ليوليه القضاء فامتنع ورجع من فوره إلى تونس . . .

أراد يوماً أن يصلي بجامع القيروان فأتى إلى سارية ، فأراد أن يكبر فارتعدت فرائصه خوفاً من الله ، ثم تحامل على نفسه وكبر فتغير لونه .

وله مواقف محموددة في العلم والزهد والخوف من الله .

توفي سنة ١٨٣ عليه رحمة الله .

(١) ملخص من رياض النفوس للملكي ، ولم يذكر تاريخ ولادته .

## نصر بن حبيب المهلبى

بويج له فى العشر الأخير من رمضان بعد وفاة روح . ومدة ولايته سنتان وثلاثة أشهر .

## الفضل بن روح بن حاتم

ولاه الرشيد إفريقية فى المحرم سنة ١٧٧ .

## يحيى بن موسى

وولى الفضل من قبله يحيى بن موسى عاملاً على طرابلس . وفى جمادى الآخرة سنة ١٧٨ ثار الجند على الفضل ، وقدموا عبد الله بن عبد ربه بن الجارود ، وتزعم الثورة من غير إذن الرشيد ، وأبقى يحيى بن موسى عاملاً على طرابلس . وانتشرت الثورة فى إفريقية كلها ، وقتل الفضل فى شعبان سنة ١٧٨ ، ودامت ولايته سنة وخمسة أشهر ، وهو آخر أمير من آل المهلب فى إفريقية ودامت ولايتهم فيها سبعة وعشرين سنة من سنة ١٥١ إلى سنة ١٧٨ .

## عبد الله بن الجارود

وبعد أن قتل الفضل تولى ابن الجارود الأمر من بعده ، وكانت له مع البربر وقائع هائلة ، وتغلب على جزء كبير من إفريقية . وأعطاه الرشيد الأمان فاستجاب للطاعة ، واتخذ القيروان محلاً لحكمه وكتب إلى عامل طرابلس يحيى ابن موسى أن أقدم إلى القيروان فإنى مسلم إليك أمرها ، فخرج يحيى بمن معه ، فلما بلغ قابس تلقاه بها عامة الجند من القيروان ، ومعهم النصر ابن حفص وعمرو بن معاوية . وخرج ابن الجارود من القيروان واستخلف عليها المقرح بن عبد الملك ليحافظ على الأمن حتى يصل يحيى بن موسى . وكانت مدة ابن الجارود سبعة أشهر .



وكان رجل يسمى العلاء بن سعيد أراد أن يزاحم يحيى بن موسى على القيروان فانهز فرصة تخلى ابن الجارود عنها ودخلها قبل أن يصل إليها يحيى وقتل جماعة من أصحاب ابن الجارود . . . وجاء يحيى بمن معه ، وطلب إلى العلاء أن يتخلى عن القيروان ، وأن يفرق أصحابه إن كان في الطاعة ، فأجاب العلاء الطلب ، وصرف أصحابه إلى مواضعهم وسلم البلد إلى يحيى ورجع إلى طرابلس .

ولما تخلى ابن الجارود عن القيروان ذهب إلى طرابلس ، وفي نيته أن يذهب إلى المشرق ، فوصل إلى طرابلس قبل العلاء بن سعيد ، فلقى بها يقطين بن موسى فخرج معه إلى المشرق ، فالتقوا في الطريق بهرثمة بن أعين قادماً إلى إفريقية والياً عليها من قبل الرشيد .

كان العلاء كتب إلى هرثمة أنه هو الذي أخرج ابن الجارود من القيروان يريد بذلك الواقعة بابن الجارود لأنه قتل الفضل واستبد بإفريقية بدون إذن الرشيد ، وقد صدق هرثمة قوله وكافأه بجائزة سنوية . . . ولما التقى هرثمة بابن الجارود ، وأخيره ابن الجارود بالحقيقة ، وهى أنه هو الذي سلم القيروان ليحيى بن موسى ، وأن العلاء خرج من القيروان بناء على تهديد يحيى - لما علم هذا قدم يحيى على العلاء ، وأرسل ابن الجارود إلى الرشيد ليعتذر له مما فعل ويقدم له الطاعة .

### هرثمة بن أعين الهاشمي<sup>(١)</sup>

لما شق ابن الجارود عصى الطاعة في إفريقية وقتل الفضل ، لم يكتف منه الرشيد بالاعتذار فيما بعد ، بل فكر فيمن يخلفه فوقع اختياره على هرثمة بن أعين ، فولاه على إفريقية سنة ١٧٩<sup>(٢)</sup> ، وقدم إليها يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من هذه السنة .

(١) ضبطه في خلاصة تاريخ تونس بضم الياء

(٢) وقيل في ربيع الأول سنة ١٨٠ .

## سفيان بن أبي المهاجر

وولي هرثمة على طرابلس سفيان بن أبي المهاجر ، وفي أيامه أمر هرثمة ببناء سور طرابلس من جهة البحر . وبني القصر الكبير ليرابط به الجند والمدافعون عن البلاد لرد الأعداء عن الثغر . وكان الذي يشرف على عملية البناء زكريا أبو قادم ، وهو أحد خواص هرثمة .

وفي أيام هرثمة استراح الناس ، وأمنوا وانصرفوا إلى أعمالهم . . . ولكن البربر لم تهدأ ثائرتهم بعد ، وكل ما نزل بهم من الهزائم والقتل في حروب أبي الخطاب وأبي حاتم وغيرها لم يثن من عزمهم ، ولم ينسهم الأخذ بالثأر من العرب كلما سنحت لهم الفرصة . فخرج من بينهم أحد رجالاتهم ، وهو عياض بن وهب الهواري ، ودعا إلى الثورة على هرثمة ، فسرعان ما لبوا نداءه ونشبت الحرب بينهم وبين هرثمة . وحاول هرثمة أن يقضى على الفتنة فاستعصت عليه ، وكثرت الخلافات وأفلت زمام الأمر من يده ، فلم يسعه إلا أن يستأذن الرشيد في الاستقالة فأذن له ، ورجع إلى المشرق في رمضان سنة ١٨١ . وسجنه المأمون لاتهامه بممالأته لإبراهيم بن المهدي . ومات في السجن سنة ٢٠٠ ولا ندري ماذا حصل لعياض الثائر على هرثمة .

## محمد بن مقاتل بن حكيم العكي<sup>(١)</sup>

وبعد أن قبل الرشيد استقالة هرثمة أسند إمارة إفريقية إلى محمد بن مقاتل ابن حكيم العكي سنة ١٨١<sup>(٢)</sup> . وهو أخو الرشيد من الرضاة . وكان سيء الخلق ضعيف الإرادة .

(١) ضبطه ابن أبي زرع في تاريخه « الأنيس المطرب » بضم العين .

(٢) يقال إنه قدم إفريقية في رمضان من هذه السنة .

## تمام بن تميم التميمي

وانتهز تمام ضعف إرادة محمد بن مقاتل فثار عليه سنة ١٨٣ بتونس ، ودخل عليه القيروان لحمس بقين من رمضان من هذه السنة ، فانتزعها منه ، واستسلم له ، وطلب الأمان على حياته فأمنه ، واشترط عليه أن يخرج إلى طرابلس فخرج إليها ، وكانت ولاية العكي ستين وعشرة أشهر .

وكان إبراهيم بن الأغلب والياً على الزّاب من قبل هارون الرشيد ، فقدم لقتال تمام في القيروان ، ففر تمام إلى تونس ، وكان هذا بعد أن استسلم له ابن مقاتل . ودخل الأغلب المسجد فخطب في الناس - وكان لساناً فصيحاً - فحثهم على التمسك بالعكي ، وأفهمهم أنه هو الأمير من قبل الخليفة واستقدمه من طرابلس وسلم له إمارة القيروان . . والتقى تمام مع إبراهيم بن الأغلب في حروب كثيرة . وفي المحرم سنة ١٨٤ استسلم تمام للأغلب وقدم الطاعة للعكي . وكثرت شكايات الناس إلى الرشيد في العكي وفساد حكمه وسوء سلوكه ، فعزله في منتصف جمادى الآخرة سنة ١٨٤ .

وذكر - ابن أبي زرع في تاريخه « الأنيس المطرب » سبباً آخر لعزله ، وهو أن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المؤسس الأول لدولة الأدارسة بالمغرب كان له مولى يقال له راشد ، هو الذي أشرف على تربيته ، وهرب به من المشرق إلى المغرب خوفاً على حياته ، وكان شجاعاً مقداماً ، وذا رأى صائب .

ولما أرسل الرشيد سليمان بن جرير إلى المغرب ليقتل إدريس أخذ يفتال عليه حتى قتله بالسّم سنة ١٧٧<sup>(١)</sup> ، وبنى راشد يدير مملكة الأدارسة ويتولى تربية إدريس الثاني فكان لا بد من التخلص من راشد ، فأوعز الرشيد إلى إبراهيم ابن الأغلب بقتله وأخذ يفتال له حتى قتله حوالي سنة ١٨٨ .

(١) وقيل سنة ١٧٥ ويقال إنه وضع له السم في « دلاعة » والدلاعة كلمة بربرية اسم للبطيخة الخضراء .

وأراد محمد بن مقاتل العكي أن يتزلف إلى الرشيد بهذا العمل ، فأرسل إليه يخبره بأنه هو الذي دبر قتل راشد . ولكن الرشيد تحقق أن الذي دبر قتل راشد هو إبراهيم بن الأغلب ، فعزل العكي عن إفريقية وولى بدله ابن الأغلب . وفي هذا الحادث يقول ابن الأغلب فيما كتب به إلى الرشيد :

ألم ترني بالكيد أرديت راشداً وإني بأخري لابن إدريس راصد  
تساوله عزمي على بعد داره بمحتومة قد هيأتها المكائد  
فتاه أخو عك بمقتل راشد وقد كنت فيه شاهداً وهو راقد

قال البخاري قد خفي على الناس حديث إدريس بن إدريس لبعده عنهم ، ونسبوه إلى مولاه راشد ، وقالوا إنه احتال في ذلك لبقاء الملك له ، ولم يعقب إدريس بن عبد الله ، وليس الأمر كذلك ، فإن داود بن القاسم الجعفري وهو أحد كبار العلماء ومن له معرفة بالنسب حكى أنه كان حاضر قصة إدريس . قال وكنت معه في المغرب فما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجهاً . وقال الإمام علي بن موسى الرضا : إن إدريس بن إدريس بن عبد الله ، كان نجيب أهل البيت وشجاعهم . قال أبو هاشم : داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار أنشدني إدريس بن إدريس لنفسه قال :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم لكل في روعتي أو ضل في جزعي

وكان إدريس بن إدريس لما مات أبوه حملاً ، وأمه ( أم ولد ) بربرية ولما مات إدريس بن إدريس هذا ابن المحض وضعت المغاربة التاج على بطن جاريتها أم إدريس ، فولدت بعد أربعة أشهر ، وليس لإدريس بن المحض عقب الا منه ، وأعقب من ثمانية رجال ، وقيل إنه أعقب من غير هؤلاء أيضاً ، ولكل منهم ممالك ببلاد المغرب هم ملوك إلى الآن . وأسماء أولاده القاسم ، وعيسى ، وعمر ، وداود ، ويحيى ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وحمزة .

وإلى هنا انتهى دور من أدوار الحكم في إفريقية كان ولايتها فيه خاضعين لأوامر الخلفاء في دمشق وبغداد من الأمويين والعباسيين . ودخلت في دور فيه كثير من الحرية في العمل والاستقلال بالرأى ، مع بقاء شيء من الارتباط

بالخلافة العباسية ببغداد لا يعدو تلك التقاليد الدبلوماسية التي تشعر بالموءة والارتباط الأدبي . . هذا الدور هو قيام دولة الأغلبة .

\* \* \*

وقبل أن ندخل في الكلام على دولة الأغلبة يحسن أن نذكر شيئاً من نظام الحكم في إفريقية الذي كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين ، وخلفاء بني أمية والعباسيين .

كانت مهمة العرب في إفريقية — في عهد الخلفاء الراشدين — مهمة الفاتح وكانت عسكرية بحتة ، ولهم من السلطان ما لقواد الجيوش ، ولم تكن لهم فيها ، إدارات ودواوين لأن الأمور فيها إذ ذاك لم تستقر ولم يتخذها العرب دار مقام . وجاء دور الأمويين والعباسيين ، وكثر فيه تردد العرب على إفريقية فاتحين ، فاتسعت فيه فتوحاتهم . . فكان عصر الفتح وتهدة الثورات ونشر السلام ، وتعاليم الإسلام ، وتفهم الناس فضائله ، وما ترمى إليه دعوته من خير للبشرية وسعادتها .

واقترضت ظروف الاستقرار أن يوضع نظام حكومي يتناسب مع الوضع القائم إذ ذاك ، فكان كما يأتي :

يعين الخليفة الوالي ( الأمير ) ومحل إقامته دار الإمارة بالقيروان التي بناها عقبة بن نافع بجوار الجامع الأعظم . . والوالي يعين العمال على المقاطعات ، ومحل إقامتهم عواصم المقاطعات . . فعامل طرابلس يقيم بمدينة طرابلس لأنها عاصمة القطر ، وهكذا في غيرها من المقاطعات .

ويعين الوالي ( الأمير ) رئيساً على ديوان الحراج ويسمى ( رئيس ديوان الحراج ) وهو يساوى وزير المالية . . ويعين رئيساً على البريد ، ويسمى ( صاحب البريد ) وهو يساوى مدير مصلحة البريد . . ويعين رئيساً على ديوان الجند ، ويسمى ( رئيس ديوان الجند ) وهو يساوى وزير الحربية ، ويلحق به قائد الأسطول ، ويسمى ( مقدم العمارة ) وهو يساوى وزير البحرية . . وينشئ ديوان الرسائل ، ويشمل

كل ما يتعلق بالرسائل والمكاتبات . . ويعين قاضياً . والقاضى يختار نواباً عنه فى الجهات البعيدة وهو مرجعهم فى كل ما يتعلق بهم .

وما كاد هذا العصر ينقضى حتى اطمأنت نفوس البربر إلى الإسلام ، وتذوقوا آداب القرآن ، واهتدوا بهديه ، وألفوا عادات العرب ، وتسموا بأسمائهم ، واقتبسوا الكثير من طبائعهم ، واقتنع الكثير منهم بما ترمى إليه سياسة الإسلام من الأخوة والمحبة ، فأصهروا فى العرب ، وأصهر العرب فيهم . وأصبحوا هم والعرب إخواناً ، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى . وانتشرت فى إفريقية بل وفى المغرب أيضاً - آداب العرب وصناعاتهم ، فوجد فيها البربر غذاء روحياً ومادياً . وتمكن بعض الأمراء مثل حسان بن النعمان من إدخال بعض النظم على الإدارات بقدر الضرورة .

وقد دامت مدة ولاية الأمويين والعباسيين فى إفريقية ١٣٤ سنة ، أى من سنة ٥٠ إلى سنة ١٨٤ . وعددهم ستة وعشرون أميراً ، أولهم عقبة بن نافع ، وآخرهم محمد بن مقاتل العكى .

## دولة الأغالبة

دولة عربية إسلامية، قامت في شمال إفريقيا سنة ١٨٤ . وكان نظام الحكم فيها فردياً وراثياً ، منحصرأ في بني الأغلب .  
وأهم الوظائف فيها هي :

١ - صاحب الخراج . . . وأول من أنشأ هذه الوظيفة هو حسان بن النعمان أيام كان والياً عليها من قبل عبد الملك بن مروان سنة ٧٧ ، ثم توسع فيها الأغالبة بما يتفق مع ثروة البلاد أيام حكمهم ، وهي من أكبر الوظائف خطراً في الدولة ، لأنها تتعلق بثروة البلاد .

٢ - صاحب البريد . . . وهو بمثابة وزير المواصلات ، وسمى صاحب البريد دون أن يضاف إلى شيء آخر ، لأن للبريد أهمية كبرى في الدولة لأنه يتعلق بنقل أخبار الدولة . . . وكان للبريد محطات فيها خيل وبغال . وكلما وصل عامل البريد محطة غير دابته التي كان يركبها ، بعد أن أجهدا في السير للوصول إلى المحطة التي بعدها في أقصر وقت ممكن . ويضاف إلى صاحب البريد رئاسة البوليس السرى .

٣ - قائد الجيش . . . وهو يقوم مقام وزير الحربية .

٤ - مقدم العمارة . . . وهو بمثابة وزير البحرية .

وكان لدولة الأغالبة أسطول عظيم . وكانت له الغلبة في البحر الأبيض المتوسط على أسطول روما . . . وقد فتح صقلية ، وفالورية ، وسردانيا ، ومالطا . وكان مؤلفاً من عدة أنواع من السفن لأغراض مختلفة . وإليه يرجع الفضل في حراسة السواحل .

٥ - العامل ، ووظيفته إدارية ، ينظر إلى المصلحة الوطنية من حيث

الإدارة والتنظيم .

- ٦ - الحاجب ، هو مدير التشريعات ، وله نفوذ كبير في القصر .
- ٧ - القضاء ، كان متمشياً مع أحكام الكتاب والسنة ، والقياس ، والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص . وكان لا يتولاه إلا من توفرت فيه قوة الإدراك والتبحر في العلم بعد استشارة أهل الحل والعقد في البلاد .
- وكان القضاء مستقلاً عن الإدارة الأميرية ، ولا يتدخل الأمير في شئون القاضي وهو حر في أحكامه . ويعين القاضي نواباً عنه في الأماكن البعيدة من محل عمله في داخل المملكة .

٨ - الجند : ينقسم الجند إلى ثلاثة أقسام : الحرس الأميري وهو المخصص لحراسة الأمير ، وليس له عمل غير ذلك . والجيش : وهو مركب من عدة عناصر : من العرب ، والبربر ، وغيرهم ، وكلهم مأجورون « مرتزقة » لا غاية لهم من عملهم إلا الحصول على الأجر ، وما يقع في أيديهم من الغنائم . . . . أما المحافظة على الوطن وكيان الدولة فهما من الأمور التي لا تخطر لهم على بال . . . . وقد كان هذا الجند المأجور من أقوى أسباب سقوط دولة الأغالبة .

أما سلاح الجند ، فكان القوس ، والرمح ، والسيف ، والكبش ، والمنجنيق .

هذه هي أهم الوظائف التي كانت تعتمد عليها دولة الأغالبة في تسيير دفة الحكم وإقرار الأمن .

### إبراهيم بن الأغلب

هو إبراهيم بن أبي العرب الأغلب ، بن سالم أبي عقال ، بن خفاجة القيمي ، وهو أول من أسس دولة الأغالبة . . . . وكان ماضى العزم ، قوى الإرادة ، صائب الرأي ، وشجاعاً مقداماً ، وعالمًا وخطيباً . سمع من الليث بن سعد ، ووهب له جلاجل أم ولده . . . . شاع ذكره بين الناس ، واتجهت إليه أنظارهم . . . . وقد وقع عليه اختيار هارون الرشيد فولاه على الزاب . . . . والزاب



يطلق على عدة بلدان بجوار بسكرة ، وكل منها يكون قرى متجاورة ، كل منها يسمى الزاب منها زاب بسكرة ، وزاب طلوقة ، وزاب الدوسن ، وبسكرة قاعدة هذه البلدان كلها . فاضطلع بالأمر ، وأحسن السيرة ، ورضيته الكافة ، واستقل بالولاية غير منازع وتوارثها بنوه خلفاً عن سلف كما سذكروه .

تقدم أن العكى كان ضعيف الإرادة ، وتبين للرشيد عجزه عن إدارة الحكم . ونتيجة لهذا العجز طمع فيه بعض الثوار فثاروا به . وقد رفع الأهالي رغبتهم إلى الرشيد في تعيين إبراهيم بن الأغلب بدله . فاستجاب الرشيد لهذه الرغبة فعزله وولى بدله إبراهيم بن الأغلب .

وقد اشترط إبراهيم لنفسه شروطاً أقره عليها الرشيد ونفذها له ، وهي ثلاثة :

أولاً : أن يستقل بإدارة شئون إفريقية الداخلية عن الخليفة .

ثانياً : أن يتولى إمارة إفريقية ذريته من بعده ( بطريق الوارثة ) .

ثالثاً : ألا يدفع الإعانة التي كانت تدفعها إفريقية لمصر ، وقدرها مائة ألف دينار ، واشترط على نفسه أن يدفع للخليفة خراجاً سنوياً قدره أربعون ألف دينار ، فوافق الرشيد على ما طلب ، وولاه أميراً على إفريقية في جمادى الآخرة سنة ١٨٤ وهو أول أمير من بني الأغلب على إفريقية ، وأول من جعل إمارة إفريقية وراثية في ذريته في العهد الإسلامي .

ومن قوله - وكان قد خلف زوجه بمصر - :

ما سرت ميلا ولا جاوزت مرحلة إلا وذكرك يثني دائماً . عنى  
ولا ذكرك إلا بت مرتقباً أرى النجوم كأن الموت معتنى

بنى مدينة القصر القديم سنة ١٨٥ على ثلاثة أميال من القيروان ، وسماها العباسية ولها الآن بقايا آثار تعرف بقصور الأغالبة .

وفي هذه المدة كان سفيان بن أبي المهاجر عاملاً على طرابلس من مدة هرثمة فأقره إبراهيم بن الأغلب . ويظهر أن أهل طرابلس كانوا غير راضين عن

سفيان بن أبي المهاجر فدبروا الثورة ضده ، وثاروا عليه سنة ١٨٩ بزعامة إبراهيم ابن سفيان التميمي ، وأخرجوه من داره ، وقتلوا أصحابه ، وأمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج .

### إبراهيم بن سفيان التميمي

وولي أهل طرابلس عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي ، وما كان إبراهيم الأغلب ليقر هذا العمل من أهل طرابلس ، فهاجم طرابلس ، واستولى عليها ، وقبض على إبراهيم بن سفيان ، فعاهده على الطاعة ، فعفا عنه ، وأقره على عمله بطرابلس .

وذكر صاحب النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٢٥ كلاماً يناسب هذا الموضوع ، وهذا نصه :

في سنة ١٨٨ استنجد إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية بأحمد بن إسماعيل والي مصر فأنجده بالعساكر .

وسبب ذلك أن أهل طرابلس الغرب كان قد كثرت شغبهم على ولايتهم ، وكان إبراهيم بن الأغلب قد استعمل عليهم عدة ولاية ، فكانوا يشكون من ولايتهم فيعزلهم ويولي غيرهم ، إلى أن استعمل عليهم سفيان بن المضياء وهي ولايته الرابعة ، فاتفق أهل البلد على إخراجه عنهم وإعادةه إلى القيروان فزحفوا إليه ، فأخذ سلاحه ، فقاتلهم هو وجماعة ممن معه ، فأخرجوه من داره ، فدخل الجامع وقاتلهم فيه ، فقتلوا من أصحابه جماعة ، ثم أمنوه فخرج عنهم في شعبان من هذه السنة ، وكانت ولايته سبعة وعشرين يوماً . واستعمل جند طرابلس عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي . ثم وقعت أيضاً بين الأبناء<sup>(١)</sup> بطرابلس وبين قوم يعرفون ببني أبي كنانة وبني يوسف حروب كثيرة ، حتى فسدت طرابلس ، فبلغ ذلك إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية ، فاستنجد بأحمد بن إسماعيل أمير مصر ، وجمع جمعاً كبيراً ، وأمرهم أن يحضروا بني أبي كنانة والأبناء<sup>(١)</sup>

(١) تكررت كلمة الأبناء في الموضعين وهي غير واضحة المعنى .

وبنى يوسف ، فأحضر وهم عنده بالقيروان فأراد قتلهم ، فسألوه العفو عنهم في الذي فعلوه فعفا عنهم ، وعادوا إلى بلادهم بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق بالطاعة . ١٧٥ ح وهو كلام صاحب النجوم الزاهرة .

ويظهر أن سفيان بن المضاء هو سفيان بن أبي المهاجر . ونسب صاحب النجوم الزاهرة هذه الواقعة لسنة ١٨٨ . ويفهم من كلام غيره أنها وقعت سنة ١٨٩ .

### عبد الله بن إبراهيم الأغلب

كنيته أبو العباس . وولاه والده على طرابلس سنة ١٩٦ ، فثار به جندها فأخرجوه منها ، ثم جمع لهم من انضم إليه من البربر وغيرهم ، وأعاد الكرة عليهم فغلبهم واستولى على طرابلس ، ولكن والده ما لبث أن عزله وولى بدله سفيان بن أبي المهاجر للمرة الثانية .

### سفيان بن أبي المهاجر

هذه هي المرة الثانية يتولى فيها عمل طرابلس ، إلا أنه في المرة الأولى كان معيناً من قبل هرثمة بن أعين ، أما في المرة الثانية فكان معيناً من قبل إبراهيم ابن الأغلب .

وكانت قبيلة هواره البربرية قبيلة كبيرة ، كثيرة الأفخاذ ، ذات جموع كثيرة ، تحيط منازلها بطرابلس من كل جهة . وكان ما بين المدينة وجبل نفوسة قرى ودساكر متصلة العمران . وكانت قبيلة هواره إباضية المذهب ، وأكثرها خاضع لحكم أبي منصور صاحب جبل نفوسة الذي كان تابعاً لإمامة الإباضية بتيهرت ، وبعضها خاضع لحكم الأغالبة بمدينة طرابلس . وقد وقع بينهم وبين عامل الأغالبة بطرابلس خلاف أدى إلى تعصّبهم عليه ، وأرادوا أن

ينهبوا فرصة ليستولوا على مدينة طرابلس ويجعلوها تابعة لصاحب جبل نفوسة فتاروا عليه سنة ١٩٦ ، فخرج إليهم بعسكره ، والتقى بجموعهم في وادى الرمل ، فتغلبوا عليه ، ورجع الجند إلى طرابلس منهزمين ، فتبعته هوارة وحاصروا المدينة ثم اقتحموها عليه فخربوها وهدموا أسوارها . قال ابن خلدون : وتولى كبر ذلك منهم عياض ووهب . وبلغ الخبر إبراهيم بن الأغلب بتونس ، فأرسل ابنه عبد الله في جيش كبير<sup>(١)</sup> ، فاسترد المدينة من هوارة وجدد السور . . .

ولم تهدأ ثائرة هوارة . وإزاء ما لاقوه من شدة عبد الله الأغلب استغاثوا بعبد الوهاب بن رستم إمام الإباضية بتيهرت . وللعلافة المذهبية بينهم لم يسعه إلا تلييتهم ، واجتمع عليه هوارة وقبائل نفوسة وكثير من قبائل البربر ، وحاصروا ابن الأغلب في المدينة ، وقد بذل كل جهده في الاحتفاظ بها ، فسد باب زناتة وصار يدافع من باب هوارة المعروف الآن بباب المنشية ، وفي أثناء حصار المدينة قتل مهدى النفوسى .

قال في كتاب السير للشماخي عند ذكر هذه الحادثة ما نصه :

« وهناك مات مهدى النفوسى ، وذلك أنه خرج من المعسكر إلى شاطئ البحر ، فسبحوا إليه حين أبصروه منفرداً فمسكوه وقطعوا رأسه . قال أبو زكريا : إذا قالوا له انهزم المسلمون تعبس ، وإذا قالوا له انهزمت المسودة انبسط وجهه وتبسم<sup>(٢)</sup> » . ويعنى بالمسلمين الإباضية ، ويعنى بالمسودة عسكر العرب .

(١) في المنهل العذب : في ثلاثة عشر ألفاً .

(٢) ذكر هذه القصة أيضاً سليمان باشا البارونى في كتابه « الأزهار الرياضية » ولم يعلق عليها بغير قوله : « وإن لله خرق العوائد فلا غرابة » . يعنى سليمان باشا لا غرابة في أن وجه مهدى النفوسى ، بعد أن قطع رأسه ، يضحك إذا قيل له انتصر الإباضية ، ويعبس إذا قيل له انهزموا . وأعتقد أن هذه الخرافة نقلت بدون تمحيص ، والحامل على اختراعها الغلو في رفع شأن مهدى النفوسى . وإن دلت هذه الخرافة وغيرها على شيء فإنما تدل على الطعن في رواية الأخبار . وقلة التحرى في نقلها . . . أما الأستاذ الشماخي فلم يعلق عليها بشيء .

وفي أثناء حصار عبد الله بن الأغلّب في طرابلس بلغه وفاة أبيه إبراهيم<sup>(١)</sup> ، فصالح ابن رستم على أن تكون المدينة - داخل السور - والبحر لعبد الله الأغلّب وخارج السور إلى سرت لعبد الوهاب بن رستم . وبهذا أصبحت جميع الأراضي الطرابلسية داخلة تحت حكم الإباضية ما عدا المدينة داخل السور فبقيت تحت حكم عبد الله بن الأغلّب .

وأقر ابن الأغلّب على طرابلس سفيان بن أبي المهاجر للمرة الثالثة ورجع إلى القيروان سنة ١٩٧ وسلم له أخوه زيادة الله الأمر وولى عهد أبيه .

وكانت وفاة إبراهيم بن الأغلّب في شوال سنة ١٩٦ ، وعمره ست وخمسون سنة ، وولايته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر .

ولم يستقم أمر عبد الله بن الأغلّب بعد أبيه لأنه كان سيئ السلوك جائراً في الحكم ، وقد وعظه بعض الأخيار من علماء زمانه فلم يتعظ ، فدعوا عليه فقبل الله منهم ، فخرجت له قرحة تحت أذنه فمات منها ليلة ١٦ من ذي الحجة سنة ٢٠١ ودامت ولايته خمسة أعوام وشهراً .

### زيادة الله بن الأغلّب

هو زيادة الله بن إبراهيم ، بن الأغلّب . وكنيته أبو محمد ، وهو زيادة الله الأول<sup>(٢)</sup> تولى ولاية إفريقية في عهد المأمون بن الرشيد ، وبويع له يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٢٠١ بعد وفاة أبيه بأيام ، وجاءه التقليد من المأمون ، وكان أعلم أهل بيته ، فأحسن والده تربيته ، وشغل مجلسه بالعلماء ، فبرع في العربية وآدابها . وحظيت إفريقية في أيامه بحظ وافر من العمران حتى بلغ خراجها ثلاثة عشر ألف مليون من الدراهم<sup>(٣)</sup> . وقد ابتلى بما يتلى به

(١) لما مات إبراهيم بن الأغلّب عهد بالإمارة لابنه عبد الله وكان إذ ذاك في طرابلس وأمر ابنه زيادة الله أن يقوم بالأمر إلى أن يأتي أخوه عبد الله من طرابلس .

(٢) له حروب كثيرة أعرضنا عن ذكرها .

(٣) خلاصة تاريخ تونس .

الأمراء من اللهو والاسراف في الملذات ، فساعت سيرته مع جميع الناس حتى مع جنده فثاروا عليه . . وفي سنة ٢٠٢ هرب أخوه الأغلب إلى المشرق خوفاً منه . واتخذ زيادة الله الأغلب بن عبد الله غلبون وزيراً له .

وزيادة الله هذا هو الذي أسند قضاء إفريقية إلى أسد بن الفرات صاحب مالك بن أنس ، ولاء قيادة الجيش الذي أرسله لغزو صقلية ، وفتحها سنة ٢١٢ (١) وفي صقلية يقول ابن حديس :

ذكرت صقلية والهوى يهيج للنفس تذكراها  
فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدث أخبارها

وضاق الناس ذرعاً باستهتار زيادة الله ، وثار عليه جميع النواحي ، وتقلص حكمه عن إفريقية ما عدا طرابلس وقابس والقيروان فتمسكوا به ولم يقطعوا عنه الجباية وكان يشعر بإسرافه في المعاصي فيسلي نفسه بقوله : « ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفي أربع حسنات : بنيان جامع القيروان . وقنطرة أبي الربيع . وحصن مدينة سوسة . وولاية أحمد بن أبي محرز قضاء إفريقية » .

توفي زيادة الله يوم الثلاثاء الرابع عشر من رجب سنة ٢٢٣ ، وعمره إحدى وخمسون سنة . ودامت ولايته إحدى وعشرين سنة ، وسبعة أشهر ، وثمانية أيام .

(١) أول من غزا صقلية في الإسلام عبد الله بن قيس الفزاري من قبل معاوية بن حديج في خلافة معاوية بن أبي سفيان . ثم محمد بن أبي إدريس الأنصاري أيام يزيد بن عبد الملك . ثم بشر بن صفوان الكلبي أيام هشام بن عبد الملك . ثم حبيب بن أبي عبيدة سنة ١٢٢ . ووصل في فتوحه إلى سرقسطة وهي دار الملك ، وأخذ الجزية من أهلها ورجع إلى إفريقية . ثم عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣٠ ثم أسد بن الفرات زمن زيادة الله بن الأغلب . وتوفي أسد بن الفرات سنة ٢١٣ .

## الأغلب بن إبراهيم

هو أخو زيادة الله الأول . ولقبه أبو عقال . ويقال له جزر . . تولى بعد أخيه زيادة الله ، وأبى سفيان بن أبي المهاجر عاملاً على طرابلس . وثارت عليه قبائل زواغة ولواتة من برابر طرابلس ، وقتلوا سفيان بن أبي المهاجر عامله على طرابلس . وما زال بالثوار حتى تغلب عليهم . وكان حسن السيرة . توفي ليلة الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر سنة ٢٢٦ .

## محمد بن الأغلب

كنيته أبو العباس ، ولى بعد أبيه أبي عقال . وهو الذى أسند قضاء إفريقية إلى الإمام سحنون سنة ٢٣٤<sup>(١)</sup> ، وأسند قضاء طرابلس إلى شرحبيل . وفى زمن غير معلوم أسند قضاؤها إلى أبي العباس بن بطريقة من أصحاب سحنون .

توفى محمد بن الأغلب لليلتين نخلتا من المحرم سنة ٢٤٢ ، ودامت ولايته خمس عشرة سنة ، وثمانية أشهر ، واثني عشر يوماً . وعمره ست وثلاثون سنة .

(١) سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى ، ولد بالقيروان سنة ١٦٠ ، وتلقى العلم بإفريقية عن على بن زياد وأسد بن القرات ، ثم توجه إلى المشرق سنة ١٨٨ فزار مصر والحجاز والشام ، وأخذ الفقه عن عبد الرحمن بن القاسم ، وابن الماجشون ، ووكيع بن الجراح وغيرهم وعاد إلى القيروان سنة ١٩١ ، فأظهر بها علم أهل المدينة ، ومذهب مالك ، وهو أول من ثبته في إفريقية . ولما اشتهر سحنون خطابه الأمير أبو العباس في إسناد قضاء إفريقية إليه . وبعد امتناع منه دام نحو سنة لم يسمه -إزاء إلحاح الأمير - إلا القبول على شروط ، منها إلزام المتنازعين من البيت المالك بالحضور لديه مع الخصوم ، وأن يطلق يده في جميع الناس فقال الأمير : « نعم : لا تبدأ إلا بهم ، وأجر الحق على مفرق رأسى » . وأحدث تقليداً في القضاء ، فأنشأ وظيفة صاحب المظالم يفصل في القضايا الصغيرة ويجالس إلى الناس في الأسواق والمجتمعات تسهيلاً عليهم ، وطلباً للسرعة في حل النزاع . وكانت الحسبة تابعة للأمراء فأحيلت في عهد سحنون إلى القضاة ، وهى أشبه بالشرطة البلدية . ولشدة تمسكه بالعدالة سمي « سراج القيروان » ولم يمنعه القضاء من بث العلم ، فقد جاء إليه طلبته من الأندلس وجميع أقطار إفريقية تخرج عليه نحو سبعمائة رجل . وكان يدرس بجامع عقبة بالقيروان . وألف كتاباً كبيراً في مذهب مالك سماه المدونة الكبرى . . توفي يوم ٦ من رجب سنة ٢٤٠ في دولة محمد بن الأغلب . ودفن بالقيروان . وقبره هنالك معروف

## أحمد بن محمد الأغلِب

كنيته أبو إبراهيم . ولى إفريقية بعد وفاة أبيه محمد سنة ٢٤٢ (١) . وكان حسن السيرة .

## عبد الله بن محمد الأغلِب

ولاه أخوه أحمد عاملاً على طرابلس . . وفي سنة ٢٤٥ ثار برابرة طرابلس على أحمد الأغلِب . ومنعوا عليه العشور والصدقات التي كانوا يؤدونها . وحاصروا أخاه عبد الله في طرابلس ، فجلا عنها إلى لبدة وتحصن بها . وكاتب أخاه في القيروان ، واتفقا على أن يرسل كل منهما جيشاً للإطباق على طرابلس من الشرق والغرب ، وكان جيش القيروان بقيادة أخيها زيادة الله ، ووقع البربر بين جيشين ، والتحم الفريقان في معركة كانت حامية دامية ، فهزم البربر ، وقتل منهم خلق كثير ، وطاردتهم الخيل فقتلت من أدركته ، وأسر كثير منهم فضربت أعناقهم ، واستولى على معسكراتهم ، فأذعن من أفلت منهم من الموت وقدم الطاعة .

توفي أحمد يوم الثلاثاء الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٢٤٩ . وعمره ثمان وعشرون سنة . ودامت ولايته سبع سنين ، وعشرة أشهر ، وسبعة أيام .

## زيادة الله الأغلِب

هو زيادة الله بن محمد الأغلِب . وهو زيادة الله الثاني . تولى بعد أخيه أحمد (٢) . وتوفي في آخر ذي القعدة سنة ٢٥٠ . ودامت ولايته عاماً وسبعة أيام ولم يكن له من الأعمال ما يستحق الذكر .

(١) في خلاصة تاريخ تونس : بويغ بعد وفاة عمه أبي العباس .

(٢) في خلاصة تاريخ تونس : بويغ بعد وفاة أبيه أبي إبراهيم .



## محمد بن أحمد الأغلب

هو أبو الغرائيق . تولى بعد وفاة عمه زيادة الله . وكان جواداً إلى حد الإسراف ، حسن السيرة ، ثم غلب عليه هو الأمراء . . ولقب بأبي الغرائيق - وهي نوع من الطيور - لشغفه بصيدها . . فتح جزيرة مالطة سنة ٢٥٥ . وأسر ملكها .

وفي أيامه اجتمع الشاعر المشهور أبو القاسم المالطي ، وعبد الله بن السملطي المالطي ، وكانت لهذا الأخير براعة في صناعة الشعر ، فقال أبو القاسم لعبد الله : أجز هذا المصراع <sup>(١)</sup> .

### جارية ترعى الصنح

فقال عبد الله من فوره :

بها القلوب تبتهج

كأن من أحكمها إلى السماء قد عرج

وطالع الأفلاك عن سر البروج والدرج

وعين محمد بن قهرّب عاملاً على برقة . . وبني حصوناً ومحارس كثيرة على ساحل البحر ، على مسافة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة الغرب . وما زالت آثارها باقية إلى اليوم ، وقد احتفظت له الأيام بإطلاق اسمه على بئر شرقي اليهوديات بأرض سرت ما زالت تسمى « أم الغرائيق » <sup>(٢)</sup> . توفي في اليوم السابع من جمادى الأولى سنة ٢٦١ . ومدة ولايته عشر سنوات ، وخمسة أشهر ونصف .

(١) المصراع من بيت الشعر هو إحدى شطرتيه .

(٢) تقع شرقي سرت بنحو ١١٧ كم . وغربي العقيلة بنحو ٣٨ كم .

## إبراهيم بن الأغلب

هو إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب . وهو إبراهيم الأصغر ، ولد يوم عيد الأضحى سنة ٢٣٠ ، وتولى بعد أخيه أبي الغرائق . وكان أبو الغرائق أوصى لابنه بالإمارة ، وأن يكون أخوه إبراهيم وصياً عليه إلى أن يكبر ، ولكن الناس طالبوا بإمارة إبراهيم لما عرفوه فيه من الحزم وحسن السيرة .

وفي أيام إبراهيم هذا غزا العباس بن أحمد بن طولون إفريقية لأخذها من الأغالبة . وقد ذكر بعض المؤرخين أن برقة كانت في سنة ٢٦١ تابعة لأحمد ابن طولون بمصر ، وعليها محمد بن فرج الفرعاني عاملاً عليها من قبله ، فثار به أهلها في هذه السنة وأخرجوه منها ، ونقضوا عهد ابن طولون ، فأرسل إليهم جيشاً مع غلامه لؤلؤ ، وأمره بملايتهم ، فلم تفلح الملاينة ، وأرسل إلى ابن طولون بنحبرهم ، فأمره بالاشتداد عليهم ، فضيق عليهم الحصار ، ونصب عليهم المجانيق ، فسلموا إليه ، ودخل البلد ، وقبض على جماعة من أهلها ، وفضع في قتلهم ، واستعمل عليهم أحد الموالى ورجع إلى مصر ، وكان ذلك قبل خلاف العباس على أبيه .

وقد تقدم أن أبا الغرائق بنى حصوناً ومحارس كثيرة على ساحل البحر على مسافة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة الغرب ، ويفهم من هذا أن برقة كانت تابعة لأبي الغرائق . وسيأتي أن ابن طولون افتك برقة من ابن قهرب عامل الأغالبة فيها وهذا يتنافى مع أنها كانت تابعة لابن طولون . اللهم إلا إذا قلنا إن ابن طولون كان يملك الجزء الشرقي من برقة مما يلي الحدود المصرية ، وأن أبا الغرائق كان يملك الجزء الغربي من برقة : أجدابية وما ولاها .

## العباس بن أحمد بن طولون

قدم العباس بن أحمد بن طولون من مصر سنة ٢٦٧ أيام إبراهيم بن الأغب أنف الذكر إلى إفريقية لأخذها من الأغالبة . . . ذلك أن العباس حصل بينه وبين والده أحمد ملك مصر نفور ، وكان أبوه استخلفه على مصر لما توجه إلى حصار سيبا بأنطاكية فانتهاز فرصة غياب والده وأخذ ما في بيت مال مصر من الأموال ، وما كان لأبيه من الآلات وغيرها ، وتوجه إلى برقة . هذه رواية صاحب النجوم الزاهرة ، ونسب الواقعة إلى سنة ٢٦٥ .

وقال غيره : خرج مغاضباً لأبيه إلى إفريقية لاغتصابها من بني الأغب ، ولينشئ فيها ملكاً بعيداً عن والده ، فأخذ معه ثمانمائة فارس ، وعشرة آلاف راجل ، وخمسة آلاف جمل . وأخذ معه من خزائن مصر ثمانمائة حمل جمل من الدنانير الذهب ، وسار إلى إفريقية . . . وقد أشار عليه أحمد بن محمد الكاتب - وهو أحد رجالاته المخلصين له - بالتأخر حتى يصانع البربر ويجعل له فيهم يداً ، فلم يسمع لقوله ، وأرغمه على السير معه . وأخذ في السير ليدرك إفريقية قبل أن تلحق به خيل والده ، وقبل أن يتمكن بن الأغب من الاستعداد للقاءه . . . ومر ببرقة في ربيع الآخر فافتكها من ابن قهر بن عامل الأغالبة ، وفر ابن قهر إلى تونس ، وتلبث ابن طولون في برقة حتى رتب أموره وهياً جنده وسار إلى طرابلس .

وكان ابن قهر قد وصل إلى تونس وأخبر إبراهيم بن الأغب بما حصل ، فاستعد للقاء بن طولون ، وجهاز جيشاً من ألف وستائة فارس خيلاً جرداً لا راجل معها بقيادة ابن قهر ، وأدرك به طرابلس قبل أن يصلها ابن طولون ، وجمع من جيشها وبربرها جيشاً وسبقه إلى لبدية .

ووصل ابن طولون في جيش جرار ، فالتقى به بن قهر شرق لبدية بنحو ١٥ كم ، وانجلت المعركة عن هزيمة بن قهر ، وطاردته خيل ابن طولون

إلى طرابلس فتحصن بها . . . ولما مرّ ابن طولون ببلدة خرج إليه عاملها وأهلها وأكرموه ، ولكنه لم يرع حق هذا الإكرام ، فأمر بنهبها فنهبت على غرة ، وقتل رجالها ، وانتهكت حرمتها . . . وفي هذه المعركة يقول ابن طولون مفتخراً . :

لله دَرَى إذ أعدوا على فرسى	إلى اللقاء ونار الحرب تستعُرُ
وفي يدي صارمٌ أفرى الرؤوس به	في حده الموتُ لا يبتى ولا يذرُ
إن كنتِ سائلةٌ عني وعن خبري	فها أنا الليثُ والصمصامة الذكرُ
من آل طولون أما إن سألت فما	فوقى لمفتخرٍ بالبحود مفتخرُ
لو كنت شاهدةً كرى ببلدة إذ	بالسيف أضربُ والهامة تُبتدرُ
إذا لشاهدت مني ما تناقله	عنى الأحاديث والأنباء والخبرُ

وحاصر ابن طولون طرابلس ثلاثة وأربعين يوماً لا يقدر منها على شيء ، ونصب عليها المجانيق ، وقطع عليها السبل .

وقد امتدت يد جند ابن طولون إلى البوادي الذين يسكنون خارج المدينة وكانوا من البربر الإباضية ومن أتباع الياس أبي منصور النفوسى صاحب جبل نفوسة ونالوا من حرمتهم وأموالهم ، فاستغاثوا به من ظلم جيش ابن طولون .

### إلياس أبو منصور

إلياس أبو منصور صاحب جبل نفوسة ورئيس الإباضية به ، وهو من بلدة تندميره ، وكان غير خاضع لحكم الأغالبة ، بل كان يدين بالطاعة لإمام الإباضية بتيهرت . وقد كتب إليه ابن طولون حينما كان يحاصر طرابلس : « أن أقبل بسمعك وطاعتك ، وإلا وطئت بلدك بنخيلى ورجلى ، وأبحت حرمك » فرد عليه إلياس : « أما إنك أقرب الكفار مني ، وأحقهم بمجاهدتي ، فقد بلغني من قبيح أفعالك ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك ، وأنا على إثر رسالتي إليك<sup>(١)</sup> . . . فجهز جيشاً من اثني عشر ألف مقاتل ، والتقى بابن

(١) الأزهار الرياضية للشيخ سليمان باشا الباروني .

بابن طولون في قصر حاتم<sup>(١)</sup> سنة ٢٦٧ ، فهزم ابن طولون ، وتشتت شمله ، واستبيحت أمواله ، وأخذ أهل طرابلس كل ما معه من مؤن وعتاد . ولم يأخذ البربر شيئاً من الغنائم لأنهم يرون حرمة أموال الباغين من الموحدين ، ويستبيحون دماءهم ما داموا محاربين لهم ، ولا يستبيحونها في حال السلم . . . ورجع ابن طولون إلى المشرق مهيب الجناح محطم الآمال<sup>(٢)</sup> ، وأرسل إليه والده جيشاً في طلبه ففرق عنه أصحابه ، وقبض عليه وأرسل إلى والده مقيداً .

وجاء إبراهيم بن الأغلب من تونس في جيش عظيم لملاقاة ابن طولون ، فوجده قد انكسر جيشه ، ورجع إلى المشرق . . . وبحث ابن الأغلب عن أموال ابن طولون فأخذها ممن وجدت عندهم ، وكان الجندى يبيع دنانير ابن طولون سرّاً بأي ثمن خوفاً من وجودها عنده .

وبعد أن انتهت حرب ابن الأغلب مع ابن طولون ، بقي بن قهرب في طرابلس . إلا أن البربر ما زالوا غير مطمئنين إلى حكم الأغلبة في طرابلس ، وكان أكثر بواديهما يدينون بالطاعة لحاكم جبل نفوسة . . . فأعادوا الثورة على طرابلس سنة ٢٦٩ وقتلوا بن قهرب عامل الأغلبة ، واشترك في الثورة هواة ولواتة . وقد أرسل إليهم إبراهيم بن الأغلب ابنه عبد الله في جيش ، فتغلب عليهم ، وأمعن في قتلهم واستولى على طرابلس ولم يعبر أحد باستيلاء البربر على طرابلس في هذه المرة وقد يفهم هذا من سياق الكلام . . . وأعادوا الثورة في سنة ٢٨٠ فهزمهم أيضاً .

وفي رجب سنة ٢٨١ انتقل إبراهيم بن الأغلب إلى تونس للإقامة بها . . . ولم ينس ابن الأغلب اعتداء ابن طولون عليه ، فهو ما زال يفكر في الانتقام منه وقد اعتزم الأمر في غزوه في مصر . وفي المحرم سنة ٢٨٣ جهز جيشاً وخرج من تونس لعشر خلون من المحرم ، فأقام برقادة إلى سبع بقين من صفر ، ثم خرج بجميع من معه قاصداً غزو ابن طولون في مصر ، ووصل إلى قابس في ربيع الأول ، فاعترضته نفوسة في قصر مانو لتمنعه من الذهاب إلى ابن طولون .

(١) قبيلة الحواتم ما زالت معروفة إلى الآن ، وتنسب إلى ترونة ، ووادي الحواتم معروف ينسب إليهم . وبه بقايا أبنية لا يبعد أن تكون بقايا قصر حاتم .  
(٢) ذكر في المنهل العذب زيادات لا فائدة من ذكرها .

ويبدو أن معارضة نفوسة لابن الأغلب ليست من مصلحتها في شيء ، بل المصلحة في ذهابه ، لأنه سيذهب في جيش كبير يكلفه نفقات كبيرة ، وهذا مما يضعف ابن الأغلب ويسهل على نفوسة الثورة عليه إن أرادوا . ولذلك فقد عارض الفكرة كثير من أعيانهم منهم أفلح بن العباس ، وسعد بن أبي يونس عامل قنطرة : - تيجي - ومعبد الجنائوني ، ولكن رجحت كفة الأكثرية .

وتجمعت جيوش البربر في قصر مانو ، وهو قصر قديم على ساحل البحر بقرب قابس ، وكانوا زهاء عشرين ألفاً ، فهزموهم ابن الأغلب هزيمة منكرة . قال في الأزهار الرياضية (١) . « فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ، وتطارح منهم في البحر بشر كثير ، وقتلهم فيه حتى غلبت حمرة الدم على الماء » . ثم قال : « وقد فل فيها حد سيوف نفوسة وفنيت فيها أبطالهم ، وأبقت فيهم ثلثة عظيمة ، وهي المصيبة الكبرى التي تضعضع بها ركن الإمامة بتهييرت إذ كانوا حصنها المنيع . ولما ضعفوا أخذت في التقهقر وطمع الأعداء فيها حتى اضمحل أمرها » . ولم تكن هذه المعركة الهائلة من عزم ابن الأغلب ، بل ظل على عزمه على غزو ابن طولون ، فسار إلى طرابلس ، وكان بها ابن عمه أبو العباس محمد بن زيادة الله بن الأغلب فقتله . وسبب ذلك أن المعتضد بالله العباسي كتب إلى إبراهيم يعنفه على أعماله في تونس ، وقال له : إن لم تنته فسلم الأمر إلى محمد بن عمك زيادة الله ، وقد رأى في هذا تهديداً له بآبن عمه ، فقتله خوفاً أن يعزله المعتضد ويولي مكانه .

وسار إبراهيم في جيشه من طرابلس إلى تاورغ ، وهناك قتل خمسة عشر رجلاً وأمر بطبخ رؤوسهم ، وأظهر أنه يريد أكلها هو ومن معه فارتاع الجند لذلك ، وقالوا إنه خولط في عقله ، فلما رأى ذلك خاف انصراف الجند عنه فرجع إلى تونس .

(١) الأزهار الرياضية ، في أئمة وملوك الإباضية للشيخ سليمان باشا الباروني ، وقد ذكر أن كثيراً من رجالات نفوسة لم يوافقوا علي معارضة ابن الأغلب ، وقد ذكرنا بعضهم . وبسبب هذه المخالفة نزلت بهم تلك الكارثة العظيمة .

وفي سنة ٢٨٩ أرسل ابنه عبد الله لغزو إيطاليا . . . وبنى إبراهيم الحصون والمحارس على الساحل ، حتى كانت النار توقد في سبته بالمغرب للإنذار بمجيء العدو ، فتوقد في تلك الليلة بالإسكندرية .

وهوالذي أسند قضاء طرابلس إلى موسى بن عبد الرحمن أبي الأسود المعروف بالقطان . صحب محمد بن سحنون وسمع منه . وكان يحسن المسائل والتكلم في الرأي على مذهب مالك وأصحابه . ولاة إبراهيم بن أحمد قضاء طرابلس فبغى وآذى فعزله وحبسه في الكنيسة دهرًا ثم أطلقه .

وقد أصيب إبراهيم — بعد ستة أعوام من ولايته كان فيها مثال الاستقامة — بحالة عصبية جنونية أتى فيها أعمالاً لا تتفق مع العقل ولا مع الإنسانية، فكان يكثر القتل في أقاربه ، وأبنائه ، وإخوته ، وخدمه ، وأنصاره : فقد قتل ابنه بين يديه صبراً ، وقتل ثمانية إخوة له ضربت أعناقهم بين يديه . وقد ولدت له بنات أخفتن عليه أمه خوفاً عليهن من القتل ، وربتهن من غير أن يشعر بوجودهن ، حتى اجتمع عندها ست عشرة بنتاً كأنهن البذور . وقد رأت منه أمه مرة انشراحاً في نفسه وهدوءاً في أعصابه ، فرأت — لهذه المناسبة — أن تزيده سروراً وانشراحاً ، وظنت أن علمه بهؤلاء البنات خير وسيلة لذلك ، فقالت له : يا سيدى لقد ربيت لك وصائف ملاحاً ، وأحب أن تراهن ، فقال نعم ، فأتت بهن له ، وسمتهن له واحدة واحدة حتى عدتهن له ، وبعد انتهاء المجلس أخذتهن معها وخرجت ، وكان ثمن هذه المقابلة حياة هؤلاء الفتيات الست عشرة ، فإن أمه ما كادت تغيب عنه ومعها البنات حتى قال لخدم له أسود — وكان بجواره — : اذهب إليهن وائتني برؤوسهن ، فبهت الخادم ، فراجعته ، فهدده بالقتل إن لم يفعل ، فذهب الخادم بالخبر إلى أمه ، فذهلت وكادت تصعق ، وأمرت الخادم أن يراجعه ، فأفهمها ألا فائدة من المراجعة ، فذهب إليهن الأسود وقتلهن الست عشرة ، وأتى برؤوسهن معلقة من شعورها ، وطرحها بين يديه . . . ولا ندرى أى المجرمين أقسى من صاحبه قلباً : إبراهيم

الذى قسا قلبه وتحجرت عواطفه ، أم ذلك الأسود الذى كان أقسى جلاذ على أولئك الفتيات الوادعات .

توفى إبراهيم ليلة الثامن عشر من ذى القعدة سنة ٢٨٩ وعمره اثنتان وأربعون سنة وولايته ٢٨ سنة ، وستة أشهر واثنا عشر يوماً .

### عبد الله بن إبراهيم الأغلب

هو عبد الله الثانى ، وكنيته أبو العباس ، ولى بعد أبيه إبراهيم . وكان شجاعاً عاقلاً . وفى سنة ٢٨٤ - فى حياة والده - خرج لمحاربة نفوسة ، فقتل منهم كثيراً وأسر نحو ثلاثمائة ، ولما رجع بهم إلى والده إبراهيم قتلهم عن آخرهم وشق على قلوبهم فأخرجها ، وأخرج بعضها بيده ، ونظمت فى حبال وعلقت على باب تونس ، ولعمري إنها لقسوة فظيعة .

وقتل عبد الله فى شعبان سنة ٢٩٠ . غدر به الجند فقتلوه وهو نائم ، ويقال إن هذا الغدر كان بإيعاز من ابنه زيادة الله .

### زيادة الله بن عبد الله الأغلب

هو زيادة الله الثالث . وكنيته أبو مضر . ولى الحكم بعد قتل أبيه فى شعبان سنة ٢٩٠ واتخذ رقادة عاصمة للملكة ، وعين أخاه أحمد عاملاً على طرابلس ، ووقف فى وجوه الثوار حتى تغلب عليهم ، واقتصر من قاتلى والده خوفاً من أن يقال إنه متواطئ معهم . وقد ابتلى بحمى اللهب التى تصيب الأمراء دائماً ، واشتغل بما لا يعنى ، فكان ذلك سبباً فى تغلب أعدائه عليه .

وفى أيام زيادة الله هذا أراد الله زوال دولة الأغالبة فأصيب فى أيامه بالترف والانحلال الخلقى ، وكان هو مثال الانحلال . . . وفى أيامه ظهر أبو عبد الله الداعى لدولة العبيديين وناصرته قبائل كتامة ، فكان ما فيه زيادة الله من الانشغال باللهب والقعود عن واجبات الدولة من أقوى الأسباب التى مهدت



لانتشار دعوة العبيديين . . وقد وقعت حروب بين الداعى وزيادة الله ، كان أشدها واقعة الأربؤس من أعمال الكاف بتونس وكانت الهزيمة فيها على زيادة الله ، وقتل أكثر جنده ، ولم يمكنه الصمود أمام هجمات الداعى ، فجمع ماله وولده وهرب إلى مصر في ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٦<sup>(١)</sup> وترك إفريقية تندب حظها من إهماله وسوء أعماله ، وأرسل إلى أخيه أحمد في طرابلس فأخذه معه إلى مصر . واحتل أبو عبد الله الشيعى رقادة غرة رجب سنة ٢٩٦ واستولى على أكثر إفريقية . واستولى على مخلفات ابن الأغلب من الأموال والسلاح ، فكان ما جمعه جداً كثير . وكان لابن الأغلب كثير من الجوارى على جانب كبير من الجمال ، فسأل عمن كان يكفلهن فذكرت له امرأةً صالحة كانت لزيادة الله فأحضرها وأحسن إليها وأمرها بحفظهن ، ولم ينظر إلى واحدة منهن ، وأمرهن بما يصلحهن .

هذا ما فعله أبو عبد الله الشيعى مع جوارى ابن الأغلب .

أما عبید الله المهدي فإنه لما تسلم مقاليد الحكم عرض جوارى زيادة الله فاختر منهن كثيراً لنفسه ولولده وفرق ما بقي منهن على وجوه كتامه .  
ا هـ من ( اتعاض الخلفاء ) .

وكانت ولاية زيادة الله خمسة أعوام ، وأحد عشر شهراً ، وأربعة أيام . وبخروج زيادة الله من إفريقية انتهت دولة الأغالبة . وقد حكمت إفريقية مائة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر . . . وتولى الحكم فيها أحد عشر أميراً ، أولهم مؤسسها إبراهيم بن الأغلب الأول ، وآخرهم زيادة الله الثالث . والملك لله يؤتبه من يشاء .

قال ابن خلدون : وكان انقراض دولة بنى الأغلب آخر عهد العرب بالدولة والملك فى إفريقية وذهبت ریحهم ، فلم تقم لهم بعد ذلك دولة . . وصار الملك للبربر وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى . يدعون إلى الخلفاء الأمويين بالأندلس تارة ، ويدعون إلى الهاشميين من بنى العباس وبنى الحسن تارة أخرى . ثم استقلوا آخر الأمر بالدعوة لأنفسهم ا هـ .

( ١ ) . ثم انتقل إلى فلسطين ومات بالزملة سنة ٣٠٣ أو ٣٠٤ ودفن ببيت المقدس .

## الدولة العبيدية

أو دولة العلويين . أو دولة الفاطميين

هي دولة شيعية ، تعظم أهل بيت النبوة وتنتسب إليهم وتنتصر لهم ، وتغالى بعض أفرادها في تعظيمهم إلى درجة لا يقرها الدين الإسلامى ولا العقل السليم . أسسها عبيد الله المهدي سنة ٢٩٦ (١) .

وقد تكلم فيها كثير من علماء المسلمين ، ورموها بالفسق تارة وبالكفر أخرى . وقال فيها ابن تيمية « بقى ولاية القاهرة نحو مائة سنة على غير شريعة الإسلام ، وهم فى الباطن إسماعيلية ، ونصيرية ، وقرامطة وباطنية » (٢) . وقال الغزالي فى الرد عليهم : « ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض . وكانوا ينادون بين القصرين فى مصر : من لعن الصحابة فله دينار وإردب ، وكانوا شر الخلق » (٢) .

ونسبت إلى مؤسسها عبيد الله المهدي فقبل لها الدولة العبيدية ، ودولة العبيديين : ويقال لها الدولة الفاطمية ، والدولة العلوية . ويقول الأستاذ حسن إبراهيم صاحب كتاب « المعز لدين الله » ، « وعلى أى نسبة فهى إسماعيلية وخلفاؤها قاطبة إسماعيليون » . وقد نفى ابن حزم فى جمهرة الأنساب شرف العبيديين وقال : هذه دعوى مفتضحة ، وكذب فاحش .

ويقول ابن الوردي فى تاريخه ما نصه :

أسست دولة العلويين فى إفريقية سنة ٢٩٦ .

ومؤسسها هو : أبو محمد عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد

(١) دامت الدولة العبيدية إلى المحرم سنة ٥٦٧ . وبقيت فى الحكم ٢٦٩ سنة وثمانية أشهر ، وأحد عشر يوماً ، منها أربع وستون سنة وشهر فى إفريقية . والعبيديون : ينسبون إلى أول خلفائهم وهو عبيد الله المهدي ، بن محمد الحبيب ، بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام ، ابن جعفر الصادق

ويقول ابن خلدون : ولا يلتفت لإنكار هذا النسب . وله على صحته حجج ، ويجرح فى رواية من ينكره أو يقلح فيه . وقد ذكر فى الجزء الثالث ص ٣٦٠ ما يؤيد به رأيه .

(٢) انظر تاريخ ابن غلبون « التذكار »

ابن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . .  
وقيل هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الباني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر  
ابن محمد إلخ .

واختلف العلماء في نسبه ، فن قال بإمامته قال نسبه صحيح ومن العلويين  
من وافق عليه ، ومنهم الشريف الرضى .

وقيل نسبهم مدخول ، وبالغ قوم حتى جعلوا نسبهم في اليهود ، فقالوا  
لم يكن اسم المهدي عبيد الله ، بل كان اسمه سعيد بن أحمد بن عبد الله القداح  
ابن ميمون بن ديصان . . . وقيل فيه سعيد بن الحسين ، وأن الحسين المذكور قدم  
سَلَمِيَّة<sup>(١)</sup> ، فجرى بحضرتة حديث النساء ، فوصفوا له امرأة يهودى حدّاد  
بسلمية مات زوجها ، فتزوجها الحسين بن محمد المذكور بن أحمد بن عبد الله  
القداح ، وكان للمرأة ولد من اليهودى فأحبه الحسين وأدبه ، ومات الحسين  
ولا ولد له ، فعهد إلى بن اليهودى الحداد ، وهو المهدي عبيد الله ، وعرفه  
أسرار الدعوة ، وأعطاه الأموال والعلامات فدعا له الدعوة .

واختلف كلام المؤرخين وكثر في قصة عبد الله القداح بن ميمون بن  
ديصان ، قالوا : إن ابن ديصان المذكور هو صاحب كتاب (الميزان) في  
نصرة الزندقة ، وكان يظهر التشيع لآل البيت رضى الله عنهم ، ونشأ لميمون  
ابن ديصان ولد اسمه عبد الله القداح كان يعالج العيون بالقدح ، وتعلم من  
أبيه ميمون الحليل ، وأطلعه أبوه على أسرار الدعوة لآل النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ثم سار القداح من نواحي كرج وأصفهان إلى الأهواز والبصرة وسلمية من أرض  
حمص يدعو إلى آل البيت ، ثم توفي القداح وقام ابنه أحمد ، وقيل محمد ،  
مقامه ، وصحبه رستم بن الحسين بن حشب بن زاذان النجارى من أهل الكوفة ،  
فأرسل أحمد إلى الشيعة باليمن يدعو إلى المهدي من آل محمد صلى الله عليه  
وسلم ، فسار رستم إلى اليمن ودعا الشيعة فأجابوه ، وكان أبو عبد الله الشيعى  
الحسين بن أحمد ابن محمد بن زكرياء من صنعاء ، وقيل من الكوفة ، وسمع  
بقدم ابن حوشب إلى اليمن وبدعوته ، فسار أبو عبد الله الشيعى من صنعاء

(١) قال في الروضتين ج ١ ص ٥١٠ : لا تزال معقلا من معاقل الإسماعيلية الرئيسية .

إلى ابن حوشب وكان بعدن ، فصحبه واختص به . وكان لابي عبد الله الشيعي علم ودهاء ، وكان قد أرسل ابن حوشب قبل ذلك الدعوة إلى المغرب ، وقد أجابه أهل كتامة ، ولما رأى ابن حوشب علم الشيعي ودهاءه أرسله إلى المغرب إلى أهل كتامة ، وأرسل معه جملة من المال ، فسار الشيعي إلى مكة واجتمع بحجاج المغاربة من كتامة فرآهم مجيئين إلى ما يختاره ، فسار معهم إلى كتامة فقدمها منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٠ .

صورة محضر كتب في بغداد بأمر القادر سنة ٤٠٢ يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر . وكتب فيه جماعة من العلويين والقضاة والفضلاء ، وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة .

ونص المحضر : منقول من تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ١٤٢ وتاريخ ابن الوردي . « هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذي ينسب إليه الديصانية ، وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار ، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ، لا أسعده الله ، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس .

### ابن الوردي

عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ، أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور باطل ، وأن هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفار فساق زنادقة ، ملحدون معطلون ، وللإسلام جاحدون ، أباحوا الفروج ، وأحلوا الخمر ، وسبوا الأنبياء ، وادعوا الربوبية ، وتضمن المحضر نحو ذلك أضربنا عنه . وفي آخره : وكتب في ربيع الأول سنة ٤٠٢ .

وأكبر داعية لدولة العبيديين هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد ابن زكريا الصنعاني المعروف بالشيخي القائم بدعوة عبيد الله المهدي جده ملوك الدولة الفاطمية الذين كانوا في مصر .

خرج من صنعاء إلى عدن ، فلقى فيها رستم بن الحسين بن حوشب النجار الذي ذهب إلى اليمن يبت فيها دعوة المهدي ، فصحبه الحسين وصار من أكبر أصحابه . وهذا أول أمره في الدعوة . وله سيرة طويلة . . انظر وفيات الأعيان . وهو الذي نشر دعوة الدولة العبيدية ، ومهد لها ، وحارب من أجلها . وهو من الدهاة المفكرين ، ولهذا فهي أسست بدعوة الدين بخلاف ما تقدمها من الدول .

### عبيد الله المهدي (١)

هو مؤسس الدولة العبيدية وأول حاكم فيها . وهو عراقي الأصل ، ولد في الكوفة سنة ٢٦٠ ، واختبأ في بلدة سلمية بؤرة الإسماعيلية الباطنية في شمال الشام . ومن يوم أن ولد إلى أن استقر في سلمية كان يعرف باسم سعيد بن أحمد ، ابن محمد ، ابن عبد الله ، بن ميمون القداح .

وفي منطقة سلمية ومصيف - من بلاد الشام - مات علي بن الحسين ، ابن أحمد ، بن محمد ، ابن إسماعيل ، بن جعفر الصادق . وأقام له الإسماعيلية - جماعة أغا خان - مزارات سرية . . . فرسم دعاة الباطنية بعد موته خطة جديدة لدعوتهم قرروا فيها نقل الإمامة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ابنهم بالنكاح الروحي (٢) ، وهو سعيد بن أحمد القداح وقرروا تغيير اسمه من

(١) ملخص مما كتبه الأستاذ محب الدين الخطيب في مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ الموافق ٦ يناير سنة ١٩٥٤ .

وقال في معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زانباور : « إنه عبيد الله المهدي ولد سنة ٢٩٥ ، بن عبد الله ، ابن الحسين التقي ، بن أحمد الوفي بن عبد الله الرضا ، ابن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق » وهذا النسب أكثر قرباً من الحقيقة من الأنساب المختلفة انظر ابن خلكان ج ١ ص ٢٧٢ .

فمبيد الله المهدي هو أول الخلفاء الفاطميين . والحسين التقي ، وأحمد الوفي ، وعبد الله الرضا ، هؤلاء الثلاثة هم الأئمة المستورون . ومحمد المكتوم هو الملقب بالتام (قائم الزمان) وإسماعيل بن جعفر الصادق هو إمام الإسماعيلية توفي سنة ١٤٥ .

(٢) يفهم من كلام القرامطة في هذا الموضوع أن النبي بالنكاح الروحي هو إذن حامل أسطورة الحلول الإلهي لمن يشاء في حمل لقبه ، لاعتبارات تؤهله لحمل هذا اللقب ، وتجعله خلفاً أو ابناً روحياً له ولو كان من غير نسله ، لأنهم يرون أن الإمامة ليست محتكرة تورث في عائلة مخصوصة .

سعيد ابن أحمد القداح - وهو اسمه الحقيقي - إلى عبيد الله المهدي . . . وكلفوا بالدعاية له رجلين وهما حسن بن فرح ، بن حوشب ابن زاذان الكوفي ، وأبو عبد الله الشيعي . وأرسلوا ابن حوشب إلى اليمن ، واشتهر فيه باسم منصور اليمن . وأرسلوا أبا عبد الله الشيعي إلى إفريقية .

وقد أصاب أبو عبد الله الشيعي من النجاح في إفريقية ما لم يصبه ابن حوشب في اليمن . وبعد أن اطمأنوا إلى انتشار دعوتهم في إفريقية أرسلوا إليها سعيد ابن أحمد القداح الذي سموه عبيد الله المهدي .

وقد انتهت حكومة بني الأغلب إلى هذه الدعوة الخبيثة - ولكن بعد فوات الوقت . فقبضت على ابن قداح وسجنته . وتمكن أبو عبد الله الشيعي من مهاجمة السجن وإخراجه فقويت شوكته وكثر أنصاره .

وقد بلغه أن أبا عبد الله الشيعي - داعيته - يعمل ضده فقبض عليه وقتله ، وانتقم الله منه بيد صديقه (١) .

هذا أصل عبيد الله المهدي ، وهذا أصل العبيديين المنسوبين إليه .

وقد خالفهم في نسبتهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق جميع المسلمين في المغرب وفي كل مكان ، وفي مقدمة الذين أنكروا عليهم هذا النسب الأشراف العلويون ، وإنما هم منسوبون إلى سعيد بن أحمد القداح الذي ادعوا أنه ابن إسماعيل بن جعفر الصادق من طريق النكاح الروحي الذي ذكرناه آنفاً . وقد جاء في كتب الإسماعيلية الحديثة أكثر من دليل على أن عبيد الله المهدي هو سعيد بن أحمد من ذرية ميمون القداح وأنه سعيد الخير الملقب بالمهدي .

(١) لما أخرج أبو عبد الله الشيعي عبيد الله المهدي من السجن وفوض إليه أمر المملكة اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد - وكان أكبر منه سناً ، ولامه على ما فعل . وقال له : تكون أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى من جملة الأتباع ؟ . فندم أبو عبد الله وأضمر الغدر بالمهدي ، وشمر المهدي بذلك ، ففسد على أبي عبد الله وأخيه أحمد من قتالهما في ساعة واحدة . وكان ذلك في منتصف جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ بمدينة رقادة .

ومن أراد أن يصف العبيديين بأنهم غير إسماعيلية ، أو أنهم يعملون لخير الإسلام والمسلمين فلن يجد على صحة دعواه دليلاً واحداً .

\* \* \*

ولما ذهب عبيد الله المهدي إلى المغرب . مرت في طريقه بطرابلس فتوقف فيها مدة لنشر دعوته ، فأرسل زيادة الله بن الأغلب إلى أخيه أحمد - عامله بها - أن يقبض عليه ، ولأمر ما لم يفعل ، واعتذر بأنه أفلت منه .

ويقال إنه رشاه بمال كثير . وسافر عبيد الله من طرابلس بعد أن تخرج مركزه فيها إلى المغرب . وأول ظهوره بسلمجاسة<sup>(١)</sup> في ذي الحجة سنة ٢٩٦ . وأسس دولته فيها . ودخل رقادة في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ٢٩٧ . واستولى على مخلفات بني الأغلب وكانت شيئاً كثيراً . وبويع له فيها بالخلافة كما بويع له بالقيروان في تسع بقين من هذا الشهر . وبهذه المبايعه أصبحت دولة العبيديين ظاهرة في الوجود .

وكانت قبيلة كتامة البربرية أول من ناصر عبيد الله المهدي ، ودولته . ولما أستقر أمره في رقادة والقيروان وجد معارضة كبيرة لمذهب الشيعة من أنصار مذهب مالك وبعض الحنفية ، حتى شعرت نفسه أن دولته لا تستقر في إفريقية وفيها هذه المعارضة القوية ، لأن المعارضين لا ينظرون إلى دولته أنها

(١) ضبطها صاحب نزهة الأنظار : بفتح السين وسكون الجيم وفتح اللام .

وقال أحمد نجاتي في تعليقه على رفيات الأعيان : سجالسة مدينة في جنوب المغرب الأقصى اختطها عيسى بن يزيد ابن الأسود من موالى العرب وقيل مدار بن عبد الله ، كان ينتجع تلك الناحية لماشيته ، فاجتمع عليه جماعة من البربر - وكانوا يدينون بمذهب الصفرية من الخوارج ، فقدموه عليهم ، وخلصوا طاعة الخلفاء ، واختطوا هذه المدينة سنة ١٤٠ .

دولة عربية فاطمية ، ولا إلى مذهبه أنه من مذاهب أهل السنة ، بل ينظرون إلى دولته أنها دولة بربرية تناصر مذهباً اشتمل على كثير من المخالفات لما يراه المسلمون من الاحترام لصحابة رسول الله الأولين . ومن هذه الناحية كان أنصاره من كُتامة يرون أن لهم الحق في أن يكون نصيبهم في هذه الدولة أكبر من غيرهم . وكان أبو عبد الله الحسين الداعي يؤيد كُتامة في وجوب تقديمهم على غيرهم . . . . . وشعر عبيد الله المهدي بتأييد الداعي لكُتامة في رأيهم ، فتسرب إلى نفسه سوء الظن به ، وشعر بخرج مركزه ، فسعى إلى استمالة الصنهاجيين إليه ليستعين بهم على كُتامة أعدائهم ، وقد تم له ذلك فانتصر بهم على الداعي وعلى الكُتامين ، وقتل بعض كبار الكُتامين فخافوه ، ثم قتل الداعي كما تقدم .

وأراد المهدي أن يتعد عن القيروان محل النزاع ومعارضة المالكية فبنى المهديّة وانتقل إليها ، وسلط أنصاره على سكان الضواحي فأرهبوهم محاولين إخضاعهم بالقوة .

ولم يفد عبيد الله انتقاله للمهدية ، ولا ما استعمله مع الناس من إرهاب وبطش ، فقد اشتدت عداوة المالكيين له ، وصاروا ينظرون إلى دعوته نظرهم إلى دعوة المبتدعة مما زاد في قلقه وزعزع مركزه ، فجاهروه بإنكار مذهبه وأعرضوا عنه . وتدرجت معارضتهم له من رفض مذهبه إلى رفض طاعته ، وامتنعوا عن دفع الضرائب . وحاول التغلب عليهم من طريق استعمال القوة فلم يزدادوا إلا تمادياً في عداوته ، وقد حصلت مناظرات بين الشيعيين والمالكيين انتصر فيها المالكيون . وأفحموهم بالحجة ، وأصبح عبيد الله ومذهبه أبغض الناس والمذاهب إلى أهل إفريقية .

وقد بدا لرجال الدولة الفاطمية أن بقاء دولتهم في إفريقية مهددٌ بالزوال ما دام المالكية يناهضونهم . وأصبحوا يحسبون لهذا الأمر حساباً .

ومات المهدي سنة ٣٢٢ وخلفه بنوه وأحفاده وورثوا عنه هذه الفكرة وانتهت الدولة الشيعية إلى المعز لدين الله وأبدى محاولات في المغرب بواسطة جوهر



الصقلي ، وبالرغم على ما سفك فيها من دماء فقد باءت بالفشل ، فازداد خوفه على الفاطمية ، وأحس بأن إفريقية لم تعد معقلا للفاطمية ، فاتجه بتفكيره إلى مصر ، وأنه يجب على الدولة الفاطمية أن تتخذ منها مركزاً إذا أرادت البقاء . وواتته الظروف بفساد حكم الإخشيديين في مصر ، وتآلم المصريين من حكمهم ، وبموت كافور الإخشيدى ، فغزاها بجيش جرار بقيادة جوهر الصقلي ، ثم رحل هو إليها سنة ٣٦١ . وخلف على إفريقية بنى زيرى الصنهاجين الذين كانوا أيدوا الفاطميين ضد الكتاميين ، وضد ثورة ابن كيداد وأخلصوا للفاطميين الإخلاص كله . وذهب المعز إلى مصر وهو في مأمن من متابعته بسوء ، وبقي بنو زيرى في إفريقية نواباً عن الفاطميين فيما تركوا لهم من ملك . وعلى الرغم من استقلال بنى زيرى بإفريقية ، فإن ما بقي لهم من الصلة بالفاطميين كان يذكر المالكيين دائماً بمذهب الفاطميين الذين كانوا ينظرون إليه كمذهب من مذاهب المبتدعة . وقد أدرك بنو زيرى أن أمرهم لا يستقر ما دام الناس يعتبرونهم نواباً للفاطميين أهل المذهب المبتدع . ولا بد لهم من الانتماء إلى مذهب الإمام مالك ، واقتناع الناس بصحة هذا الانتماء .

واشتدت الفتنة على الشيعة أيام المنصور ، وهوجمت دار الإمارة وأحرقت الأسواق ، وحاول المنصور أن يكبح جماح الفتنة فتعذر عليه ، وأيقن ألا سبيل إلى إطفائها ولا إلى استقرار ملكه إلا بانتمائه إلى المالكية ، واقتناع الناس بصحة هذا الانتماء ، وقد كان ذلك . وانتهى ملك بنى زيرى إلى المعز بن باديس فأعلن انتماءه إلى مذهب المالكية وأرغم الناس على اعتناقه ، وقضى على الشيعة ومذهبهم في إفريقية . وانتقم الشيعة في مصر من بنى باديس بتسليط العرب عليهم ، وكان ما سذكروه من أمر دخول العرب إفريقية .

هذا مختصر ما حصل بين مذهب الشيعة ومذهب المالكية .

أما الإباضية فكان موقفهم من الشيعة هو موقفهم من أهل السنة : موقف التحفظ وعدم الامتزاج ، والنظر إلى غير العنصر البربرى نظرة الغريب المحتل . وعلى هذا دأبوا ، ولم تسنح لهم فرصة للثورة إلا ثاروا .

## ماكنون بن ضبارة اللحياني

وأول ما افتتح به عبيد الله عمله في طرابلس أن عين ماكنون عاملاً عليها ،  
وانتهز البربر فرصة ابتداء العهد الجديد وعدم استقرار الأمور ، فثارت  
هواره بزعامة أبي هارون الهواري وانضم إليهم جماعات من زناتة ولماية وغيرهم من  
القبائل البربرية ، وحاصروا طرابلس ، وتحصن ماكنون بداخل السور . فأرسل  
إليهم عبيد الله المهدي نجدة بقيادة تمام بن معارك - أبا زاكي - وهو ابن أخي  
ماكنون فحارب البربر خارج المدينة وانتصر عليهم ، وبعث برؤوس كثير منهم  
إلى المهدي برقيادة وبيي ماكنون بطرابلس ، وقد بلغ المهدي أن تمام بن أخي  
ماكنون يتآمر عليه ويحرض ضده ، فأوعز إلى ماكنون أن يقتله ، فقتله غرة  
ذي الحجة سنة ٢٩٨ .

وأمن ماكنون ثورة البربر ، وخلا له الجوع ، فتناول في الحكم ، وبسط  
أيدي بني عمه من كتامة في أموال الناس والتدخل في شؤونهم ، وامتدت إلى  
حرماتهم ، فثار به أهل طرابلس سنة ٣٠٠ وأخرجوه منها فلحق بالمهدي برقيادة ،  
وأغلق أهل طرابلس أبواب المدينة ، وقتلوا من كان بها من كتامة أنصار  
ماكنون<sup>(١)</sup> .

## محمد بن إسحاق القرشي

ولقبه ابن القرين وبعد أن طرد الطرابلسيون ماكنون عامل المهدي قدموا  
عليهم محمد بن إسحاق القرشي « ابن القرين » ، فأرسل عبيد الله المهدي إلى طرابلس  
أسطولا بحرياً ، فتلقاه أهل طرابلس بأسطولهم فأحرقوه وقتلوا من فيه . وأرسل  
إليهم ابنه أبا القاسم في جيش على طريق البر في جمادى الأولى من سنة ٣٠٠ ،

(١) يقول الأستاذ العسل في تعريبه كتاب (ليبيا) : وفي سنة ٣٠٠ أباد سكان طرابلس  
الحامية التي كانت لها من قبل الإباضيين ١٥ وماكنون بربري معين على طرابلس من قبل عبيد الله .  
ويظهر أن أنصاره من كتامة كانوا إباضيين .

فاعترضته هوارة فأوقع بها . وحاصر طرابلس المدينة حتى فنى ما بها من أقوات ، وأكل أهلها الميتة ، ولم يمكن ابن إسحاق المداومة على الحرب . فتقدم أهل طرابلس لأبي القاسم الشيعي وطلبوا منه الأمان فأمنهم على أن يسلموا إليه محمد بن إسحاق ، ومحمد بن نصر ورجلا آخر يقال له الخوصحة ، فقبلوا ذلك وسلموهم إليه ، ودخل طرابلس<sup>(١)</sup> ، وفرض على أهلها غرامة مالية قدرها ثلاثمائة ألف دينار<sup>(٢)</sup> ، وقتل من كان فيها من الأغالبة بتهمة أنهم المدبرون لهذه الفتنة . وقد وقع ما فعله أبو القاسم بأهل طرابلس من القتل وفرض الغرامة موقع الاستحسان من المعز لدين الله ، وكتب إلى جوذر يقول له : « فاكذب باستحساننا فعله ورضانا بما يبلغنا من حميد سيرته ، وليدم على ذلك ينفعه الله به إن شاء الله . » وتولى بجباية مال الغرامة رجل يقال له خليل بن إسحاق من أبناء جند طرابلس . . . وخليل هذا هو الذي أتم بناء جامع طرابلس الكبير أيام العبيديين وبنى منارته . . . وقد قتله ابن كيداد اليفراني لما استولى على القيروان سنة ٣٣٢ .

وبعد أن استقرت الحال في طرابلس رجع أبو القاسم الشيعي إلى رقادة<sup>(٣)</sup> ومعه الرجال الثلاثة الذين ذكرناهم آنفاً ، فقتلهم بعد أن طاف بهم في شوارع القيروان على الجمال تشهيراً بهم .

### حباسة بن يوسف الكتامي

حباسة - بفتح الحاء والسين المهملة . وقيل حباشة ، بالشين المعجمة . وقيل بضم الحاء : وهو حباسة بن يوسف قائد بربري من قواد عبيد الله المهدي الفاطمي ، حارب أبا اليمن الذي غزا برقة من قبل تكين<sup>(٤)</sup> ، وكانت الغلبة

( ١ ) يفهم من رحلة التيجاني أنه دخلها سنة ٣٠٣

( ٢ ) وقيل أربعمائة ألف . ورواية المؤنس ثلاثمائة وأربعمائة ألفاً .

( ٣ ) رقادة مدينة بافريقية تقع جنوب القيروان بنحو ستة أميال بناها إبراهيم بن أحمد الأغلب سنة ٢٦٣ . ووقعت فيها حروب هائلة بين أبي الخطاب بن السمح وبين قبيلة ورفجومة . ويقال إنها

سميت رقادة لكثرة ما رقد فيها من القتلى في هذه الملحمة

( ٤ ) مولى المعتضد وقائده . وكان جباراً .

لحباسة على أبي اليمن ، ورجع أبو اليمن مهزوماً إلى مصر واستولى حباسة على برقة ، وتقدم إلى الإسكندرية واستولى عليها .

وفي سنة ٣٠٢ جمع تكين جيوشاً جرارة وهاجم جيش حباسة وأجلاه عن الإسكندرية وبرقة ورجع حباسة إلى المغرب في أسوأ حال . . . وجيش حباسة أول جيش ورد الإسكندرية من جهة عبيد الله المهدي الفاطمي .

ابتدأ عبيد الله المهدي أمره من المغرب وسار إلى المشرق ، ولما هدأت الحال في طرابلس بعد ثورة أهلها على عامله ماكنون شرع في الخطوة الثانية إلى الشرق للقضاء على بقية الأغالبة والعباسيين وطردهم من سرت وبرقة ، فجهز جيوشاً كثيرة سنة ٣٠١ بقيادة حباسة بن يوسف الكتامي وتوجه إلى سرت لأنها إذ ذاك ما زالت تحت حكم الأغالبة فدخلها بدون حرب ، وهرب من كان بها من جنود العباسيين والأغالبة ، وتقدم إلى أجدابية ، فهرب من كان فيها من الأغالبة والعباسيين ، وطلب أهلها الأمان فأمنهم ودخلها بدون حرب ، واحتل مدينة برقة . . . وكان عبيد الله يمد حباسة بالجيوش بدون انقطاع .

وكان حباسة<sup>(١)</sup> مستبداً وقاسياً ، لم تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً ، فكان لا يبي بوعده ، وكلما دخل مدينة قتل من أهلها وأخذ أموالهم ، ووجد جماعة في برقة يلعبون بالحمام فأمر بهم فأجلسوا حول نار ، وأمر بلحومهم أن تقطع وتشوى ، ثم أمر بهم فألقوا في النار . . . ونادى في برقة . . . من أراد العطاء فليأت إلينا ، فحضر إليه من الغد نحو ألف رجل ، فأمر بهم فقتلوا جميعاً ، ثم وضع جثثهم بعضها على بعض ، وجرى له بكرسى فوضع على الجثث وجلس عليه ، وأمر بالوجهاء من أهل البلد فدخلوا عليه فحبسهم وأهانهم ، وقد مات منهم جماعة من فظاعة ما رأوا ، وقال لهم : إن لم تأتوني غداً بمائة ألف مثقال قتلتكم جميعاً ، فأحضرها له .

(١) كان من أتباع عبد الرحمن القائم ، أغار على الإسكندرية بأسطول مكون من مائتي مركب أيام المقتدر العباسي فاحتلها لعبد الرحمن القائم ، وتقدم إلى الصعيد ، فبعث إليه المقتدر جيشاً لمحاربتة بقيادة بكير التركي .

وقتل حباسة في هذه السنة حارثاً ونزاراً ابني حمال المزاتي في نفر من أبناء عمومته في مدينة برقة ، وباع نساءهم ، وأخذ جميع أموالهم وقد ضاق أهل برقة بقبيح أفعاله ، فشكوه لعبيد الله المهدي ، فاعتذر ، وحلف أنه ما أمر بشيء من ذلك ، وكتب إلى حباسة أن يرحل عن برقة فرحل إلى جهة مصر ، وأتى أموراً أقبح مما كان يفعله في برقة . . .

وفي سنة ٣٠٢ غزا أبو القاسم الإسكندرية ولم يوفق في هذا الغزو ورجع مهزوماً . وسبب غزوه الإسكندرية أنه أرسل قصيدة إلى بغداد يفخر فيها بيته وبما فتح من البلاد ، فأجابه الصولي<sup>(١)</sup> بقصيدة على وزنها ورويها ومنها :  
فلو كانت الدنيا مثالا لطائر      لكان لكم منها بما حُرِّتُمُ الذئب  
فغضب من هذا البيت ، وقال : « والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه — إن قدرت — أو أهلك دونه » .

وفي هذه السنة ثار أهل برقة على عامله وقتلوه ، وقتلوا كثيراً من رجال كتامة .. فأرسل إليهم المهدي بالجيوش سنة ٣٠٣ لتأديبهم على ثورتهم على عامل ابنه أبي القاسم ، وكانت الجيوش بقيادة أبي مديني ابن فروخ اللهضي . وقد استمر على حرب مدينة برقة وحصارها ثمانية عشر شهراً مع حصار شديد حتى افتتحها سنة ٣٠٤ ، وقتل أكثر أهلها ، وأحرق كثيراً منهم ، واستباح ما فيها من أموال ، وبعث بجماعة من وجوه أهلها إلى المهدي فأمر بقتلهم وبقى أبو مديني ببرقة إلى أن مات بها سنة ٣٠٦ .

وفي سنة ٣٠٤ حارب المهدي أهل صقلية . وغزا مصر في ذي القعدة سنة ٣٠٦ فاستولى على الإسكندرية وأكثر الصعيد . . . وفي هذه السنة ابتداء في إنشاء المهدي ، وانتقل إليها في شوال سنة ٣٠٨ . . .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين المعروف بالصولي الشطرنجي .

له كتب في الأخبار والأدب والتاريخ ، أهمها أدب الكاتب توفي سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ .

وشعر الناس — لا فرق بين السنين والإباضيين — بسوء معاملة عبيد الله وأنصاره ، ولمسوا في أحكامهم القسوة والجور ، فحقدوا عليهم وصاروا يترصدون بهم . وثارت نفوسة سنة ٣١٠ على عبيد الله ، وقدموا عليهم أبا بطّة ، وهو أحد رجالاتهم ، فعظم شأنه ، وقويت شوكته . فأرسل إليهم عبيد الله أحد رجاله على بن سلمان الداعي في جيش ، فحاربتة نفوسة وقتلوا كثيراً من جنوده ، وفر على إلى طرابلس ، ثم أمده عبيد الله بالجيش ، وأعاد الكرة على نفوسة وحاصرها .

وتولى محمد بن عمر النفطى قاضياً على طرابلس .

ومضت مدة نحو اثنتي عشرة سنة لم نهتد إلى ما وقع فيها من أخبار وحوادث . وسيأتي عما قريب ما يفيد تدمير أهل السنة وعلماء القيروان من أعمال العبيديين حتى إنهم ناصروا عليهم ابن كيداد .

قال صاحب البيان المغرب : ملك المهدي جميع المغرب ، وإفريقية ، وطرابلس ، وبرقة ، وجزيرة صقلية ، وتوفي منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢ ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ومدة ولايته ٢٤ عاماً وعشرة أشهر .

### محمد بن عبيد الله المهدي

كنيته أبو القاسم ، ولقبه القائم بأمر الله . ويقال إن اسمه نزار . . كان عهد له أبوه المهدي بالأمر من بعده ، وتولى بعد وفاة أبيه . وفي أيامه ظهر محمد ابن كيداد وثار عليه في ناحية طرابلس .

## مخلد بن كيداد<sup>(١)</sup> صاحب الحمار

أبو يزيد

هو مخلد بن كيداد اليَفسرَني ، بن سعد الله ، بن مغيث ، بن كرمان ، بن مخلد ، بن عثمان ، بن وريمة ، بن تبقراسن ، بن سميدان بن يفران ، ويفرن هذا أخو مغراو الذي تنسب إليه قبيلة مغراوة . وأمه أم ولد ، واسمها سيكة ، وهي سودانية لأن والده كان يغشى السودان للتجارة فاتخذها جارية له . ومات والده وتركه فقيراً لا يملك شيئاً ، وعاش زمناً على إحسان الناس ، ولما كبر خالط النكّار وتمذهب بمذهبهم . واشتهر عنه تكفير أهل السنة وسب علي بن أبي طالب ، ونشأ في مدينة توزر من بلاد الجريد وهو من قبيلة زناتة . وكان يدعى أنه ابن المهدي ، وكان يركب حماراً فسمى صاحب الحمار . وقد ظهر بجبال أوراس .

وقد ثار على محمد بن عبيد الله المهدي في جهات طرابلس سنة ٣٣٣ ، وحاصر طرابلس وقاتله أهلها . وقد تبعه في بادئ الأمر كثير من البربر . ولشدة جور محمد بن عبيد الله المهدي على أهل السنة ، وظلمه لهم ، وتعذيبه إياهم انضم إلى ابن كيداد كثير من علماء القيروان لأنه كان يخفي أمره عليهم ، وحاربوا معه . . . وقد استفحل أمر ابن كيداد وقويت شوكته ، وهاجم ابن المهدي في رقادة ففر أمامه إلى المهديّة .

وسمى ابن كيداد نفسه شيخ المؤمنين . وكان يضم لأهل السنة أشد العداوة ، لأنه كان نكاريّاً يستحل أموال أهل السنة ونساءهم ، ولكن انتهز كراحتهم لمحمد بن عبيد الله الشيعي ، فأخفى عليهم عقيدته فيهم وأظهر لهم صداقته واستغلهم ضده . . ولما رأى القدرة من نفسه على ابن المهدي الشيعي

(١) بضم الميم وتشديد اللام . وضبطه صاحب خلاصة تاريخ تونس بفتح الميم واللام وسكون الخاء . وكان يستبيح الأموال والدماء .

غدر بأهل السنة ، ونحليّ بينهم وبين الشيعة يقتلهم ويستبيح منهم ما حرم الله ، ولولا أنه خاف أن يقال عنه قتل أنصاره فينفض الناس من حوله لفعل بهم أكثر مما فعل الشيعة ، وقد قتل الشيعة منهم خلقاً كثيراً . . ومع ذلك فقد افترض أمر ابن كيداد وتحقق البربر كذبه فانفضوا من حوله .

كان ابن كيداد قاسي القلب ، جباراً شديد البطش بأعدائه ، تدل أفعاله على نبد الأديان ، وعدم احترام الإنسانية . . . دخل القيروان بعد أن خرب البلاد ، وقتل الرجال ، وسبي النساء ، وشق فروجهنّ ، وبقر بطون الحوامل ، والتجأ الناس إلى القيروان حفاة عراة ، ومات كثير منهم عطشاً وجوعاً ، وشكا إليه بعض الناس ما حل بالبلاد من خراب ، فقال لهم في سخرية واستهزاء : « وما يكون لو خربت مكة أو بيت المقدس » !!

توفي أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي في ١٣ من شوال سنة ٣٣٤ .  
ودامت ولايته اثنتا عشرة سنة .

### إسماعيل بن محمد القائم

هو أبو الطاهر ، ولقبه المنصور ، عهد له أبوه في حياته بالإمارة ، وبويع بها بعد وفاته ، وكان ابن كيداد ما زال قائماً بالثورة ، فخرج لقتاله وهزمه . وأعاد ابن كيداد الكرة فهزم أيضاً في معركة شديدة . وفر إلى قلعة كتامة ، فتبعه إسماعيل وحاصره بها . واقتحمها عليه وظفر به مشخناً بجراحه ، ومات متأثراً بها ، فسلخ جلده وحشاه تبناً وصلبه . وفي سيرة جوذر : وحشاه سعفا .  
وفي هذه المعركة يقول علي بن محمد الإيادي الشاعر :

فارتقى الملعون من خيفته	في ذرى أعيط عال مُصعد
في ذرى حلقاء ملساء على	ذلك المعقل ليست بصدد
معقل من فوقه الله ومن	تحت المنصور في جيش معد
فارتقى المنصور بالسيف له	يوم طعن كشأيب البرد
فإذا مخلص في كف الردى	موثق الجيد بحبل من مسد



إلى أن قال :

فأبى الله سوى إعجاله      وعذاب الله للجسم أهد  
ففضى عنه أديماً دنساً      كان قد أسرف فيه وورد  
كأديم التيس لما لم يطب      ريحه جرد منه فانجرد  
وحشاه سالخوه سعفا      ما ليا ما بين كعب وكند  
ثم رقاه عل مستحصد      باسقى أجرد ما فيه أود  
أه من سيرة جوذر

وبقى مصلوباً حتى تمزق جلده وأذرتة الرياح وكان ذلك في المحرم سنة ٣٣٦ ...  
وواصل ابنه الثورة مطالباً بثأر أبيه فأرسل إليه المنصور زيرى بن مناد فقتله .  
وانتهى أمر ابن كيداد وابنه .

وفي سنة ٣٣٦ بنى المنصور مدينة المنصورية ، وهي منسوبة إليه . ويقال  
لها صبرة ، وهي على نصف ميل من القيروان ، وانتقل إليها سنة ٣٣٧ ، وتوفى  
في العاشر من شوال سنة ٣٤١ ، وعمره تسع وثلاثون سنة ، ومدة ولايته سبعة  
أعوام ونصف شهر .

### زيان الصقلي

كنيته أبو الفتوح . وولاه إسماعيل المنصور عاملاً على طرابلس . وقام بأعباء  
الحكم فيها ، وعنى بإصلاح سور المدينة ، وزاد في جميع جهاته البرية والبحرية  
في أيام المعز سنة ٣٤٥ .

### المعز لدين الله

هو معد بن إسماعيل المنصور ، وكنيته أبو تميم . ولد بالمهدية في ١١ من  
رمضان سنة ٣١٩ وعهد له والده بالخلافة بعده ، ويقال بويح له في حياته ،  
وجددت له البيعة يوم وفاته ، وفي يوم الأحد السابع من ذى الحجة سنة ٣٤١  
جلس على سرير الملك ، وسلم الناس عليه بالخلافة ، وهو الخليفة الفاطمي  
الرابع . وكان عالماً فاضلاً بجواداً منصفاً ، وهو أول خليفة من العبيديين ملك مصر .

وفي سنة ٣٤٢ ولى باسيل الصقلي عاملاً على سرت ، وولى على أجدابية ابن كافي الكتامي . وولى على برقة وأعمالها أفلح المناسب . وكان له فتح في صقلية سنة ٣٤٥ . . . . وفي أيامه دخل اليهود إفريقية .

وبدخول برقة تحت حكمه أصبحت حدود مملكته على حدود مصر ، ومكنه هذا الحوار القريب من استطلاع أحوالها والوقوف على حقيقة حكم الإخشيديين فيها . وصارت نفسه تنازعه إلى احتلال مصر من الإخشيديين ، وأصبح يتحين القرص . . . . وفي صفر سنة ٣٥٥ مات كافور الإخشيدى فاضطرب حبل الأمن في مصر ، فكان ذلك مما شجع المعز على الإقدام فاعتزم الأمر وأخذ يعد العدة لذلك ، وفي هذه السنة أمر بحفر الآبار ، وبناء القصور في طريق مصر . وقد بنى على رأس كل ثلاثين ميلاً قصرًا من القيروان إلى مصر . وجشد الجيوش الحرارة وجمع الأموال اللازمة لها ، واختار لقيادة هذا الجيش الفاتح مملوكه بجوهر الصقلي ، وزوده بالأموال الكافية ، وأمر قواده ، وعماله في جميع النواحي أن يترجلوا في ركابه . وقد استكملت جميع الوسائل والمعدات للجيش ولم يبق إلا الرجيل ، وكان الجيش يربي على مائة ألف .

وفي يوم السبت الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٣٥٨ ابتداءً هذا الجيش مسيره إلى مصر ، بقيادة جوهر الصقلي (١) وانساب في تلك البطائح يملأ ما بين تونس ومصر ، لا يتجاوز الطرف أوله ولا ينتهي إلى آخره . وقد وصف ابن هاني كثرة هذا الجيش بقوله :

ألا إن هذا حشدٌ من لم يذق له غرار الكرى جفنٌ ولا بات بهجعُ  
إذا حلَّ في أرض بناها مدائنًا وإن سار في أرض غمدت وهي بسلقعُ  
وقد أنفق المعز على تجهيز هذا الجيش أربعة وعشرين مليوناً من الدينانير .

(١) كنيته أبو الحسن ، وهو رومي وكان غلاماً للمنصور والد المعز . توفي بمصر سنة ٣٨١ ولم يبق شاعر بمصر إلا رثاه . وقال ابن خلكان : سافر جوهر القائد من إفريقية ، ومعه أكثر من مائة ألف فارس ، ومعه أكثر من ألف ومائتي صندوق من المال . وكتب المعز إلى عامله على برقة : أفلح الكتامي أن يترجل للقائد جوهر .

وحيثما مر جواهر ببرقة كان بها أفصح الكتامي<sup>(١)</sup> عاملا عليها من قبل المعز ،  
فأنفت نفسه أن يترجل في ركاب جواهر كما أمر المعز عماله أن يترجلوا في ركابه .  
وقدم له خمسين ألف دينار على أن يعفيه من ذلك ، فأبى جواهر إلا أن يترجل  
في ركابه كغيره من العمال والقواد ، ورد عليه المال ، فترجل الكتامي . وبعد  
مسير خمسة أشهر دخل مصر يوم الثلاثاء ١٨ من شعبان سنة ٣٥٨ ، ولم يجد  
عناء في فتحها ، ووضع أساس القاهرة إثر دخوله ، وأرسل إلى المعز يبشره  
بالفتح ويستقدمه إلى مصر .

وفي جمادى الآخرة سنة ٣٥٩ شرع في بناء الأزهر وانتهى منه في رمضان سنة  
٣٦١ ، وفتح دمشق سنة ٣٥٨ بقيادة جعفر بن خلاف أحد قواد جواهر . وأخذ  
المعز يفكر في الانتقال إلى مصر ويعد له العدة .

### رحلة المعز إلى مصر

بعد أن تم فتح مصر ، وأسست القاهرة ، وتم بناء الأزهر . وبعد أن وطد  
جواهر ملك سيده المعز في مصر ، وفتح دمشق — بعد كل هذا لم يبق للمعز  
إلا أن يرحل عن إفريقية مسقط رأسه ، وموطن آبائه وأجداده ، ليتمتع بملك  
مصر ، ويتمثل بما قاله فرعون « أليس لي ملك مصر ، وهذه الأنهار تجري  
من تحتي » .

(١) هو أفصح بن ناشب الكتامي ، عامل برقة ووالها للمعز .  
قال في سيرة الأستاذ جوذر : كان له أثر كبير في برقة لما قام به من جهاد لكل من خالف  
المعز من البربر وغيرهم ، ولكل ما يلي مصر من القبائل من ناحية برقة مثل بني قره وسواهم من الأعراب ،  
فخضعت له بلاد برقة . وقد بلغ من اعتداد أفصح بنفسه أنه أبى أن يترجل للقائد جواهر عند مروره  
ببرقة إلى مصر مع عظيم منزلة جواهر . وكان المعز يعتمد على أفصح في مهاجمة جزر بحر الروم من  
موانئ برقة . وكانت برقة قاعدة لغزو تلك الجزر منذ الفتح الإسلامي .

وقد مدحه ابن هاني بقصيدة منها هذا البيت :

حيّوا جلالة قدره فكأنما حيّوا أمين الله في الديوان

وقد وكل إليه المعز القضاء على ثورة آل قره من عرب البحيرة فنجح في ذلك نجاحه في توطيد  
دعائم الملك والأمن في برقة .

وفي ٢٢ من شوال سنة ٣٦١ رحل المعز لدين الله من المنصورية<sup>(١)</sup> إلى سردانية - وهي بلد قريب من القيروان - فأقام بها حتى لحق به أهله وماله وجنده ، وأخذ معه ألف جمل محملة بالمال ، وفي أول صفر سنة ٣٦٢ رحل إلى مصر ، واستخلف على إفريقية بُلُكين بن زيري ، وسماه يوسف ، وكنيته أبو الفتوح ، وذلك لتكون مملكتهم في المغرب حصناً لمملكتهم في المشرق ، ولتحول إفريقية بينهم وبين زناتة المواليين لبني أمية . وكانت صنهاجة تناصر العلويين .

واستثنى المعز لعبد الله بن يخلف الكتامي من إفريقية طرابلس وسرت وبرقة ، فلم يدخلها تحت حكم بلكين وألحقها بمصر ، وولى عليها عبد الله بن يخلف الكتامي ، تقليلاً من نفوذ بلكين ، لأن سياسة الفاطميين كانت مبنية على الاعتماد على أنصارهم ، وإشعار هؤلاء الأنصار بدوام صلحتهم بهم ، مراعين في ذلك مصلحتهم بقدر الإمكان . . . وكان مقر يخلف الكتامي طرابلس .

وسار بُلُكين مع المعز إلى قابس يودعه ويتلقى إرشاداته ووصاياه ، وقد أوصاه بثلاث :

الآٓ يرفع السيف عن البربر . ولا يرفع الجباية عن أهل البادية ، ولا يولى أحداً من أهل بيته .

ورحل المعز من قابس يوم الأربعاء العاشر من ربيع الأول سنة ٣٦٢ ، ودخل طرابلس يوم الأربعاء ٢٤ من الشهر المذكور ، وكان معه جماعة من الإباضية فهربوا إلى إخوانهم في جبل نفوسة فلم يبالهم ، وحمد الله أن طهر بجيشه من المنافقين .. ورحل عن طرابلس يوم ١٧ من ربيع الآخر ووصل إلى سرت في اليوم الرابع من جمادى الأولى . . . ورحل عنها ونزل بقصره الذي بنى له في

(١) تسمى إلى المنصور بن بلكين بن زيري . وتسمى صبره أيضاً .

أجدابية<sup>(١)</sup> . ورحل عنها ونزل بقصره المعروف بالمعزية<sup>(٢)</sup> في برقة في أواخر رجب .  
وكان معه الشاعر محمد بن هاني الأندلسي ، وكان يتغالي في مدح المعز إلى حد  
الكفر ، وله أشعار صريحة في ذلك ، منها قوله يخاطب المعز :

فكأنما أنت النبي محمدٌ      وكأنما أنصارك الأنصارُ  
ما شئت لا ما شاءت الأقدار      فأحكمت فأنت الواحد القهارُ  
هذا الذي تجلدي شفاعته غداً      حقاً وتختمدُ أن تراه النار

ومن شعره في المعز :

النورُ أنت وكل نور ظلمةٌ      والفوق أنت وكل فوق دونُ  
فارزق عبادك منك فضل شفاعتي      واقرب بهم زلني فأنت مكينُ

ومنه :

ندعوهُ منتقماً عزيزاً قادراً      غفارُ موبقة الذنوب صفوحا  
أقسمتُ لولا أن دُعيت خليفةً      لدُعيت من بعد المسيح مسيحا  
شهدتُ بمفخركَ السموات العلا      وتنزل القرآنُ فيك آمديحا

ومنه :

وعلمت من مكنون سر الله ما      لم يُؤت في الملكوت ميكائلا  
لو كان آتى الخلق ما أوتيته      لم يخلق التشبيه والتأويلا

(١) كان أحد ناليك المعز يسمى جوذر كان معه في هذه الرحلة ، وقد مرض مرضاً شديداً فكان يتمنى أن يجتمع بالمعز ، فاجتمع به في هذا القصر ، وكانت آخر مرة اجتمع فيها بالمعز . ومات جوذر في مدينة برقة من مرضه هذا . وحمل إلى القصر الذي كان به المعز بموضع يعرف بمياسر وصلى عليه ، ودفن بالمسجد الذي كان بهذا القصر .

وأصل جوذر من الصقالبة وعمته المعز سنة ٣٣٦ تقريباً ، ولقب بجوذر مولى المعز ، وكان من أقرب المقربين إليه .

(٢) يوجد الآن مكان في برقة يقال له العزيات قريباً من طريق العبد جنوبي الجبل الأخضر ، وبهذا المكان آثار بناء قديم ، ولا يبعد أن تكون آثار قصر المعز ، ولطول الزمن حُرقت إلى العزيات ، وطريق العبد - على ما يقال - هو الذي سلكه جواهر الصقلي في مجيئه إلى مصر .

وقال فيه :

ونورٌ هدّى في جسم نورٍ يمدّه      شعاعٌ من الأعلى الذي لم يجسم  
فأقسيمٌ لو لم يأخذ الناسُ وصفه      عن الله لم يُعقل ولم يُتوهم

وبمثل هذا الإغراق في الكفر يمدح ابن هانيّ المعزّ الفاطمي ، ولمثل هذه المكفّرات يصغى المعز ولا ينكرها ، فأى مكفّرات بعد هذه يا ترى ينكرها المعز .

وابن هانيّ هو محمد بن هانيّ . ويلقب بأبي القاسم ، وأبي الحسن ، وهو من قبيلة الأزدي ولد بأشبيلية من بلاد الأندلس ، واتصل بجوهر الصقلي سنة ٣٤٧ تقريباً ، وكان إحساناً جوهر له لم يشبع نفسه الطامحة فاتصل بجعفر بن عليّ أحد قواد المعز وأمير الزاب فأغدق عليه ما أرضاه . واتصل بالمعز سنة ٣٥٠ في القيروان ، وصحبه في رحلته إلى مصر . واغتيل ابن هانيّ في برقة لسبع ليال بقين من رجب سنة ٣٦٢ وهو في الثانية والأربعين من عمره نتيجة التآمر عليه من خصومه السياسيين والأدباء لما كان له من الحظوة لدى المعز .

وقد وجد مقتولاً بساحل البحر ببرقة ولم يعرف قاتله . ولما بلغ المعز خبر وفاته تأسف وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك .

وقال في المغرب في حلى المغرب ص ٩٧ ج ٢ : أبو القاسم محمد بن هانيّ الأزدي أصله من بني المهلب الذين ملكوا إفريقية ، وانتقل أبوه منها إلى جزيرة الأندلس ، وسكن إلبيرة فولد له بها محمد بن هانيّ المذكور ، وبرع في الشعر واشتهر ذكره . وقصد جعفر بن عليّ الأندلسي ملك الزاب من المغرب الأوسط ، واحتال لمقابلته ، وأكرمه وأجلّ قدره ، وبقي في جواره مكرماً ، إلى أن كتب المعز الإسماعيلي الخليفة بالقيروان إليه في توجيهه لحضرته ، فوجهه للقيروان ، فقال فيه الشعر وبالغ في مدحه .

وكان ابن هانيّ مغرمًا بحب الصبيان ، وله في ذلك أشعار مبتذلة . ولما رحل المعز إلى مصر رجع لتوصيل عياله ، فقتل في برقة على صبي .

وقال في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥ التحق بجعفر ويحيى ابني علي بالمسيلة وهي عاصمة الزاب ، فامتدحهما فبالغا في إكرامه والإحسان إليه . فتمى خبره إلى المعز العبيدي فطلبه منهما ، فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه . ولما توجه المعز إلى الديار المصرية شيعة ابن هاني ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به ، فتجهز وتبعه . ولما وصل إلى برقة أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياماً في مجلس الأانس ، فيقال إنهم عربدوا عليه فقتلوه . وقيل نخرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق وأصبح ميتاً (١) ولم يعرف سبب موته . وقيل إنه وجد في سانية من سواني برقة مخنوقاً بشكة سراويله . وكان ذلك في بكرة يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة ٣٦٢ وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وأربعون . هكذا قيده صاحب كتاب أخبار القيروان ،

وله في المعز غرر المدائح . فمن ذلك قصيدته النونية التي يقول فيها :

فارزق عبادك منك فضل شفاعه      واقرب بهم زلي فانت مكين

وكان المعز وأجداده يستمعون إلى مثل هذه المكفرات ولا ينكرونها . وكانت أيمان كتامة أيام المهدي : « وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقادة » وقد قتلوا العروس مؤذن مسجد ابن عياش بعد أن ضربوه بالسياط وقطعوا لسانه لأنه أذن ولم يقل حتى على خير العمل ، وكانوا يمنعون الناس من صلاة الضحى وصلاة التراويح . . . وعلى كل حال فإن الذين يريدون الطعن على أعمال العبيديين يجدون أكثر من دليل على أنها لا تتفق مع تعاليم الإسلام ، ولا مع ما كان عليه نبي الإسلام .

وواصل المعز سيره من برقة ، فوصل الإسكندرية يوم ٢٣ من شعبان سنة ٣٦٢ . ووصل مصر يوم السبت الثاني من شهر رمضان من هذه السنة ، ودخل القاهرة يوم الثلاثاء الخامس منه . ودخل من الباب القبلي وهو باب

(١) قال في النجوم الزاهرة إنه قتل في رجوعه من مصر إلى المغرب للإتيان بأمله ولحقه

زويلة<sup>(١)</sup> ووفد عليه أعيان القاهرة فأكرمهم وأحسن استقبالهم .  
وامتد ملك المعز من مضيق سبته بالمغرب إلى مكة بالمشرق . وكان يصدر  
أوامره بالقاهرة ، فيأتمر بها سكان سواحل المحيط الأطلنطي .  
ويظهر أن المناطق الجنوبية من إفريقية التي كانت يسكنها البربر لم تدخل  
تحت نفوذه ، لأنه تقدم أنه لما مر بطرابلس وكان معه جماعة من البربر فروا  
إلى إخوانهم بجبل نفوسة . وهذا يدل على أن جبل نفوسة لم يكن تحت نفوذه ،  
وقد تقدم أنه كان تابعاً لتيهت عاصمة إمامة الإباضية ، ويظهر أنها هي أيضاً  
لم تكن تحت نفوذ المعز .

وبقي المعز في مصر سنتين ونصفاً . وتوفي بالقاهرة في السابع عشر من  
ربيع الأول سنة ٣٦٥ . ودامت ولايته بإفريقية ومصر ثلاثاً وعشرين سنة  
وخمسة أشهر .

ودامت دولة الفاطميين ٢٦٠ سنة ، منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب ومائتان  
وثمان سنوات بمصر . وعدد خلفائها أربعة عشر خليفة ، أولهم عبيد الله المهدي ،  
وآخرهم العاضد الذي توفي بمصر يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ ، وبموته انقرضت  
دولة الفاطميين من المشرق والمغرب . والملك لله وحده . يؤتى الملك من يشاء  
ويتزع الملك ممن يشاء .

### الدولة الصنهاجية

نسبة إلى صنهاجة ، وهي قبيلة بربرية من قبائل البربر ذات الشهرة والمكانة  
الكبيرة في إفريقية ، وكانت تناصر العلويين ، ولذلك كانت محل ثقة المعز  
لدين الله . . . وكان بيت آل زيري من بيوتاتها المشهورة لذلك اختصه المعز  
بثقته ، وجعل رجالاته خلفاءه على إفريقية من بعده .

(١) لما بنى جوهر القاهرة كان معه طوائف كثيرة من البربر . وكانت طائفة منهم تسمى  
زويلة ، فسكنت بقرب هذا الباب فسمى باسمها وما زال معروفها إلى الآن . ويسميه العامة هواية المتولي  
غلطاً . وبحواره حارة تسمى حارة زويلة .



والدولة الصنهاجية ، وإن كانت تمثل الدولة العبيدية في إفريقيا ، ولكنها هي ذات النفوذ الفعلي والسلطان المباشر في إفريقيا . . . وقد حكمت إفريقية ١٨٢ سنة ، من سنة ٣٦١ إلى سنة ٥٤٣ ، وتولاها ثمانية أمراء من آل مناد ، أولهم بلكين بن زيري ، وآخرهم الحسن بن علي .  
وفي سنة ٤٠٦ انقسمت الدولة الصنهاجية إلى قسمين : شرقية ، وعاصمتها القيروان ، وغربية وعاصمتها قلعة بني حماد (١) .

### بلكين (٢) بن زيري (٣)

كنيته أبو الفتوح ، ولقبه سيف الدولة ، وسماه المعز لدين الله يوسف ، وهو أول أمير في الدولة الصنهاجية . وحينما سافر المعز إلى مصر استخلفه على

(١) قلعة بني حماد تقع في جبل كتامة . وهي مشهورة في إفريقية ، ولها تاريخ مجيد ، ما تعاقب عليها من الملوك وعظماء الرجال ، وبما كان لها من الشأن الرفيع في حروب إفريقية عامة ، وحروب العرب والبربر خاصة . أسسها حماد بن بلكين بن زيري سنة ٣٩٨ . وكانت تسكن حولها في جبل كتامة قبائل عياض من بني هلال . وقد شيد حماد بنيانها ، وأحكم أسوارها ، وأكثر فيها المساجد والفنادق وكل شيء يوفر للناس أسباب الراحة . وقد اتجهت إليها أنظار طلاب العلم والتجار ، وأصحاب الحرف والصنائع فأخذوا يهاجرون إليها أفواجا . وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة . وقرى حماد : ١٩٧ : ٤ وحماد هذا عم باديس . وكان باديس أرسله لمحاربة زفانة ، وكانت خالفت عليه سنة ٣٨٨ وجعل له ملك جميع ما يفتحه ، فانتصر عليها ، وبني القلعة ، وجعلها قاعدة ملكه . وانقسمت دولة صنهاجة إلى دولتين : شرقية وقاعدتها القيروان . وغربية وقاعدتها القلعة .

(٢) كتبه بعض المؤرخين بالجم ، وبعضهم بالقاف ، وهذا يرجح القول بأنه بالكاف المعطشة التي تخرج بين القاف والكاف . وضبطه صاحب خلاصة تاريخ تونس بضم الباء واللام وتشديد الكاف . وبلكين مكانة ممتازة لدى المعز لدين الله لما ناله على يديه من نصر على خصومه . وذلك أن محمد بن الحسن بن خزر المغراوي كان مخالفاً على المعز في المغرب الأوسط . وكان جباراً طاغية ، فخافه المعز على إفريقية ، فأرسل إليه بلكين في جيش كبير ، فانهزم محمد بن الحسن . وقد كبر عليه أن يهزم ، فتحامل على سيفه وقتل نفسه . وقتل اثنا عشر من أمراء زفانة ، وأسر منهم كثير ، وكان ذلك سنة ٣٦٠ ، فسر المعز بذلك وعظم بلكين في نظره ، فاستخلفه عنه في إفريقية . وأتاب عنه في طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي ولم يجعل لبلكين ولاية عليه ولا على صاحب صقلية

(٣) ذكر في الأنيس المطرب لابن أبي زرع أن زيري بن عطية أرسل هدية إلى المنصور ابن أبي عامر ، وكان فيها عدة أحمال من قسي الزارة . والزارة قرية بطرابلس تصنع فيها القسي الجيدة . . . وكان هذا حوالي سنة ٣٧٧ . وهي المعروفة عندنا بعين زارة .

إفريقية والمغرب في شوال سنة ٣٦١ . وقد فصل عنه طرابلس وسرت وبرقة كما تقدم . ولما مات المعز لدين الله ، وتولى بعده العزيز بالله نزار أرسل إليه يوسف بلكين سنة ٣٦٧ هدية وطلب منه أن يضيف إليه هذه المقاطعات الثلاث ، فجدد له العهد بالإمارة على إفريقية وأضافها إليه ، فرحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامي الذي كان مولىً عليها من قبل المعز لدين الله ، وبعث يوسف بلكين إليها عماله .

### عوصلة بن بكار

ولاه بلكين عاملاً على طرابلس بدلاً من عبد الله بن يخلف . وعوصلة هذا أحد موالى بلكين وجاء به من مدينة بونة .  
وتوفي بلكين بن زيري<sup>(١)</sup> يوم ٢٣ من ذى الحجة سنة ٣٧٣ . ومدته حكمه اثنتا عشرة سنة .

### المنصور بن بلكين

كنيته أبو الفتوح ، ولقبه عدّة العزيز بالله . تولى الإمارة بعد وفاة والده بلكين ، وأقر عوصلة عاملاً على طرابلس . . . . وكان المنصور جواداً حازماً ، عادلاً . . . . وفي أيامه أرسل أخاه يطوفت إلى القيروان فاحتلها . وفي سنة ٣٨١ نحتن ولده باديس فأرسل إليه عوصلة عامله على طرابلس —هدية فيها مائة حمل من المال . . . . وكانت زويلة السودان تابعة له ، وعامله عليها ابن الخطاب ، فأرسل إليه هدية بهذه المناسبة ومن ضمنها زرافة وبعض مصنوعات السودان . . . . ودامت إمارته نحو ١٣ سنة وتوفي يوم الخميس الثالث من ربيع الأول سنة ٣٨٦ .

(١) وقعت حروب كثيرة بين زناتة وصهاجة . وفي رمضان سنة ٣٦٠ وقعت بينهم حروب شديدة عقر فيها فرس زيري فكبا به ووقع بين الصفيين ، واحتدمت عليه الخيل من الفريقين : فريق يريد قتله وفريق يريد إنقاذه . وقتل في هذه المعركة .

## باديس بن المنصور

تولى إمارة إفريقية بعد وفاة أبيه المنصور سنة ٣٨٦ . وأقر ولاية عوصلة على طرابلس . وطلب عوصلة من الحاكم بأمر الله المنصور خليفة مصر أن يعفيه من عمله بطرابلس ، ويأذن له في الالتحاق به في مصر ، فأعفاه من الوظيفة . وأذن له في القدوم إلى مصر فلتحق به .

### يانس الصقلي<sup>(١)</sup>

تقدم أن المعز لدين الله لما سافر إلى مصر استخلف عنه بلكين بن زيري ، وجعل إمارة إفريقية في بيت آل زيري على أنهم خلفاء للدولة الفاطمية في إفريقية . واستمروا تابعين للدولة الفاطمية بمصر إلى أيام المعز بن باديس كما سيأتي . إذاً فأمرآ آل زيري ليسوا مستقلين بإفريقية ، وإنما هم تابعون للفاطميين في مصر ، والكلمة العليا في أمور إفريقية ترجع إلى الخليفة في مصر . وعلى هذا الأساس اعتبر يانس نفسه معيناً في طرابلس من قبل خليفة مصر ، وليس لأمير إفريقية المعارضة في هذا التعيين ، وإن كان يعتبر نفسه تابعاً له في الإدارة . كما يعين الملك موظفاً ، فليس للوزارة المعارضة في هذا التعيين وإن كان تابعاً لها في الإدارة .

وقبل أن يسافر عوصلة إلى مصر عين الحاكم بأمر الله خليفة مصر يانسا الصقلي عاملاً على طرابلس ، ولم يأخذ رأى باديس في هذا التعيين ، ووجرت

(١) قال في الخطط التوفيقية :

هو أبو الحسن يانس الصقلي ، كان خادماً خصياً من خدام العزيز بالله الفاطمي ، وكان قد خلفه على القاهرة ، فلما مات العزيز أقره ابنه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور وخلع عليه ، وحمله على فرسين ، وكان له أتباع يقال لهم اليانسية نسبة إليه ، وبهم سميت عاصمة اليانسية بمصر بالدرب الأحمر قبالة جامع أبي حريبة من الجهة الغربية .

ولما كان المحرم سنة ٣٨٨ سافر لولاية برقة بعد ما خلع عليه وأعطى خمسة آلاف درهم ، رعدة من الخيل والثياب .

الأمر بدون علمه . ولم يشعر باديس حتى قدم يانس من مصر سنة ٣٩٠ ، وسلم له عوصلة طرابلس وسافر إلى مصر ، وأخذ معه ماله ، وأهله ، وولده . . وكان عوصلة كثير الولد والسراري ، يقال إنه كان له قرابة ستين ولداً بين ذكر وأنثى ، وله من السراري ما يربى على الثلاثين . . ووصل إلى مصر فأكرم الحاكم وفادته ، وقلده ولاية دمشق وأعمالها وما بها<sup>(١)</sup> . . واستولى يانس على كل ما تركه عوصلة بطرابلس ودام عوصلة في الحكم تسعة وعشرين سنة .

ولما بلغ باديس خبر قدوم يانس طلب إليه أن يطلعه على عهد الحاكم له بولاية طرابلس ، فامتنع يانس لاعتماده على مكانته من الحاكم بأمر الله . . فأرسل إليه باديس جعفر بن حبيب لقتاله سنة ٣٨٩ . . وجمع جعفر الجيش اللازم وسار لقتال يانس بطرابلس ، إلا أنه تلبث بقرية أجاس بقرب قابس نحو ثلاثة أشهر ، وأخذ يكتب يانسا أملاً في رجوعه ، ولما يئس من الاتفاق معه خيره بين ثلاث : إما أن يرسل سبيله - العهد الذي كتبه له الحاكم . . ، وإما أن يقدم إلى باديس للمفاوضة معه فيما جاء من أجله ، وإما أن يناجزه الحرب . فرد عليه يانس : أما القدوم على باديس فلا سبيل إليه ، وأما السبيل فأنا أكبر من ذلك ، إذ كنت خليفة أمير المؤمنين على ما هو أعظم من طرابلس ، وأما الثالثة فأنا أوفيك إلى موضعك وأقاتلك به . . وبعد هذا الجواب من يانس لم يبق لدى جعفر أمل في الاتفاق معه ، فزحف إليه واتفقوا بزنزور ، فنزل جعفر

(١) جاء في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٧ حكاية عن عهد بربري اسمه تموصلت تشبه حكاية عوصلة في معناها وتاريخها . ولعل عوصلة هو تموصلت ، وهذا نصها :

تمصولت الأسود ، أو طزملت ، القائد البربري . كان عبداً لابن وقرى والي القيروان ، فولاه طرابلس الغرب ، فجار على أهلها ، وظلمهم وأخذ أموالهم ، فحصل له منهم مال عظيم ، فلما انتهى خبر ظلمه إلى مولاه طلبه واتمس إشخاصه إلى القيروان لكشف الأمر ، فخافه وانهمز إشفاقاً على نفسه وماله ووصل إلى مصر ، وحمل بعض ما كان معه إلى الحاكم فتمكنت حاله عنده وتاثلت منزلته منه وولاه دمشق فأقام والياً عليها .

وفي ربيع الآخر من سنة ٣٩٣ أمر تمصولت الأسود بمغربي فضرب وطيف به على حماره ، وذودى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ، ثم أمر به فضربت عنقه رحمه الله تعالى .

غربيها ، ونزل يانس شرقيها ، ثم التقى الجيشان وكانت الهزيمة على يانس ، فقتل أكثر جنده ، وأخذ هو أسيراً ، فطلب من أمريه أن يأخذه إلى جعفر فأبوا ، وقتلوه وأخذوا رأسه إلى جعفر ، وبلغ المهزومون من جيش يانس إلى طرابلس .

### فتوح بن علي

اجتمعت بقايا فلول جيش يانس بمدينة طرابلس وقدموا عليهم فتوح بن علي ، وهو من أنصار يانس ، وتقدم جعفر بجيشه إلى المدينة وحاصرها فلم ينل منها شيئاً . وفي أثناء حصارها لها وصله كتاب يوسف بن عمار عامل قابس يخبره أن فلفل بن سعيد وصل إلى قابس وأنه يريد طرابلس لمحاربتة ، فارتحل جعفر عن المدينة إلى ناحية الجبل خوفاً من أن يأتيه فلفل من الخلف ، وأصبحوا مهددين بالهجوم من فلفل من الناحية الغربية ومن فتوح من المدينة من الناحية الشمالية . وقد ضاقت به وبأصحابه الحال ، فاعتزموا الرحيل إلى قابس ، وأن يقاتلوا كل من يعترضهم منهم . كانت النتيجة . ولما سمع فلفل تنحى عن طريقهم ووصلوا إلى قابس .

يذكر المؤرخون أنه كانت حروب كثيرة بين صنهاجة وزناتة ، وهما من قبائل البربر المشهورة بالقوة والسلطان . وقد ازدادت هذه الحروب بعد أن رحل المعز لدين الله إلى مصر ، واختار لإمارة إفريقية آل زيري الصنهاجيين . ولم يقع هذا الاختيار من بني خزرون الزناتيين موقع الرضا ، وتحملوه على مضض إلى أن تحين الفرصة للثورة . وفي أيام باديس كان الصدام بينه وبين الخزرونيين على أشده ، وكان الخزرونيون في جهات قابس ، وكان قائدهم فلفل بن سعيد ابن خزرون .

وسعيد بن خزرون هذا كان من ملوك مغراوة البرابر ، ومن مشاهيرهم وكانت له صلة قوية بالمنصور بن بلكين وكان أميراً على طنبنة . ولما

توفي سعيد بن خزرون سنة ٣٨٢<sup>(١)</sup> كفته المنصور في سبعين ثوباً . وفي هذه السنة قدم ابنه فلفل على المنصور في مدينة المنصورية بعد وفاة أبيه ، فزوجه ابنته ، وزفها إليه مزودة بثلاثين حملاً من المال ، وأهدى إليه خيلاً مسرجة بسروج محلاة بالذهب ، وبنوداً مذهبة ، وجعله أميراً على مدينة طبنة بدل أبيه ، ومع هذه الصداقة وهذه المصاهرة فقد كانت له مع باديس حروب كثيرة .

### بنو خزرون

أسرة بربرية نسبها في زناتة ، وقد حكموا طرابلس حوالي ١٥٠ سنة . وأول حاكم منهم عليها هو فلفل بن سعيد تولاهما سنة ٣٩١ . وآخر حاكم منهم عليها محمد بن خزرون وطرد منها سنة ٥٤٠ . وقد صفا لهم الجوبعد أن سافر المعز لدين الله إلى مصر ، فاستقلوا بطرابلس ، وتغلبوا على ما كان بينهم وبين العبيديين من صعوبات .

### فلفل بن سعيد

تعتبر إمارة فلفل بن سعيد على طرابلس عهداً جديداً فيه شيء من الاستقلال بالرأى وعدم التبعية للغير . وقد حملته عداوته للصنهاجيين على أن يستقل بطرابلس وينفرد بها عنهم ما أمكنته الفرصة .

قال التيجاني في رحلته : « وبعد أن انتقل العبيديون إلى مصر استولى بنو خزرون الزناتيون على طرابلس ، وكان بينهم وبين الصنهاجيين وقائع كثيرة وبقيت بأيدي الزناتيين إلى سنة ٥٤٠ » .

وفي أيام بني خزرون تمتعت المدينة بشيء من الأمن والطمأنينة . أما الدواخل فكانت في اضطراب دائم نتيجة لإغارات العرب المتكررة .

(١) يقال إن سعيد بن خزرون قتل في حروبه مع زغبة ورياح من بني هلال ، وهذا بعيد ، لأن بني هلال لم يدخلوا إفريقيا إلا سنة ٤٤٢ وبعد وفاة المنصور بنحو ٥٦ سنة .

تقدم أن جعفر بن حبيب أرسله باديس لحصار طرابلس وطرده فتوح ابن علي منها، وقد ارتحل جعفر عنها هارباً حينما علم بأن فلفل بن سعيد وصل إلى قابس يريد محاربتة... وأسرع فلفل بالقدوم إليها، ونزل له فتوح عنها فدخلها في رجب سنة ٣٩١. ووقعت حروب بين فلفل وبين باديس دامت نحو سنتين، ومالك فلفل طرابلس واستبد بها عن باديس. وأراد فلفل أن تكون طرابلس تابعة للحاكم بأمر الله بمصر، فأرسل إليه بطاعته سنة ٣٩١ فقبل الحاكم طاعته ولكنه لم يعينه حاكماً على طرابلس، بل أرسل يحيى بن حمدون الأندلسي وعقد له على طرابلس وقابس، ووصل يحيى إلى طرابلس في التاسع من ربيع الأول سنة ٣٩٢ فقابله فلفل بالطاعة، وارتحل معه هو وفتوح إن قابس لحصارها وطرده جعفر بن حبيب منها. ولكن جعفرأ تحصن بالمدينة فلم يمكنهم اقتحامها عليه فرجعوا إلى طرابلس، وأقام يحيى بن علي مع فلفل في طرابلس إلى سنة ٣٩٣. وقد وجد من فلفل إعراضاً عنه واستبداداً بالأمر دونه، مع أن يحيى هو المعين من قبل الحاكم بأمر الله والياً على طرابلس وقابس. وقد استاء يحيى من مقابلة فلفل، فرجع إلى مصر في هذه السنة بعد أن أخذ منه فلفل كثيراً من خيله ونخيل أصحابه.

وقد وجد الحاكم في نفسه على فلفل بسبب معاملته السيئة ليحيى فقطع عنه المدد، واشتد غضبه عليه.

واستقل فلفل بطرابلس؛ واستحكمت العداوة بينه وبين باديس وأصبح مقطوع الصلة من خليفة الفاطميين بمصر، ومن خليفتهم بإفريقية، فأرسل بطاعته إلى المهدي محمد بن هشام حاكم قرطبة يستنجده ويعده بالطاعة وضرب الدنانير باسمه. وقد مات فلفل سنة ٤٠٠<sup>(١)</sup> قبل أن ترجع رسله من قرطبة.

## ثورة الوليد بن هشام في برقة

وفي سنة ٣٩٥ كان رجل في برقة ادعى أن اسمه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل لأنه من بني أمية من ولد المغيرة ، وأنه هرب من المنصور ابن أبي عامر ، وكان يحمل الماء لوضوئه في ركوة على طريقة الصوفية فقبل له أبو ركوة . وذهب إلى الشام ومكة واليمن ، وعاد إلى جهات مصر ، ونزل على بني قرة من بني هلال ، بنواحي برقة ، وأقام فيهم يصلي بهم ويعلم الصبيان القرآن . وانتهز فرصة صلته بالناس من طريق هذه المهنة ، فأخذ يشيع في الناس أن عنده أدلة على أنه سيملك مصر ويهلك الجبابرة ، وما زال بالناس حتى استألم إلى دعوته ، وأعلن الثورة ضد الحاكم بأمر الله في مصر ، لأن الحاكم كان قد أسرف في قتل الناس من جميع الطبقات ، وقتل جماعة من بني قرة وأحرقهم بالنار ، وقد وجدت دعوته منهم آذاناً صاغية . . ويقول ابن خلدون : إنه كان بين بني قرة وبين لواتة ومزاتة ، وزناتة - جيرانهم من البربر - دماء وثارات قديمة ، فوضعوها واصطلحوا على يد أبي ركوة ، والتفوا حوله ، وبايعوه . وكانت برقة أيام أبي ركوة خاضعة لنفوذ الحاكم بأمر إليه بمصر . وله فيها عامل اسمه أنيال الطويل يمثله ويحكم باسمه ، فعرفه بأعمال أبي ركوة فلم يهتم لها . وفي رجب سنة ٣٩٥ ثار أبو ركوة ببرقة وحاصرها وقتل عاملها من قبل الحاكم بأمر الله بمصر<sup>(١)</sup> . وغنم سلاحاً وأمواً كثيرة . .

وتنبه الحاكم لخطره فأرسل إليه سنة ٣٩٦ بجيشاً من خمسة آلاف فارس بقيادة أبي الفتوح الفضل بن صالح ، فبلغ هذا الجيش ذات الحمام<sup>(٢)</sup> ، وكانت بينها وبين برقة مفازة معطشة ، فأمر أبو ركوة أتباعه بتغوير المياه على قلتها ،

(١) قال ابن خلدون قتله برمادة ببرقة .

(٢) هي المعروفة الآن بالحمام أو حمام مريوط .



ففعّلوا وأخذ أبو ركوّة يستعد للقائهم على حدود برقة . . ووصل الفضل بن صالح حدود برقة في حالة عطش وإعياء من طول السفر ، فقاتلهم أبو ركوّة ونال منهم . وانضمت إليه جماعات من كتامة هرباً من ظلم الحاكم ، فقبلهم أبو ركوّة وأمنهم ، وانهمت عساكر الحاكم ، وقتل منهم خلق كثير ، ورجع أبو ركوّة ظافراً .

وقد اغتر أبو ركوّة بهذا النصر في برقة ، فأخذ يفكر في الهجوم على مصر ليحقق لأتباعه ما كان يعدّهم به ، فردّد سراياه على الصعيد وأرض مصر ، وكثر أنصاره وقويت شوكته .

وفي سنة ٣٩٧ شرع الحاكم يدبر الخيل لأخذه ، فأشار على قواده بمكاتبته وإظهار ميلهم إليه ، فكاتبوا أبا ركوّة بأنهم على رأيه وأنهم مستعدون للثورة معه ، فانطلت عليه الخيلة ، وزحف بجيوشه على مصر ، على اعتبار أن قواد الحاكم بأمر الله سينضمون إليه ، ولكنهم ما لبثوا أن هاجموا بجيوش جرارة ونخله ماضي بن مقرب من شيوخ بني قرّة ، فهزم هزيمة منكرة ، ولم يتمكن من الرجوع إلى برقة فهرب إلى بلاد النوبة ، وطورد حتى قبض عليه وسلم إلى الفضل بن صالح فأنزله في خيمة ، ثم جرىء به إلى مصر ، وطيف به في شوارعها على جمل لابساً طرطوراً، ونخلفه قرد يصفعه تشهيراً به، ثم قتل في منتصف شوال سنة ٣٩٧ وصلب.

### ورو بن سعيد<sup>(١)</sup>

هو أخو فلفل . ولما مات فلفل اجتمعت زناتة وولوا ورو مكانه والياً على طرابلس . . . وهاجم باديس طرابلس ، فلم يمكن ورو الدفاع عنها وفر كثير من جندها إلى باديس ، فاضطر ورو إلى التسليم فسلم هو ومن كان معه من زناتة ، وطلبوا الأمان من باديس فأمنهم ، وأحسن إليهم ، وشرط عليهم ألا

(١) ضبط في الجزء الثالث من البيان المغرب : ورو وراء مضموتين ، والراء مشددة ، وبعد الراء واو بدون ألف بعدها . ورسم في تاريخ ابن الأثير ورو وراء مشددة وواو بدون ألف .

يقيموا في طرابلس ، وأقطعهم نفاوة وقسنطينة فانتقلوا إليهما ودخل باديس طرابلس ، ونزل قصر فلفل (١) .

ولم تؤثر الأحداث التي حصلت بين فلفل وورو وبين باديس على علاقة باديس بالحاكم بأمر الله ، فما كاد يتم الغلب لباديس على ورو حتى أرسل إليه الحاكم هدايا كثيرة ، ومرسوماً بإضافة برقة إلى عمله تقديراً لإخلاصه ، ولما أبداه من ثبات في دفاع الخزرانيين ، فوصلته الهدايا سنة ٤٠٣ وعين عاملاً من قبله على برقة .

### محمد بن حسن

وعين باديس محمد بن حسن عاملاً على طرابلس بعد أن استسلم ورو وذهب إلى قسنطينة . ولكن ورو لم يف بعهدده لباديس ، فلم يلبث أن جمع حوله من زناتة وغيرهم وهجم على طرابلس فتصدى لهم محمد بن حسن ، ودافع دون المدينة ، وانجلى الحرب عن هزيمة ورو وأتباعه بعد أن قتل كثير منهم . . ثم جمع شمله وأغار على طرابلس مرة ثانية ، وحاصرها . . وكان خزررون أخو ورو في طاعة باديس فأرسل إليه باديس هو وبعض أمراء زناتة بجهة الجريد أن يخرجوا لحرب ورو ، فخرجوا إليه وحاربوه « بعبرة » موضع بين قابس وطرابلس . ولم يلبث خزررون أن اتفق مع أخيه ورو سرّاً ، وقد أدرك باديس هذا الاتفاق ، فلم يجد خزررون بدءاً من الجهر بأمره ، وانضمت إليه زناتة ، والتحقوا جميعاً بورو سنة ٤٠٤ ، وكان قد وضع رهائن عند باديس . ولما تحقق باديس من خيانة ورو قتل من كان عنده من رهائن زناتة .

وتجمعت زناتة وضيق الحصار على طرابلس ، ووقف محمد بن الحسن دونها يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة .

(١) هذا القصر ما زالت بقاياها في مدينة طرابلس ، وقد طغى عليه البحر ، وتسمى هذه الجهة « فلفل » وصاحب القصر فلفل ، لا فلفل .

وفي سنة ٤٠٥ أرسل وُرّو بطاعته إلى باديس ، وهذا يدل على أن محمد ابن حسن انتصر عليه ولم يتمكن من دخول طرابلس . ومات وُرّو في شوال سنة ٤٠٦ .

وبعد موت وُرّو تنازع السلطة بعده ابنه خليفة وأخوه خزرون وانقسمت زئامة بينهما ، وانضم أكثرها إلى ابنه خليفة ، فحارب عمه خزرون حتى غلبه ، وبعث بطاعته إلى باديس على أن يحافظ على الأمن ويحفظ عهده بطرابلس فقبل ذلك . . . أما خزرون فبعد أن تغلب عليه ابن أخيه ذهب إلى مصر واستقر بها . ونشأ بها بنوه : خليفة ، وسعيد ، والمنتصر .

ويفهم من تعهد خليفة لباديس بالمحافظة على عهده بطرابلس أن باديس عين خليفة عاملاً عليها حينما شرط على نفسه أن يحافظ على عهده بها ، وبقي فيها إلى أن تولى المعز . . يدل على هذا ما سيأتى من أن خليفة جهز حملة بحرية من طرابلس ليهاجم بها فتوح بن القائد حينما علم أنه كاتب المعز ليدخل تحت طاعته . وقد اعتبر المعز هذا العمل من خليفة خيانة ، ونقضاً للعهد الذي أعطاه لوالده ، فجهز جيشاً لغزو طرابلس وقاده بنفسه .

وفي سنة ٤٠٥ أرسل باديس هدية إلى الحاكم بأمر الله في مصر ، ولما وصلت إلى المهديّة أرسلت في البحر مع يعلى بن فرج . وكان من ضمن الهدية مائة فرس بسروجها المذهبة ، وثمانية عشر حملاً من الخبز والمتاع النفيس المذهب وعشرون جارية ، وأشياء أخرى ثمينة . ولما وصلت الهدية ناحية برقة استولى عليها العرب ، وهرب يعلى بن فرج . وهؤلاء العرب من الهلاليين ، وكان شيخهم إذ ذاك مختار بن القاسم ، وقد استغاث بهم فلفل بن سعيد في طرابلس على يحيى بن علي فأغاثوه وهزموا يحيى ثم رجعوا إلى برقة . ولما استولوا على الهدية وهرب يعلى الذي أرسلت معه ثاروا على عامل برقة من قبل العبيديين وطردهوا واستولوا عليها . . . ولما زحف إخوانهم الهلاليون على إفريقية سنة ٤٤٢ زحفوا معهم ، وكان من شيوخهم ماضي بن مقرب .

ومما يلفت النظر ما تقدم آنفاً من أن فلفل بن سعيد استنجد بهؤلاء العرب ضد يحيى بن علي إلى آخر ما ذكر . ولم يذكر فيما تقدم أن حصلت حرب بين فلفل ويحيى بن علي ، وكل ما حصل هو أن يحيى بن علي استاء من معاملة فلفل له فرجع إلى الحاكم بأمر الله في مصر ، ولم نطلع على ما يفيد أنه وقعت بينهما حرب .

وكان باديس جواداً مقداماً يحب العفو عن المسيئين . . توفي بلسعة عقرب آخر ليلة من ذي القعدة سنة ٤٠٦ . ومدة حكمه عشرون سنة وأشهرًا ،

### عبد الله بن الحسن

لما آل الملك إلى المعز بن باديس كان محمد بن الحسن عاملاً على طرابلس من قبل والده باديس ، فخلعه وأتى بدله بأخيه عبد الله . . وقدم محمد بن الحسن على المعز ، وأقام معه في محل الرعاية والتقدير نحو سبع سنوات .

وفي سنة ٤٠٦ نقض خليفة بن ورو عهده مع الصنهاجيين الذي كان أعطاه لباديس ، وهاجم طرابلس وضيق عليها ، وطال حصاره لها ، وبذل عبد الله بن الحسن ما أمكن في الدفاع عنها ، وعجز خليفة عن إقتحامها عليه .

وفي سنة ٤١٤ تغير المعز على محمد بن الحسن - وكان وزيره وصاحب جيشه - لأمر أنكرها عليه ، منها أنه استأثر لنفسه ببعض الجبايات ، فقتله . وكان هذا العمل من المعز سبباً في ثورة عبد الله بن الحسن على باديس ، وانضمامه إلى الخزرونيين انتقاماً لأخيه ، وفتح مدينة طرابلس لخليفة بن ورو ودخلها

## خليفة بن ورو

اتحدت سياسة عبد الله بن الحسن وخليفة بن ورو ضد الصنهاجيين :  
الأول موتور بأخيه والثاني ثائر عليهم للأخذ بثأر الخزرونيين الذين قتلهم  
الصنهاجيون . واستعان خليفة بعبد الله على قتل الصنهاجيين الذين كانوا يحاربون  
مع عبد الله داخل المدينة قبل أن يثور عليهم فقتلهم قتلاً ذريعاً . . فاستغاث  
نساء المقتولين بالمعز ، فقبض على أولاد عبد الله بن الحسن وجماعة من أهله ،  
فحبسهم ثم قتلهم .

ولم ينس خليفة لعبد الله بن حسن حروبه معه وشدة دفاعه عن طرابلس ،  
فلم يلبث - بعد أن أوقع بالصنهاجيين في طرابلس - أن قبض عليه وقتله  
واستولى على قصره بما فيه من مال ومتاع ، حتى نسائه وبناته ، واتخذ قصره  
مقرّاً له (١) . ووصل خليفة سلسلة حكم بني خزرون في طرابلس بحلقها الأولى  
التي كانت انقطعت سنة ٤٠٣ باستسلام ورو لبادس وتعيين محمد بن الحسن  
على طرابلس .

ويود خليفة ألا يدخل في طاعة صنهاجة ، كما يود أن يحتفظ بطرابلس ،  
ولكنه واقع بين سلطة العبيديين في مصر وسلطة خلفائهم في إفريقية ، ولأجل  
أن يأمن شر هذين العدوين ، أو أحدهما على الأقل كاتب في سنة ٤١٧ الظاهر  
خليفة الفاطميين بمصر ، ووعده بالطاعة ، وأن يحفظ عهده على طرابلس .  
ثم أرسل أخاه حمادا إلى المعز بن باديس بهدايا من عنده فتقبلها ووصله باديس  
بهدايا مثلها . وبذلك أمن خليفة بن ورو بجانب خليفة الفاطميين بمصر بما وعده  
به ، وبجانب المعز في إفريقية بما أهداه له ، وتم لخليفة الأمر في طرابلس .

(١) قال صاحب المسألة الشرقية : إن خليفة بن ورو قتل عبد الله بن حسن واستولى على  
طرابلس وخاطب الخليفة الظاهر سنة ٤١٧ . وبقيت طرابلس بأيدي بني خزرون واستقلوا بها وأصبحوا  
ملوكها إلى أن قدم العرب الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على إفريقية .

## سعيد بن خزرون

تقدم أن خزرون بن سعيد لما تغلب عليه خليفة بن أخيه وروّو ذهب إلى مصر ، ونشأ بها أبناؤه سعيد وخليفة والمنتصر .

والآن يعود سعيد بن خزرون للأخذ بالثأر من ابن عمه خليفة بن وروّو . فقدم من مصر سنة ٤٣٣ ، ووصل إلى طرابلس وكان بها ابن عمه خليفة بن وروّو ، وأقام بضواحيها يؤلب عليه البربر ، والتفت حوله زناته وكثرت أنصاره وهاجم المدينة في جموع كثيرة من زناته وغيرها . ورأى خليفة بن وروّو ألا قبل له بهذه الجموع فتخلى عن المدينة وفرّ هارباً ، وتمكن سعيد من دخول المدينة وأصبح حاكماً عليها إلى أن قتل سنة ٤٤٦ .

## خزرون بن خليفة

خزرون هذا حفيد وروّو ، وبعد أن قتل والده خليفة لأسباب لم نطلع عليها صار والياً على طرابلس . ويقال إن رئيس الشورى الذي كان زمن والده هو الذي هيأ له الأمور حتى تمكن من الحكم .

وفي أيام خزرون هذا ثار الطرابلسيون على مذهب العبيدين الشيعة بزعامة الأستاذ أبي الحسن بن المنتصر ، ونبذوا تقاليدهم الخاطئة وبدعهم الممقوتة وخلص الطرابلسيون من زيغهم واعتنقوا مذهب الإمام مالك كبقية إفريقية . وبقى خزرون بن خليفة والياً عليها إلى سنة ٤٥٠ .

## المنتصر بن خزرون بن سعيد

المنتصر بن خزرون أحد أولاد خزرون الثلاثة الذين فرجهم والدهم إلى مصر وتربوا فيها . وقد جاء إلى إفريقية كما جاء أخوه سعيد من قبل . . . وفي ربيع الأول من سنة ٤٥٠ تقدم إلى طرابلس في جموع كثيرة لينتزعها من خزرون

ابن خليفة ، ففر خزرون بن خليفة وترك طرابلس ، فاحتلها المنتصر بن خزرون .  
تقدم أن خزرون بن سعيد كان يناصر الصنهاجيين . وكان أخوه ورو  
ابن سعيد ثائراً ضدهم . ولما ثار أبو الحسن على مذهب الشيعة في طرابلس كان  
يحتمي بسلطة خزرون بن خليفة وهو حفيد ورو . ولما تولى المنتصر الأمر في  
طرابلس — وهو من ذرية خزرون — انتقم من الأستاذ أبي الحسن ، ونفاه إلى  
غنيمة (١) . ونكل بكثير من أنصاره .

ولما تغلبت العرب على إفريقية أيام تميم بن المعز قوى نفوذ المنتصر في  
جهات طرابلس ، ولم يرع عهده للصنهاجيين ، فجمع حوله بني عدى من  
بني هلال وذهب إلى قلعة بني حماد لغزو بقايا الصنهاجيين هناك ، وأصبح  
لا يخاف نفوذهم في ناحية القيروان وتونس لأن نفوذ تميم انحصر في المهديّة .  
وتقدم المنتصر إلى أن دخل أشير ، فخرج إليه الناصر من آل حماد وطرده  
حتى دخل الصحراء ، ولما رجع الناصر عاد المنتصر إلى غزو أراضي بني حماد .  
وقد احتال عليه الناصر وأوعز بقتله إلى عروس بن هندی — وهو من أنصاره —  
فقتله غيلة سنة ٤٦٠ .

### خليفة بن خزرون

هو أخو المنتصر أحد الثلاثة الذين تربوا في مصر . ولما قتل أخوه المنتصر  
تولى بعده على طرابلس ، وبقي والياً عليها إلى سنة ٤٨٨ ، وقد ساءت سيرته ،  
واستبد بالناس حتى ستموا حكمه ، وصاروا يتربصون به .

### شاه ملك

رجل تركي ابن أحد أمراء الأتراك ببلاد الشرق ، نزل به ضيم في بلده  
اقتضى خروجه منه . فخرج في جماعة من أنصاره إلى مصر زمن الأفضل أمير  
الجيش فنزل ضيفاً عليه وأكرم وفادته ، وأقطع أرضاً وأعطاه أموالاً... ولكن هذا

(١) قرية من قرى مسلاتة .

التركي كفر النعمة وجحد المعروف ، وأتى أعمالاً أغضبت أمير الجيوش ، فغضب عليه وطرده هو وأتباعه ، فخرج شاه ملك في نحو مائة فارس ، وأمكهم أن يتحصلوا على سلاح وتوجهوا إلى إفريقية . ولما وصلوا طرابلس تسقطوا أخبارها ، فعلموا أن السكان مستاءون من حاكمهم ويتمنون زواله . . . وقد أمكن شاه ملك أن يتصل ببعض الأهالي واتفق معهم على مهاجمة المدينة ، ووعدوه بفتح أبوابها . وقد تم ذلك ، ولم يجد شاه ملك عناء في التغلب على المدينة ، فدخلها وفر خليفة ابن خزرون<sup>(١)</sup> .

وقد اتصلت أخبار شاه ملك بتميم بن المعز المهديّة — وكان أمير إفريقية إذ ذاك — فأرسل جيشاً إلى طرابلس وحاصرها ، وضيق عايتها حتى اضطر أهلها إلى فتح الأبواب ، واستسلم شاه ملك ومن معه وأخذ أسيراً إلى المهديّة .

وقد احتال شاه ملك في تحسين سياسته مع تميم حتى أصبح منه في محل الرضا ، ولكن ما لبث أن عاوده نكران الجميل فأتى أفعالا غيرت تيمماً عليه ، فحذر تميم ابنه يحيى من الانقياد إلى آرائه ، فأخذ شاه ملك في التحايل على يحيى حتى أصبح من أصدقائه . واتفق أن يخرج يحيى إلى الصيد في جماعة من أصدقائه ومعهم شاه ملك فلما أبعدوا حرض أصحاب يحيى عليه ، فقبض عليه وذهب به إلى صفاقس . وبلغ الخبر تيمماً فأرسل في أثرهم جيشاً فلم يدركهم . . . وخرج حمو حاكم صفاقس لملاقاة يحيى ، وسار في ركابه ، وأظهر له ما يليق به من الخضوع والاحترام وكان بين تحمؤ وتميم منافرة ، ولكن هذا لم يمنعه من احترام يحيى وتكريمه .

وبقي يحيى أياماً عند تحمؤ لم يخاطبه أبوه بشيء . وكان أبوه قد جعله ولي عهد له ، ولكنه لما وقع في هذه المخالفة بتأثير من شاه ملك أقام أنحاء المثني ولي عهده .

ثم إن حمو صاحب صفاقس خاف يحيى على نفسه ، وأن يشور معه الناس والجنود فأرسل إلى تميم يطلب منه أبناء شاه ملك ومن معه من الأتراك ، ويرسل

(١) لم يذكر أحد أين ذهب .



إليه ابنه يحيى ، فتردد تميم أول الأمر ، ثم أرسل أبناء الأتراك إلى حمو : وأرسل حمو يحيى إلى تميم ، وبنى يحيى محجوباً عن والده مدة ، ثم عفا عنه وقربه . وجعله ولي عهده وجهز تميم بجيشاً إلى صفاقس بقيادة ابنه يحيى ، فحاصرها براً وبحراً ، وضيقوا على أهلها ، وأقاموا على حصارها شهرين ، ثم استولوا عليها وفر الأتراك إلى قابس .

ولم تطب نفس المثنى برضاء والده عن أخيه يحيى وإسناد ولاية العهد إليه بعد أن أسندت إليه هو في غياب أخيه يحيى ، فأراد أن يدس له عند والده فلم يقبل والده منه . وانتهى الأمر إلى أن تغير تميم عن المثنى وأمر بإخراجه من المهديّة هو وأصحابه ، فركب في البحر إلى صفاقس ، ففنه حمو من دخولها ، فذهب إلى قابس . وكانت تحت حكم مكى بن كامل الدثماني ولحق به شاه ملك وأصحابه الأتراك ، فأخذ المثنى يغرى كاملاً بغزو صفاقس والمهديّة ، وضمن له الإنفاق على الجيش من ماله ، وما زال به حتى وافق ، وجهزوا بجيشاً لغزو صفاقس ومعهم شاه ملك وأصحابه ونزلوا عليها . فأرسل إليهم تميم بجيشاً ، ولما علموا ألا قبل لهم به ساروا إلى المهديّة ، وكان يحيى هو الذى تولى الدفاع عنها ، وأظهر من حسن التدبير والشهامة ما نصره على أعدائه ، ورجع المثنى وشاه ملك خائبين ، ولم يبلغوا غرضاً . ونفذ ما عند المثنى من مال ، وأصبح يحيى سيد الموقف .

وإلى هنا انتهى ما عثرنا عليه من أخبار شاه ملك ، ذلك الأفاق التركي الذى كان يقابل الإحسان بالإساءة والمعروف بالمنكر ، إرضاء لما كان يجيش في نفسه من حب العظمة والسيطرة .

### المعز بن باديس (١)

لقبه شرف الدولة . ونودي به أميراً يوم السبت الثالث من ذى الحجة سنة ٤٠٦ بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام ، اشتغل فيها ذوو الرأي من رجالات الدولة بتهيئة الخواطر ، وتهيئة النفوس للموافقة على إمارته ، وعمره إذ ذاك ثمان سنوات وأربعة أشهر . وأخذت له البيعة في اليوم الثاني والعشرين منه .

وفي سنة ٤١٣ تزوج المعز بن باديس وعاش في نعيم وملك مقيم ، وكانت له ندوات علمية وأدبية ، منها : أنه كان يوماً جالساً في مجلسه وعنده جماعة من الأدباء ، وبين يديه أترجة ذات أصابع ، فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيئاً . فعمل أبو الحسن بن رشيق القيرواني الشاعر المشهور بيتين :

أترجة سبطة الأطراف ناعمة      تأتي العيون بحسن غير منحوس  
كأنما بسطت كفّاً لخالقها      تدعو بطول بقاء لابن باديس

وفي سنة ٤١٤ جهز خليفة بن وروحة بحرية من طرابلس على فتوح بن القائد . . وذلك لما بلغه أن فتوحاً كاتب المعز بن باديس في الانضمام إليه فجهز له المعز جيوشاً كثيرة وركب بنفسه قاصداً إلى طرابلس . وفي أيامه قويت شوكة زناتة ووقعت بينه وبينهم حروب استمرت سنين كثيرة . وفي سنة ٤٢٨ هزمهم هزيمة منكرة .

ولما تولى المعز إفريقية كان أكثر الناس على مذهب الشيعة الذي يتمذهب به الفاطميون ولا يقدر أحد أن يجاهر بغيره من المذاهب الأخرى ، اللهم إلا الإباضية الذين كانوا بتيهت وجبل نفوسة وغيرهما من الجهات البعيدة عن نفوذ الفاطميين . فقد بقوا على مذهب عبد الله بن إياض .

( ١ ) نعود إلى الكلام على آل زيري بعد أن استوفينا الكلام على آل خزرون الذين كانوا ينافسون آل زيري السيادة على طرابلس

وقد تولى تربية المعز بن باديس وزيره أبو الحسن الزَّجَّال، وكان عالماً فاضلاً يؤيد مذهب أهل السنة، إلا أنه كان يخفى أمره على الشيعة، فحرص على أن يُنشئ المعز على مذهب أهل السنة، ويحاول صرفه عن مذهب الشيعة ما أمكنه ذلك، ودأب على ذلك في السرِّ، وفقهه على مذهب مالك، وقد تم له ما أراد من غير أن يعلم الشيعة بشيء من ذلك.

وفي سنة ٤٣٥ وصلت أخبار إلى الفاطميين بمصر دلت على كراهة المعز لمذهبهم، فوجدوا عليه وقوى شكهم فيه أنه أصبح يخاطبهم بغير ما ألفوه من آبائه من ألقاب التعظيم والتفخيم، وقد اقتنع المعز بفساد مذهب الشيعة، واعتزم القضاء عليه في إفريقية ولكنه كان يتحين الفرص للتخلص منه... وكان يوجد في عسكر المعز كثير من الشيعة أنصار الفاطميين... قال صاحب البيان المغرب: «وكان المعز ذات يوم يسير في موكبه فكبا به بجواده فقال: أبو بكر وعمر، فسمعها الشيعة فتنادوا لقتله وحال بينهم وبينه أنصاره ومن كان يميل إلى مذهب أهل السنة ويكتم أمره، ووضعوا السيف في الشيعة حتى قتل منهم ما يزيد على ثلاثة آلاف، حتى سمي ذلك الموضع «بركة الدم»...»

ونقل ابن الأثير في أسباب قتل الشيعة ما هو معقول أكثر مما تقدم، فقال: «إن المعز بن باديس ركب ومشى في القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له، فاجتاز بجماعة، فسأل عنهم، فقيل له هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر، فقال: «رضي الله عن أبي بكر وعمر». فانصرفت العامة من فورها إلى درب المقل من القيروان، وهو مكان يجتمع فيه الشيعة فقتلوا منهم، وكان ذلك رغبة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب. وانبسطت أيدي العامة في الشيعة. وأغرامهم عامل القيروان وحرّضهم. وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد، فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله، فأراد إفسادها. فقتل من الشيعة خلق كثير، وأحرقوا بالنار، ونهبت ديارهم، وقتلوا في جميع إفريقية. واجتمع جماعة منهم في قصر المنصور قرب القيروان فتحصنوا به، فحصرهم العامة وضيقوا عليهم، فاشتد عليهم الجوع، فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم

ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع ، فقتلوا كلهم .  
 وكان الشيعة يسمونهم بالمغرب « المشاركة » نسبة إلى عبد الله الشيعي وكان  
 من المشرق . . . ما ذكره ابن الأثير . وانتشر خبر هذا الحادث بين الناس  
 فتناولوا الشيعة بالقتل في جميع أنحاء إفريقية .

ولمناسبة الثورة على الشيعة قال فيهم القاسم بن مروان الشاعر :  
 وسوف يُقتلون بكل أرضٍ كما قُتلوا بأرض القيروانِ  
 وقال شاعر آخر :

يا معز الدين عش في رفعةٍ وسرور واغتباط ووجدالٍ  
 أنت أرضيت النبي المصطفى وعتيقاً<sup>(١)</sup> في الملاعين السفّل  
 وجعلت القتل فيهم سنة بأقاصي الأرض في كل الدول

وقد بلغ من كراهة الناس لمذهب الشيعة العبيديين ، وبدعهم المنكرة أن  
 تركوا صلاة الجمعة وهجرت المساجد . . . وما زال المعز يعمل للقضاء على  
 مذهب الشيعة حتى كانت سنة ٤٤٠ هـ فأعلن انضمامه إلى الدولة العباسية ،  
 وخطب للقائم بأمر الله ، وقطع الخطبة للفاطميين بمصر ، ومزق أعلامهم  
 وأحرقها ، وأمر بسبك الدراهم والدنانير التي كانت عليها أسماءهم<sup>(٢)</sup> ، وضرب  
 سكة أخرى كتب على أحد وجهيها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وكتب  
 على الآخر : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من  
 الخاسرين » . وأمر بلعنهم على المنابر فلعنوا بأقبح أوصافهم ، وقضى على الشيعة  
 ومذهبهم ، وكان هذا مشجعاً للناس على اضطهادهم والفتك بهم كما قضى  
 على مذاهب الصفرية والإباضية<sup>(٣)</sup> والنكارية ، والمعتزلة . وحمل كل الناس على  
 مذهب الإمام مالك . وجاءته المراسيم والخلع من القائم بأمر الله العباسي ببغداد  
 مع أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي ، من بني هلال الذين كانوا مع القرامطة ،

(١) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه

(٢) ضربت الدنانير بأسمائهم سنة ٢٩٦ هـ ، وأبطلها المعز بن باديس سنة ٤٤١ هـ بعد أن تعامل  
 الناس بها ١٤٥ سنة .

(٣) بقى قليل منهم على مذهبه . . . ويظهر أنهم من سكان جبل نفوسة .

وانقطعت صلته بالعبديين في مصر . وكان مذهبهم قد انتشر في برقة وطرابلس  
وفي كل مكان شمله حكمهم .

وفي سنة ٤٤٣ أرسل الأمير جبارة بن مختار من برقة بطاعته إلى المعز بن  
باديس ، وأعلمه بأنه هو وأهل برقة قد نبذوا طاعة العبديين وأحرقوا أعلامهم  
ولعنوهم على المنابر ، ودعوا للقائم بأمر الله العباسي .

وأول من ثار على مذهب الشيعة في طرابلس ، ونبذ تقاليدهم الباطلة ،  
ودعوتهم المضللة هو العلامة الشيخ علي بن محمد المنتصر ، وكنيته أبو الحسن . . .  
ولما قتلت زغبة<sup>(١)</sup> سعيد بن خزرون سنة ٣٨٢<sup>(٢)</sup> فتح الأستاذ أبو الحسن  
لخزرون بن خليفة مدينة طرابلس فدخلها . ويدل سياق الكلام على أن خزرون  
ابن خليفة كان من أعداء العبديين الشيعة والثائرين عليهم ، ولعله ابن خليفة  
ابن ورو ، لأن ورو وأولاده كانوا ثائرين على باديس كما تقدم .  
ولد الأستاذ أبو الحسن سنة ٣٤٨ وتوفي بغنيمية سنة ٤٣٢ . . . وغنيمية بلد  
من بلاد مسلاتة .

وكانت أعمال المعز ضد الشيعة العبديين ونبذ عهدهم مما أوغر صدورهم  
عليه ، وحملهم على التفكير في الانتقام منه . . . ولم يجدوا حيلة للانتقام منه ،  
وإزالة ملكه من إفريقية إلا أن يسلطوا عليه العرب ، ويمدوهم ، بما يساعدهم  
على محاربتة ، وقد تم لهم ذلك في خبر يأتي ذكره قريباً .

(١) زغبة : بزاي مضمومة وحين معجمة وباء بعدها تاء مربوطة : قبيلة من بني هلال بن عامر ،  
تغلبوا على نواحي طرابلس وقابس .

أما زغب - بزاي مضمومة وحين معجمة - فهو زغب بن مالك أبو قبيلة من بني سليم ، انتقلت من  
الحجاز إلى إفريقية . وذكره في تاج العروس : زغب - بعين مهملة ، كجند - أبو قبيلة من بهثة من بني  
سليم .

(٢) هكذا يقول التجاني في رحلته ، وهذه الرواية وما فيها مما يتعلق بأبي الحسن منقولة عنه ،  
وقد حاولت جهدي تنسيقها وعدم تضاربها مع غيرها ، والعهددة عليه .

## دخول العرب إفريقية<sup>(١)</sup>

جاء في تاريخ أبي الفراء ج ٢ ص ١٧٠ في سنة ٤٤٢<sup>(٢)</sup> قطع المعز بن باديس في إفريقية الخطبة للعلويين . فأرسل له المستنصر العلوي من مصر في ذلك ، فأغلظ بن باديس في الجواب . فاتفق المستنصر مع وزيره الحسن ابن علي اليازوري<sup>(٣)</sup> على أن يرسلوا زغبة ورياح إلى ابن باديس في إفريقية وزغبة ورياح قبيلتان من العرب ، وكانت بينهما حرب ، فأصلح المستنصر بينهما وجهزهم بالأموال وأرسلهم لقتال ابن باديس في إفريقية . وذكر غير أبي الفداء أن الوزير اسمه أبو القاسم الجرجرائي . وما أثبتناه أصح . وليس أحد ينكر شأن العرب في إفريقية ، وأدوارهم الخطيرة فيها . وقد عرف العرب في إفريقية منذ أن دخلوها فاتحين سنة ٢١ ، ٢٢ ، وتكرر ترددهم عليها وفتوحاتهم لها في أزمان مختلفة ذكرنا تواريخها في مواضعها . ومنذئذ صاروا يتكاثرون فيها شيئاً فشيئاً . . . ونقصد الآن الكلام على أخطر أدوارهم فيها ، وهو دخولهم لها سنة ٤٤٢<sup>(٤)</sup> ، حينما دخلوها في تلك الجموع الهائلة بإغراء من المستنصر بالله الفاطمي حاكم مصر للانتقام من المعز بن باديس لما رفض طاعتهم ، ونبذ مذهبهم وانضم إلى الخلافة العباسية في بغداد ، بعد أن كان أبائهم خلفاء لهم في إفريقية يجربون لهم أموالها ، ويخطبون لهم على منابرهم . كانت قبائل من العرب كثيرة تسكن على ضفاف النيل بصعيد مصر ، وكانت أبعدت عن مواطنها الأصلية بجزيرة العرب ، وكانوا ممنوعين من الانتقال

(١) كانت هذه القبائل لها السيادة في العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام . ولما استبد الموالى من العجم بالدولة العباسية اعتصموا بصحراء نجد ، ثم انضموا إلى القراءطة أيام دولتهم بالشام . ولما استولى الفاطميون على دولة القراءطة جاءوا بهذه القبائل إلى صعيد مصر ، ومنعوا من الانتقال إلا بإذن منهم . ولما انتقلوا إلى إفريقية كانت الكموب من بني سليم من أبرز القبائل في الرياسة . ولما ظهر في إفريقية أولاد غانية وقراتش ناصرهم في الثورة على الحفصيين . وكان بينهم وبين الدولة الحفصية خروب دامت سنين فالوا منها ونالت منهم ، وأقطعت لهم أراضي كثيرة ، وأغدقت عليهم الأموال والرتب الكبيرة استجاباً لرضاهم ، ولم يتأثروا بذلك ، بل داموا على عداوتها حتى انقرضت .

(٢) هذه رواية أبي الفداء . وتقدم أنها سنة ٤٤٠ .

(٣) يازور من أعمال الرملة بفلسطين .

(٤) وقيل ٤٤٠ . وهذا لا يصح لأن هذا تاريخ قطع الخطبة للفاطميين .

عن الأماكن التي عينت لهم ، وقد سبب لهم هذا الحجر ضيقاً في عيشتهم ، فكانوا يتمنون أن لو أتاحت لهم فرصة التنقل ، وطبيعة عيش البدوي تحمله دائماً على التنقل . . . وفكر المستنصر في استغلالهم ضد ابن باديس للانتقام منه . فاتصل بشيوخهم ، وصار يصف لهم إفريقية وما فيها من خير ونعيم ، وما فيه ابن باديس من غنى وبذخ ، وصار يهون عليهم شأنه ، ويقلل من قوته ومقاومته ، ولا يفتر عن تحريضهم على غزو إفريقية . لأخذ هذا النعيم الكثير والملك الكبير ، ولم يتس أن يمنيهم بالمساعدة وأنهم في رعايته وعلى بال منه ، وما زال بهم حتى أجابوا دعوته ، ويعلم الله أنه لا يريد من وراء ذلك لهم خيراً . وإنما يريد الانتقام من ابن باديس بهذه الأيدي التي عرفت بممارسة الحروب وإتقان أساليبها بعد أن عجز عن الانتقام منه بنفسه . . . فأعطاهم من المال ما يعينهم على السفر ، وأباح لهم إفريقية يفعلون فيها ما يشاءون ، وقال لهم : « لقد أعطيناكم إفريقية وملك ابن باديس فلا تفتقرون بعدها » .

فرحلوا عن صعيد مصر سنة ٤٤٢ هـ وكانوا زهاء أربعمائة ألف وقد توقفوا في برقة برهة من الزمن ، وأرسلوا أحدهم بشيوخهم - وهو مؤنس بن يحيى من بني مرداس ، من رباح أحد بطون بني هلال - وكان سيداً في قومه ، ليرود لهم إفريقية ، فذهب إلى المعز ونزل ضيفاً عليه ، وقد دهش لما فيه المعز من نعيم وأبهة ملك ، وما لاقاه منه من كرم وحسن ضيافة . وقد عرض عليه المعز - بعد أن عرف ما جاء من أجله - أن يتخذ من بني عمه رباح جنداً له ، فأشار عليه مؤنس بالأفعال معللاً ذلك بعدم انقيادهم واختلاف كلمتهم فلم يقتنع المعز بهذا الرأي ، فقال له مؤنس : إنهم قوم لا طاقة لك بهم ،

فقال له المعز : هم دون ذلك ، فاعتبرها مؤنس إهانة للعرب وظن المعز أن مؤنساً لا يريد أن يكون لغيره سلطان على قومه وصارحه بذلك ، فأسرها مؤنس في نفسه ، ورجع إلى العرب في برقة ، ووصف لهم من خيرات إفريقية وأبهة المعز ما رغبتهم في الإسراع بالرحيل ، فرحلوا عن برقة ، وانسابوا في أرض إفريقية في جموع لا يدرك أولها ولا ينتهي آخرها .

ومن أشهر قبائلهم التي دخلت إفريقية وأكثرها عدداً بنو سليم<sup>(١)</sup> بن منصور ،  
وبنو هلال<sup>(٢)</sup> بن عامر . . . ومن الهلاليين زغبة ، والأثيج ، وعدى ،  
ورياح<sup>(٣)</sup> وهم من بني عامر بن صعصعة . وبنو بجشم بن معاوية بن بكر . وهذه  
القبائل مضرية عدنانية . . . وقبيلة كهلان وهي قحطانية ، وقبائل أخرى كثيرة  
غير مشهورة .

وجاء « في نهاية الأرب في فنون الأدب » ما يلي :

« ورحل بنو رياح والأثيج وبنو عدى إلى إفريقية يريدون اللحاق بالقيروان ،  
فقال مؤنس : ليس هذا برأى ، والأمر يحتاج إلى تدبير ، فقالوا له : وماذا  
نصنع ؟ فقال : اتنوني ببساط ، فأتوه به ، فبسطه وقال لهم : من يدخل إلى  
وسط البساط من غير أن يمشى عليه ؟ فقالوا : ومن يقدر على هذا ؟ ، فقال  
أنا . فطوى البساط وأتى إلى طرفه وفتح منه مقدار ذراع ووقف عليه ، ثم فتح

( ١ ) كانت بطون بني هلال وبني سليم من مضر ، وكانوا أحياء كثيرة . ومساكنهم في  
الحجاز ونجد ، فبنو سليم بما يلي المدينة ، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف .  
ولما ظهر القرامطة تغلبوا على أمصار الشام انحاز إليهم بنو سليم ، وكثير من ربيعة بن عامر ،  
وصاروا جنداً بالبحرين وعمان .

ولما تغلبت شيعة عبيد الله المهدي على مصر والشام ردوا القرامطة على أعقابهم إلى مقرهم بالبحرين  
ونقلوا أشياءهم من العرب ، من بني هلال وسليم ، وأنزلوهم بصعيد مصر بالعدوة الشرقية . وهذا سبب  
وجودهم بصعيد مصر .

ولمناسبة ذكر بني سليم وبني هلال : نذكر تعريفاً لسليم الذي ينسب إليه بنو سليم . وهلال  
الذي ينسب إليه بنو هلال فنقول :

هلال بن عامر ، بن صعصعة ، بن معاوية ، ابن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن  
عكرمة بن خصفه ، بن قيس عيلان بن مضر ( من العدنانية )

كان بنو هلال يقطنون الحجاز ونجداً حول مكة وفي بسائط الطائف ، ما بينه وبين جبل غزوان .  
ثم أقاموا بالشام إلى أن ظعنوا إلى مصر والمغرب :

وسليم هو سليم بن منصور ، بن عكرمة بن خصفه ونخصفه بطن من قيس عيلان بن مضر ، من العدنانية .  
( ٢ ) رياح من الهلاليين ، جداهم رياح بن أبي ربيعة بن هنيك بن هلال . وكانت قبيلة  
رياح من أعز قبائل بني هلال وأكثرهم جمعاً عند دخول إفريقية . وكانت رياستهم في مرداس بن رياح  
ومرداس بطن من بطون رياح ، ثم انتقلت رياستهم إلى اللواورة أبناء داود بن مرداس بن رياح .  
ومن البطون التي تنتسب إلى مرداس بنو موسى بن عامر . وبعض النسابة يذكر مرداساً في بني سليم ،  
ولعله مرداس آخر . وذكر ابن خلدون أنه يوجد مرداس في رياح ، ومرداس في بني سليم .



شيئاً آخر ودخل إليه ، وقال هكذا فاصنعوا ببلاد المغرب ، املكوها شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى عليكم إلا القيروان فأتوها فإنكم تملكونها . فقال له رافع ابن حماد - وهو أحد رؤساء العرب - صدقت يا مؤنس ، والله إنك لشيخ العرب وأميرها ، فقد قدمناك على أنفسنا ، فلسنا نقطع أمراً دونك .

وقد اقترعوا على البلاد فخرج لبنى سليم شرقياً : برقة وما حولها ، وقد وجدوها خالية لأن أهلها حاربوا المعز لدين الله ففتك بهم حتى كاد يفنيهم ، وخرج لبنى هلال غربياً : طرابلس وقابس ، وانضم بنو جشم إلى بني هلال . . . واستقرت زغبة في طرابلس سنة ٤٦٦ ، واجتازت رياح والأثبيج وبنو عدى إلى إفريقية - وهم من بني هلال - فأضرموها ناراً .

وكان في العرب كثير من غير بني هلال وبني سليم : من فزارة ، وأشجع من بطون غطفان ، وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول بن مرة بن صعصعة بن معاوية ، والمعقل من بطون اليمانية ، وكلهم مندرجون في بني هلال وفي الأثبيج على الخصوص ؛ لأن الرياسة كانت عند دخولهم للأثبيج وهلال ، فأدخلوا فيهم .

وكان الأثبيج من الهلاليين أوفر عدداً ، وأكثر بطوناً ، وكان التقدم لهم في حملتهم . وكان منهم الضحاك ، وعياض ، ومقدم ، والعاصم ، ولطيف ، ودريد ، وكرفة ، وغيرهم حسبما يظهر في نسبهم .

وكان لهم جمع وقوة . وكانوا أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الداخلين لإفريقية .

ومن أشرف رجالات العرب : حسن بن سرحان ، وأخوه بدر ، وفضل

ابن ناهض ، وهؤلاء من دريد من الأثبيج

ومنهم ماضى بن مقرب ، وسلامة بن رزق في بني كبير ، في بطون كرفة ،

من الأثبيج . وذياب بن غانم ، وينسبون في بني ثور ، وموسى بن يحيى ،

وينسبون في مرداس رياح ، لا مرداس سليم . وهو من بني صقر ، بطن من

مرداس رياح .

ومنهم زيد بن زيدان ، وينسبونه في الضحاك ، وفارس بن أبي الغيث ، وأخوه عامر ، والفضل بن أبي علي ، ونسبهم في مرداس .

قال ابن خلدون : وكل هؤلاء يذكرون في أشعارهم . ثم قال : وشعوبهم لذلك العهد كما نقلناهم : زغبة ، ورياح ، والأثبج ، وقرّة . وكلهم من هلال ابن عامر .

ولم يكن كل الهلاليين اجتازوا إلى إفريقية مع جماعات الهلاليين وبنى سليم ، بل كان من الهلاليين جماعة قبل ذلك ببرقة ، أيام الحاكم العبيدي ، ولم فيها أخبار مع الصنهاجيين ببرقة ، ونسبهم إلى عبد مناف بن هلال . ( ملخص من ابن خلدون ) .

#### مناسبة

ولمناسبة ذكر بني هلال نذكر قصة الجازية . كما ذكرها ابن خلدون تلك القصة التي تمثل فيها الحب في أقوى صفاته وأعنفها . والتي ما زالت تذكر في مجالس سمر سكان إفريقية .

قال ابن خلدون :

الجازية أخت الحسن بن سرحان ، خطبها هذه الشريف شكر بن أبي الفتوح الحسن بن أبي جعفر ، بن هشام محمد بن موسى بن عبد الله من أشرف مكة ، وينتهي نسبه إلى إدريس ، فأعطاها له ، وولدت منه ولداً اسمه محمد . ثم حصلت مغاضبة بين الشريف والحسن أخى جازية ، وأجمعوا الرحلة من نجد إلى إفريقية ، واحتالوا عليه في أخذها ، فطلبت منه الإذن لزيارة أبويها ، فأذن لها ، وذهب معها ، وفي أثناء الرحلة تركوه ، فرجع ، ووجد عليها ، ووجدت عليه حتى ماتت بحبه اه .

وحصلت بين العرب وبين المعز بن باديس حروب هائلة وملاحم كادت تقضى على الطرفين . وعبثاً حاول المعز إغراءهم بالمال لمسلمته والانضمام إلى صفه . . . وكانت زفاته تقيم بجهات طرابلس فدهمهم العرب بجموعهم ،

واجتازوهم إلى القيروان قوة واقتداراً بعد حروب طاحنة . وقد حشد لهم المعز ما أمكنه من خيل ورجل ، وقابلهم بنفسه في جيوش جرارة بين قابس والقيروان<sup>(١)</sup> وثبت له العرب في جيش لا يزيد على ثلاثة آلاف . حدثنا عنه صاحب البيان المغرب أنه لا يزيد على ثلاثة آلاف ، وأن جيش ابن باديس لا يقل عن ثلاثين ألفاً . وظهر الاختلال في صفوفه ، وهربت صنهاجة وزناتة وبقى المعز في جنوده السودان وكانوا لا يقلون عن عشرين ألفاً ، وقتل منهم بين يديه خلق كثير ، ووصلت إليه سهام العرب ، فلم يلبث أن دارت عليه الدائرة ، ونجا بنفسه إلى المنصورية فيمن بقي معه من فلول جيشه .

وقد وصفت كتب التاريخ هذه الواقعة بأبشع ما توصف به الحروب من فظاعة القتل وكثرة القتلى ، نتيجة لصمود كل من الجيشين للآخر في سبيل الحصول على الفوز . . . . وقد قال الشاعر علي بن رزق الرياحي<sup>(٢)</sup> من قصيدة يصف فيها هذه الملحمة القاسية :

وإن ابن باديس لأحزم مالك      ولكن لعمرى ما لديه رجال

ثلاثة آلاف لنا غلبت له      ثلاثين ألفاً إن ذاك لنكال<sup>(٣)</sup>

وكانت الواقعة درساً قاسياً لابن باديس ، أقنعتة بالألا طاقة له بالعرب ، وأيقن أن العبيديين رموه بداهية دهياء ، فأخذ يفكر في الانتقال من القيروان ولم يكن له حصن بعدها إلا المهديّة التي كان يتولى أمرها ابنه تميم . وكان القتاتون<sup>(٤)</sup> سعوا بينهما بالنميمة لقطع الصلة بينهما ، ولكن هذا لم يمنعه من الانتقال إلى المهديّة ، فانتقل إليها في رمضان سنة ٤٤٩ : وتلقاه ابنه الأمير تميم بكل ترحاب . ولما كان يتصف به الأمير تميم من حسن التصرف وأصالة الرأي فوض

(١) في مكان يقال له حيدران . ويقال له الآن « ودران » .

(٢) وقيل على بن زروق .

(٣) هزم المعز بن باديس أمام العرب مرتين كل منهما أشنع من الأخرى : الأولى سنة ٤٤٣

وهي التي قيل فيها هذان البيتان . والثانية سنة ٤٤٤ (نهاية الأرب) .

(٤) البمامون .

له والده الأمر، وبقي المعز معه بالمهدية إلى أن توفي بها سنة ٤٥٣<sup>(١)</sup>. وكانت مدة حكمه تسعا وأربعين سنة. وترك وراءه من حسن الأحدثوة والذكر المستطاب ما يغبط عليه.

## تميم بن المعز

ولد بالمنصورية في الثالث من رجب سنة ٤٢٢. وولاه أبوه علي المهدية سنة ٤٤٥. ولما كان أبوه المعز بن باديس بالقيروان كان هو قائماً بشئون المهدية وانفرد بشئون إفريقية بعد وفاة أبيه.

وفي أيام الأمير تميم كانت قباس وضواحيها تحت رئاسة حتمو بن فلفل البرغواطي<sup>(٢)</sup>، وهو من الخزرونيين أعداء الصنهاجيين، وكانت زغبة من بني هلال تسكن هذه الناحية ويناصرون حتمو، فثاروا على الأمير تميم برياسة

(١) وقال ابن خلكان: توفي في الرابع من شعبان سنة ٤٥٤ بالقيروان بمرض ضعف الكبد. والقول الأول أرجح.

(٢) برغواطة، وقال الأستاذ محمد عتبان: (صوابها بلغواطة، بباء ولام مفتوحة-تين، وغين، معجمة ساكنة والنسبة إليها بلغواطي) جماعات من البربر أخلاط من عدة قبائل يسكنون ساحل تامسنا وكانوا لادين لهم، وهم بالهجوم أشبه. ادعى فيهم النبوة صالح بن طريف في أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥. وأصل صالح بن طريف من برناط: حصن من عمل شدونة من أعمال الأندلس ونشأ بها، فكان يقال لمن دخل في ديانتهم برناطي، وحوالته العرب إلى برغواطي، فسموا برغواطة. وصالح بن طريف يهودي الأصل، رحل إلى المشرق، وأخذ عن عبيد الله المعتزلي، واشتغل بالسحر، ورجع إلى المغرب، وعاشر قبائل برغواطة وادعى فيهم النبوة وشرع لهم ديناً من تلقاء نفسه، وقال لهم: أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في القرآن الكريم، وشرع لهم صيام رجب وإفطار رمضان. وجعل لهم الضحية في الواحد والعشرين من المحرم. وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرة. وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء. وفرض عليهم عشر صلوات لحماً في الليل وخمساً في النهار. وأمرهم أن يلحسوا ريقه تبركاً، فكان يتفل في أيديهم وهم يلحسون. وجاءهم بقرآن فيه ثمانون سورة، منها سورة إبليس، وسورة الحجج وسورة الجراد، وأمرهم ألا يغتسلوا من الجنابة.

وفي سنة ٤٥١ كان رئيسهم أبا حفص عبد الله بن أبي الأنصاري من نسل صالح بن طريف، فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى قتل في حروبهم في ٢٤ من جمادى الأولى سنة ٤٥١ هـ. ملخص من الأنيس المطرب لابن أبي زرع.

هو ، فتغلب عليهم ، وكثرت في أيامه الثورات وانتشرت الفتن . وفي سنة ٤٦٦ تغلب بنو رياح على زغبة<sup>(١)</sup> وأجلوهم عن القيروان ، وباعوها إلى الناصر بن علاء الناس بن حماد الصنهاجي الذي كان يقال له (علناس) وكان ينازع تميم السلطة في إفريقية . . . وقد اصطلع مع تميم سنة ٤٦٧ ، وزوجه تميم ابنته بلآرة وولى على طرابلس ابنه مقلداً . وتوفي الناصر بن علناس سنة ٤٧٠ .  
وقد وجد الفرنجة - وهم بالمرصاد دائماً للمسلمين - في كثرة الثورات على تميم فرصة للاستيلاء على المهديّة فاستولوا عليها سنة ٤٨٠ . واستولوا على صقلية سنة ٤٨٤ .

كان تميم شجاعاً ، وجواداً يضرب بجوده المثل ، وقد قيل فيه :  
أصح وأقوى مارويناه في الندى من الخبر المأثور منذُ قديم  
أحاديثُ ترويهما السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم  
وكان عالماً فاضلاً ، وشاعراً رقيق العاطفة ، ومن شعره :  
فإمّا الملك في شرف وعز على التاج في أعلى السرير  
وإمّا الموتُ بين ظبا العوالى فليستُ بخالد أبد الدهور  
وقد ترجم بهذين البيتين عما اتصفت به تلك النفس الكبيرة التي لا ترضى  
بغير الصدارة .

(١) كانت زغبة تسكن القيروان . وسيأتى أن بنى رياح أجلوهم عنها وباعوها إلى ابن علاء الناس . ثم إن بنى رياح أجلوا زغبة عن قابس أيضاً . ولا ندرى هل أجلوهم بمد أن أجلهم الرياحيون عن القيروان ، أو كان قبل أن يجلوهم عن القيروان ، ثم طاردوهم وأجلوهم عن القيروان أيضاً .  
وزغبة والرياحيون كلهم هلاليون بنو عمومة . ولما أجلى الرياحيون زغبة عن قابس تولى أمرها بنو جامع أمراء قابس في عهد الصنهاجيين . وهم محمد ، ومدافع ، وعيسى أبناء رشيد . ورافع بن مكى . . . ومكئ ورشيد أخوان ، وهما ابنا كامل ، بن جامع ، بن دهمان ، من بنى على ، بطن من بطون رياح . وقد تولى منهم الإمارة على قابس في عهد تميم بن المعز : بكر بن كامل بن جامع ، فقام بأمرها واستبد بها على تميم ، ولم يزل أميراً على قومه دهمان إلى أن توفي . . . وقام بالأمر بعده رافع ، واستفحل بها ملكه . وكان آخر من ملكها من بنى جامع مدافع بن رشيد بن كامل . . . ولما استولى عبد المؤمن على المهديّة وصفاقس وطرابلس بعث ابنه عبد الله بجيش إلى قابس ففر مدافع عنها ، وأسلمها إلى الموحدنين ، ولحق بعرب طرابلس فأجاروه سنتين ، ثم لحق بعبد المؤمن بقابس فرضى عنه وهو آخر أمراء بنى جامع . وبتسليمه لعبد المؤمن انقرض حكم بنى جامع .

ومن رقيق شعره :

وآخر قد شربت على وجوهه  
نُحدودٌ مثل ورد في ثغور  
إذا وُصفتُ تجل عن للقياس  
كسدر في شعور مثل آس

وكان من فحول الملوك الشعراء .

توفي تميم في منتصف رجب سنة ٥٠١ وعمره تسع وسبعون سنة . ومدة حكمه  
٤٦ سنة ، وعشرة أشهر ، وعشرون يوماً . . . . وخلف مائة ولد من الذكور ،  
وستين بنتاً . على أمثاله رحمة الله .

### يحيى بن تميم

ابن المعز بن باديس . عهد إليه أبوه بالولاية في حياته في السادس والعشرين  
من ذي الحجة سنة ٤٩٧ . واستقل بالأمر يوم وفاة أبيه ، وعمره ثلاث وأربعون  
سنة وستة أشهر ، وعشرون يوماً . . . . وكان عالماً عادلاً . غزا في البحر عدة  
غزوات فكان موفقاً . توفي يوم عيد الأضحى سنة ٥٠٩ وعمره اثنتان وخمسون  
سنة ، وخلف من الذكور ثلاثين ولداً ومن الإناث عشرين بنتاً . ومدة ولايته  
ثمان سنوات وستة أشهر .

### علي بن يحيى

ابن تميم بن المعز بن باديس . ولد يوم ١٥ من صفر سنة ٤٩٩ وولاه  
والده على صفاقس . وتوفي يوم ٢٥ من ربيع الآخر سنة ٥١٥ .

### الحسن بن علي

بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس . ولد بسوسة في رجب سنة ٥٠٢  
وتولى بعد وفاة أبيه . وعمره ١٢ سنة وتسعة أشهر .

كان الشمال الإفريقي مهدداً دائماً بالغزو من سكان الجنوب الأوربي .

وخصوصاً الجنوب الإيطالي ؛ لأن العرب كانوا احتلوا صقلية وما جاورها سنة ٢١٢ وقد تألب عليهم السكان وأخرجوهم ، وبقيت العداوة متأصلة بين الفريقين ينهز كل منهما الفرصة لصاحبه . وقد تمكن رجار الصقلي من احتلال المهديّة عاصمة إفريقية إذ ذاك ، في زمن تميم ابن المعز حينما كثرت عليه الثورات من الخزرانيين بمناصرة العرب ولم يكتف رجار باحتلال المهديّة ، بل صار يقوى نفسه ويعدّها لاحتلال بقية البلاد الإفريقية . ولما كانت طرابلس من أهمّ العواصم في المنطقة الإفريقية الشرقية أراد رجار أن يحتلّها ليسيّطر على ما بينها وبين المهديّة من ذلك الساحل الحصب الجميل . . . . . وكانت طرابلس تحت حكم الخزرانيين وحاكمها محمد بن خزرون وقد آانس رجار ضعفاً من الحسن ابن علي ، وأنه لا يمكنه مهاجمته في المهديّة فاتجهت نيته إلى احتلال طرابلس .

### محمد بن خزرون

هو محمد بن خزرون بن خليفة بن ورّو . . . . . ولي طرابلس بعد شاه ملك وقرب منه مشيخة بن مطروح لما لهم من المكانة والنفوذ في طرابلس ، وأسند إليهم رئاسة الجند وتدبير الأمور وأصبح لا يصدر إلا عن رأيهم . . . . . واستقل محمد ابن خزرون بطرابلس عن الحسن بن علي وناصره علي ذلك بنو مطروح ورفضوا دعوة الحسن ، ومنعوا عنه ما كانوا يدفعونه إليه من مال .

### رجار<sup>(١)</sup> يهاجم طرابلس

وفي أيام ولاية محمد بن خزرون أواخر سنة ٥٣٧ وحينما كان الحسن بن علي والياً على إفريقية هاجم رجار طرابلس وحاصرها بأسطوله ونقبوا سورها وقد دافع أهلها عنها واستنجدوا بسكان الضواحي من العرب وغيرهم فأنجدوهم ، ولم يتمكن رجار من دخول المدينة فرجع إلى صقلية خائباً ، وغنم الطرابلسيون منه بعض

(١) أو « روجر » كما جاء في كتاب الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ .

الأسلحة . وبقى ابن خزرون مستقلاً بطرابلس يدير شئونها ويدين بالطاعة للعبديين في مصر .

### المجاعة في طرابلس :

وفي سنة ٥٤٠ حصل ما لم يكن في حساب محمد بن خزرون ، فقد حصلت مجاعة كبيرة في طرابلس حتى اضطرت بعض السكان إلى الجلاء عنها ، وكان محمد بن خزرون شديد الوطأة على السكان قاسياً في حكمه . ولما حصلت المجاعة وعجز الناس عن تلبية مطالبه اشتدت وطأته عليهم لسد العجز الذي لحق بحكومته ولكن الناس ما كانوا يجدون سبيلاً لتلبية طلباته ، فكانوا يضيقون بها ذرعاً ، وهو لا يزداد إلا تعسفاً .

### بنو مطروح :

وكان بنو مطروح في مقدمة وجهاء طرابلس ومن أكبر أعيانها ، وكانوا من أكبر أنصار محمد بن خزرون كما قلنا آنفاً ، ولكنهم ضايقوا به كما ضاق به غيرهم ، ولم يتمكنهم أن يخففوا من وطأته ، فجمعوا الناس حولهم وثاروا به ، وأخرجوه هو وشيعته من المدينة واستبدلوا بها ، ونقضوا بيعة الحسن بن علي . وكان رجار متتبعا لأحوال طرابلس وما يقع فيها . وقد انتهر فرصة المجاعة وثورة السكان على ابن خزرون وطرده من المدينة ، فاستعد للهجوم على طرابلس .

### رجار يهاجم طرابلس مرة ثانية

ما زال رجار مستاء من هزيمته الأولى في طرابلس سنة ٥٣٧ . ولما لاحت له الفرصة أعاد الكرة للمرة الثانية ، وكان قد استولى على صفاقس بعد أن استولى على المهديّة ، فجهز جيشاً وأسطولا عظيمين وهاجم بهما طرابلس . ولم تنفق كلمة السكان على الدفاع لضعف الحامية ، ولما أصاب البلاد من الضائقة المالية نتيجة للمجاعة الشديدة التي أصابتها سنة ٥٤٠ . فدهمها رجار بجيشه وأسطوله ، ولم يجد مقاومة ، فاحتلها بدون عناء سنة ٥٤١



وفر محمد بن خزرون وبعض حاشيته إلى البادية ، واحتتموا بسكانها من العرب والبربر ، وكان محمد بن خزرون هذا آخر من تولى ولاية طرابلس من بني خزرون . وبخروجه انقطع أمرهم من طرابلس ودالت دولتهم .

ودخلها قائد أسطول رجار « جرجى بن ميخائيل الأنطاكي »<sup>(١)</sup> وطلب منه السكان الأمان فأمّنهم ، وشرط لهم ألا يكلفهم بما يخالف دينهم .

ولابن خلدون رواية أخرى في احتلال رجار طرابلس سنة ٥٤١ قد يكون فيها شيء من الزيادة على ما سقناه .

قال ابن خلدون : وأعاد رجار الكرة على طرابلس سنة ٥٤١ وحاصرها برّاً وبحراً ، وقتلها ثلاثة أيام ... وكان أهل البلد قد اختلفوا قبل مجيء العدو ، وأخرجوا بني مطروح ، وولوا عليهم واحداً من أمراء لمتونة كان ماراً بها في طريقه إلى الحج ، ولكن أنصار بني مطروح داخل السور انتهزوا فرصة انشغال الناس بقتال الفرنجة وأدخلوهم إلى المدينة ، ونشبت الحرب بينهم وبين بعض السكان - ويفهم من كلام ابن خلدون أن بعض السكان شغل بقتال بني مطروح وأنصارهم الذين أدخلوهم المدينة ، وبعضهم شغل بقتال الفرنجة الذين هاجموا البلد - وقد أدرك الفرنجة ما وقع بين الأدمالي ، وكانوا ما زالوا خارج السور ، فنصبوا عليه السلام وتسنموه ودخلوا المدينة عنوة وفتحوا أبوابها لبقية جيشهم ، وأفحشوا في القتل والسلب ، والتجأ كثير من السكان إلى العرب والبربر في الضواحي . ثم رفع الفرنجة السيف ونادوا بالأمان ، فرجع كثير من السكان إلى المدينة ، وفرضوا عليهم الجزية ، وأقاموا بها ستة أشهر ، وأصلحوا من أسوارها وفنادعها ، وولوا عليها رافع ابن مطروح ، وأخذوا رهائنه بالطاعة ، ورجعوا إلى صقلية وحشوا الناس على الرحيل إلى طرابلس ، فرحل إليها أناس كثيرون وحسنت حالة العمران فيها .

(١) تعلم في أنطاكي بالشام وغيرها ، وهاجر من المشرق . واصطنعه تميم بن المعز . ولما مات تميم أعمل جرجى الحملة في اللحاق برجار فلحق به ، وحظى عنده ، واستعمله على أسطوله . ا د من ابن خلدون . ج ٦ ص ١٦١ .

ولم يكن في هذه الرواية ما يستغرب إلا قصة هذا الرجل اللمتوفى الذي ولاه الطرابلسيون أمرهم وهم لا يعرفون من أمره شيئاً . وقد يكون من المستبعد أن يبلغ الخلاف بين الطرابلسيين إلى أن يستندوا أمورهم إلى رجل عابر سبيل في طريقه إلى الحج . ولم يذكرا ابن خلدون اسم هذا الرجل ، ولا ما آل إليه أمره بعد احتلال المدينة وإسناد أمرها إلى ابن مطروح ، كما لم أعر في غيره على اسمه ، ولا كيف انتهى أمره . وذكر ابن خليون في تاريخه أنه أخذ الفرنج فيمن أخذوا من الرهائن .

وهذه هي المرة الأولى التي يستولى فيها الفرنجة على طرابلس ، أما المرة التي كانت سنة ٥٣٧ فلم يتمكنوا من الاستيلاء عليها . . . ويؤكد التجاني ذلك بقوله : « وهذه أول مرة يستولى فيها الفرنجة على طرابلس . وما يشاع لدى الطرابلسيين أن بلادهم احتلت مرة قبل هذه فليس بصحيح » .

## ولاية رافع بن مطروح الأولى

كنيته أبو يحيى ، وكان شيخ البلد ، وأسنده إليه رجار ولاية طرابلس ، وعين الأستاذ يوسف بن زيرى قاضياً ، وكنيته أبو الحجاج ، وبقيت طرابلس تحت حكم رافع بن مطروح اثنتي عشرة سنة ، وهو يدين لرجار بالطاعة .

وتوفي رجار سنة ٥٤٨ بعد أن ملك ما بين المهديّة وطرابلس . ما عدا قابس وخلفه في الحكم ابنه غاليام ، وسمى نفسه رجار الثاني . وهو الذي ألف له الشريف أبو عبد الله الإدريسي كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » في الجغرافيا وقويت شوكته في الشمال الإفريقي . وكان وجود رجار في طرابلس مما زاد في هيئته ، وكتب إليه صاحب قابس يطلب الدخول في طاعته . وكان غاليام شديد الوطأة على المسلمين ، فملوا حكمه ، وسئمت نفوسهم البقاء تحت سلطانه وسرت بينهم روح التذمر والتزوع إلى الثورة . وقد ساعدتهم على التفكير في الثورة إنتشار دعوة الموحدين في إفريقية وقربهم من المهديّة :

وفي أيامه سنة ٥٥١ ابتدأت الثورة على غاليام في صفاقس ، وانتشرت في البلاد الساحلية ، ووصلت إلى نواحي طرابلس . وقد خاف غاليام أن يتصل الطرابلسيون بالثورة ففكر في إحداث فتنة بين الأهالي لتلهيهم عن التفكير في الثورة وعن الاتصال بالموحدين ، فأمر الطرابلسيين بالطعن على الموحدين والتكلم فيهم وفي طريقهم . ورأى الطرابلسيون أن هذا أمر يخالف الدين ، وقد سبق لميخائيل قائد أسطول رجار أن شرط لهم ألا يكلفهم بما يخالف دينهم ، فلجأوا إلى القاضي أبي الحجاج ، وكلفوه بأن يفهم غاليام بأن هذا أمر يخالف الدين ، وقد أمكنه أن يقنعه بذلك ، فأعفاهم من شتم الموحدين والطعن عليهم . وبقي يراقب الحالة ويحاول منع الثورة من الوصول إلى طرابلس ، ولكنه فشل ، وتأهب الطرابلسيون للثورة .

## ثورة رافع بن مطروح

لم تكن معاملة غاليام - رجار الثاني - للطرابلسيين تحمل من الإنصاف والعدالة ما يطمئن النفوس على الحياة ، ويبعث فيها الأمل في المستقبل ، ويقنعها باحترام الحق والكرامة ، وكلما طال الزمن بالفرنجة في البلاد الإسلامية كلما تبادوا في الباطل وبلخوا في الطغيان ، وقد سئم السكان معاشرتهم . . . وكان رافع ابن مطروح رأس الحركة وقائد الثورة ، وقد أعيته الحيلة في كبح جماح غليام ، حتى سنحت له الفرصة يقرب الموحدين من طرابلس ، فلم يسعه إلا انتهازها ، وجمع أنصاره ، وثار بغاليام في طرابلس سنة ٥٥٣<sup>(١)</sup> وقتلوا الفرنجة قتلاً ذريعاً وأحرقوهم بالنار ، وهرب من لم يدركه القتل وتحررت طرابلس كما تحرر الساحل الإفريقي ما عدا المهديّة . وكان نفوذ غاليام امتد إلى المهديّة . وفي الداخل إلى قرب القيروان .

## ولاية رافع بن مطروح الثانية

وبعد أن تم طرد الفرنجة من طرابلس اتفقت كلمة الطرابلسيين على تولية رافع بن مطروح حاكماً على طرابلس . وما كان ينبغي التفكير في غيره ، لأنه كان قبل الثورة والياً من قبل رجار ، وأيضاً فهو الذي قام بالثورة وقاد الناس إليها ، وأيضاً فإنه في المكان الأول من الحياة الاجتماعية في طرابلس ومن وجهاتها الممتازين . وبقى رافع بن مطروح يصرف شئون طرابلس . وكانت دعوة الموحدين قد انتشرت في الشمال الإفريقي ، وبقى يترقبها رافع بن مطروح إلى أن فتحوا المهديّة وأجلوا منها غاليام سنة ٥٥٥ فانضم إليهم ، وسيأتي خبر ذلك .

(١) ذكر هذا التاريخ ابن غلبون أيضاً . ولكنه ذكر أن الفرنجة اتفقوا أن يحدثوا فتنة بين الموحدين والطرابلسيين سنة ٥٥٤ هـ . وواضح أن اعتزامهم لإحداث الفتنة إنما يكون قبل الثورة عليهم . ويظهر أن اتفاقهم على إحداث الفتنة كان سنة ٥٥٢ هـ فحرف رقم اثنين إلى رقم ٤ .

لقد جرتنا سياق القول إلى ما حصل في طرابلس أيام الحسن بن علي ، ونعود إلى الكلام عليه فنقول : إن الحسن بن علي هذا هو آخر أمراء صنهاجة . القائلين بدعوة العبيديين في إفريقية ، وعددهم ثمانية ، وهم : بلكين<sup>(١)</sup> بن زيري . . . المنصور بن بلكين . . . باديس بن المنصور . . . المعز بن باديس . . . تميم بن المعز . . . يحيى بن تميم . . . علي بن يحيى . . . الحسن بن علي . وفي أيامه احتل رجار المهديّة وانقرض ملك صنهاجة . والدنيا دول . والملاّك لله الواحد القهار .

### دولة الموحدين<sup>(٢)</sup>

أسسها المهديّ محمد بن تومرت في المحرم سنة ٥١٦ . وهو محمد بن عبد الله تومرت ، بن عبد الرحمن بن هود بن خالد . . . وقال ابن خلدون في التعريف به : هو محمد بن عبد الله ، بن وجيلة ، بن بامصال ، بن حمزة ، بن عيسى<sup>(٣)</sup> وهو مؤسس دولة الموحدين ، واشتهر بالمهدي ، وأصله من هرغة من بطون المصامدة البربر . واسم أبيه عبد الله ، وتومرت ، وأصله من السوس ، ويعرف بالفقيه السوسى . وكان إماماً في طريقة الأشعرية ، وهو الذى أدخلها إلى المغرب ، وذكر بعضهم نسبه في أهل البيت . . . قال ابن خلدون : ويظهر أن سبب هذا كثرة أولاد إدريس الأكبر في المصامدة . . . ولد بهرغة سنة ٤٩١ . وقد شب على حب العلم والقراءة ، وارتحل إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومر بالأندلس وكانت إذ ذاك دار علم . ثم ذهب إلى الإسكندرية وحج . وذهب إلى العراق ، واجتمع بفحول العلماء وكبار المناظرين . وأفاد علماً كثيراً ، وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده ، ورجع إلى المغرب وتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانتشر صيته ، وسمى الإمام . ولما بايعه

(١) وينطق تارة بالكاف المعطشة ، وهى التى تنطق بين الكاف والقاف .

(٢) مدة قيام دولة الموحدين من ظهور ابن تومرت إلى قيام دولة الحفصيين ١٠٩ سنوات .

(٣) قال ابن خلدون ، ذكر هذا النسب ابن رثيق وحققه ابن القطان .

الناس على مناصرته لقبوه المهدي . وكان يسمى أصحابه الطلبة ، ويسمى أهل دعوته الموحدون ... وله من غزارة العلم وقوة الحججة أنخبار يطول ذكرها . وله من مضاء العزيمة وقوة الإرادة ما يمكنه من إنشاء الدولة التي كان يمني بها نفسه وقومه .

توفي ليلة الأربعاء الثالث عشر من رمضان سنة ٥٢٤ بتينمبل ، وبها دفن .  
ودام حكمه تسعة أعوام إلا ثلاثة أيام .

### عبد المؤمن بن علي

ابن مخلوف ، بن يملا ، بن مروان ، بن نصر ، بن علي ، بن عامر . . . وهو من قبيلة زنائة البربرية ، وقيل هو من أصل عربي مضرى . وكان الموحدون يلقبونه بالشيخ ، ويلقبون المهدي بالإمام . . . وهو أول خليفة للمهدي ، استخلفه في حياته ، وتولى الحكم بعد وفاته سنة ٥٢٤ . وتغلب على ابن تاشفين ، وأرسل ابنه محمداً بجيش إلى قابس ، وكان بها مدافع بن رشيد من بني جامع - وهو آخر من تولى قابس من بني جامع - ففر عنها ودخلها جيش الموحدين ، وفي سنة ٥٥٥ دخلت طرابلس في طاعته ، كما دخل فيها جبل نفوسة ، وبهذا لم يبق في الشمال الإفريقي خارج عن طاعته إلا المهدي فقد تحصن بها غاليالم - رجار الثاني - محاولاً أن يستقل بها عن الموحدين ويدفعهم عنها . . . ولم يلبث سبكتها أن استنجدوا بعبد المؤمن من ظلم غاليالم ، فاستجاب لنجدتهم ، وهاجمها بجيوشه ، ودخلها فاتحاً يوم عاشوراء سنة ٥٥٥ ، وبفتح المهدي تم له الأمر في الشمال الإفريقي ، ونخلص له كله ، وسمى هذه السنة سنة الأخماس لأنها وافقت ثلاثة أرقام كل منها خمسة .

وفي هذه السنة ذهب ابن مطروح إلى المهدي في وفد من الطرابلسيين لمقابلة عبد المؤمن وليقدم له الطاعة مشافهة ويجدد له العهد ، فقبل منهم ، وأكرم وفادتهم ، وأقر ولاية ابن مطروح على طرابلس . . . ومن هذا الوقت دخلت

طرابلس في عهد جديد ، وأصبحت تابعة للموحدين ، وأصبح رافع بن مطروح والياً عليها من قبلهم . . . . . وتبقى ابن مطروح والياً عليها إلى أن هزم وعجز عن الحكم أيام يوسف بن عبد المؤمن فطلب إليه أن يعفيه من مهام الحكم وأن يأذن له بالذهاب إلى مصر ، فأعفاه وأذن له . فسافر بطريق البحر إلى مصر سنة ٥٦٨ ، ووصل الإسكندرية في رجب من هذه السنة وتبقى فيها إلى أن توفي وبقيت ذريته ، وكانت لهم رياسة ، وفيهم علم وأدب .

ولما اشتد به الحنين إلى طرابلس قال :

لوقفه بين باب البحر ضاحيةً      وباب هواره وموقف الغنم  
أشهى إلى النفس من كسر الخليج ومن      دير الزجاج وشاطيء بركة الخدم

وباب البحر ، وباب هواره ، وموقف الغنم أمكنة بطرابلس ، يقول إن الوقوف فيها أشهى إلى نفسه من كسر الخليج ، ودير الزجاج ، وشاطيء بركة الخدم أو الحرم ، وهي أمكنة بالإسكندرية .

وبعد أن فتح عبد المؤمن المهديّة دان له المغرب كله . ودخل عليه صاحب قفصة ، ومعه بعض أعيانها لتقديم الطاعة ، وكان معهم الشاعر أبو محمد عبد الله بن أبي العباس التيفاشي ، فأنشد بين يديه قصيدة أوطأ :

ما هزّ عطفه بين البيض والأسل      مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

وأراد الإسترسال في الإنشاد ، فأمره بالتوقف ، واكتفى منه بهذا البيت لبلاغته وأعطاه ألف دينار وقبل طاعتهم ، وكانوا محاصرين ففك عنهم الحصار .

توفي عبد المؤمن بمدينة سلا في العاشر من جمادى الأولى سنة ٥٥٨ ودفن بتينمل بجوار المهدي . ومدة حكمه ثلاث وثلاثون سنة ، وثمانية أشهر ، و ١٥ يوماً .

## يوسف بن عبد المؤمن

كنيته أبو يعقوب . بويغ له عقب وفاة أبيه . وتوفي يوم السبت ١٨ من ربيع الآخر سنة ٥٨٠ ومدة ملكه ٢١ سنة ، و ١٠ أشهر ، و ٨ أيام .

## يعقوب المنصور

كنيته أبو يوسف . بويغ له بعد وفاة أبيه . ولد في أواخر ذي الحجة سنة ٥٥٤ وتوفي يوم ١٢ من ربيع الأول سنة ٥٩٥ ، ومدة حكمه ١٤ سنة و ١١ شهراً ، وأربعة أيام وفي أيامه ظهر أولاد غانية يحيى وعلى .

## يحيى بن إسحاق الميورقي

هو يحيى بن إسحاق ، بن حَمَّو ، بن علي ، الميورقي ، من بني غانية ، من المرابطين الملتهمين ، من قبيلة صنهاجة الذين كانوا ملوك المغرب .  
وعلى الميورقي والد حَمَّو هو صاحب ميورقة . وكان قد سكن الصحراء لنزاع بينه وبين ملتونة . وقد استرجعه يوسف بن تاشفين بعد سنين من إقامته بالصحراء ، وزوجه امرأة من أهل بيته تسمى « غانية » كان أبوها عهد إليه بكفالتها . وقد ولدت من علي محمداً ويحيى ، وبقياً في كفالة يوسف ، وبعده في كفالة ابنه علي ومصاحبته ، وعقد علي بن يوسف ليحيى علي غرب الأندلس ، وأنزله قرطبة . وعقد لمحمد علي ميورقة ومنورقة ، ويابسة سنة ٥٢٠ .

هذه غانية التي نسب إليها يحيى وعلي وهما من أحفادها .

خرج يحيى وأخوه علي من ميورقة في شعبان سنة ٥٨٠ سعياً وراء الملك ، وطلباً بثأر بني تاشفين من الموحديين ، فاستوليا على المهديّة ، وطردا منها ابن عبد الكريم عامل الموحديين . واستوليا على طرابلس وصفاقس ، وقابس . وفي سنة ٥٨٦ استوليا على تونس ، وطردا منها الموحديين .



وقد استفحل أمر بني غانية في إفريقية ، واشتدت شوكتهم وضيقوا الخناق على دولة الموحدين واغتصبوا منها إفريقية قوة واقتداراً .

### شرف الدين قراقش

هو أرمني من الغز ، من ممالك الملك المظفر تقي الدين بن أيوب أخى صلاح الدين . وكان تقي الدين يريد أن يغزو المغرب ، ولكن وقفت في طريقه صعوبات حالت دون تحقيق هذه الرغبة ، وأهم هذه الصعوبات كثرة جموع العرب في إفريقية ، خصوصاً وقد عرفوا بالشجاعة وممارسة الحرب ، وقد شاع خبر سفره بين قواد جيشه وخواصه فرغبوا في ذلك وحبذوا الفكرة ، فلما عدل عن غزو المغرب صعب ذلك على قراقش ، وأصر على تنفيذ الفكرة ولو بمخالفة سيده ، ولما تحقق تصميم سيده على العادل ، جمع أمره سنة ٥٦٨ ، وانضم إليه إبراهيم بن قراتكين سلاح دار تقي الدين ، وكثير من الغز المرتزقة ، وسافروا إلى المغرب لمحاربة الموحدين ، وإحياء دعوة العباسيين .

ولما اجتازوا عقبة السلوم اختلف قراقش وابن قراتكين في الرأي فافترقا ، فسار ابن قراتكين على طريق الساحل وتمكن من الوصول إلى قفصة فقبض عليه المنصور في جماعة وذبجهم جميعاً . . . وأما قراقش فسار إلى سيوة ، - وكانت تسمى إذ ذاك « شنرية » - ، فافتتحها ، وخطب فيها لصلاح الدين وكتب إليه بذلك . . . واستولى على أوجلة ، وزويلة وبلاد فزان ، وأزال منها دولة بني خطاب الهواريين - وهم من البربر من قبيلة هواة - وكانت قاعدة ملكهم زويلة ، ولذلك فهي تعرف بزويلة بني خطاب ، وقبض على ملكهم محمد<sup>(١)</sup> ابن خطاب وعذبه حتى مات ، وهو آخر ملوك بني خطاب ولما ضربت زويلة انتقلوا إلى فزان . وهكذا استمر قراقش في فتح البلاد ، وكلما فتح بلداً دعا فيه لصلاح الدين وأرسل إلى سيده بذلك حتى وصل طرابلس .

( ١ ) محمد بن خطاب ، بن يصلين ، بن عبد الله ، بن صنفل أو زنقل ، بن خطاب .  
وأول أمر بني خطاب في زويلة أنهم كانوا عمالاً فيها للمنور بن بلكين في سنة ٣٨١ .

## قراقش في طرابلس

دخل طرابلس بعد أن غادرها أبو يحيى رافع بن مطروح . يقول بعض المؤرخين : إن قراقش احتل طرابلس من رافع بن مطروح سنة ٥٧٩ ودخل رافع في طاعته . وهذا غير صحيح ؛ لأن رافع ابن مطروح غادر طرابلس إلى الإسكندرية سنة ٥٦٨ .

وكانت نخالية من الجند والأقوات . وقبل أن يهاجم طرابلس دعا القبائل العربية الضاربة في تلك النواحي وحول المدينة للانضمام إليه ، فانضم إليه العرب الذبابيون من بني سليم ، والشيخ مسعود بن زيان شيخ الدواودة الرياحيين<sup>(١)</sup> ، وغيرهم كثير من بني هلال وبني سليم وكان الشيخ مرغم بن صابر ابن عسكر شيخ الجوارى من الذبابيين أبي أن ينضم إلى قراقش فقبض عليه وباعه إلى حاكم برشلونة النصراني<sup>(٢)</sup> ، فاشتراه ، وبقي عنده أسيراً وسيأتي خبره . . وكان ذلك سنة ٥٨٢ ، فقويت بالعرب شوكته ، وكثرت عصابته ، فهض بهم إلى جبل نفوسة فاستولى عليه ، واستولى فيه على أموال كثيرة ففرقها فيمن معه من العرب استجلاًباً لإخلاصهم له . . . وباستيلائه على جبل نفوسة حفظ خط الرجعة لنفسه ، ولم يبق وراءه من يخافه من الشرق والجنوب . . . ثم تقدم في جموعه إلى طرابلس وحاصرها ، ولم يلبث أن استولى عليها لقلته ما بها من الجند والأقوات ، لأن أهلها ما كانوا ينتظرون هجوم العدو عليهم . . . وأصبح يملك ما بين طرابلس وفزان ، ومن جبل نفوسة إلى حدود برقة الشرقية . . . وقد اضطره انضمام العرب إليه إلى كثرة الإنفاق ، فأكثر من فرض الضرائب على السكان حتى أجهدهم ، وأفقرهم ، وتدمرت نفوسهم من قسوته عليهم ، وأضمروا له العداة . . . واتخذ من طرابلس مقراً له ، وبني قصره الذي ما زالت بقاياها بقرية قرقارش ، وهي محرفة عن اسم قراقش . وتوجه إلى إفريقية وهناك التقى

(١) وقيل اسمه مسعود بن سلطان البلطة ، وهو من الأمراء المشهورين . وتسمى البلطة لشدة .

(٢) ويقال إن الجنويين أسروه وباعوه لحاكم برشلونة .

بأولاد غانية : يحيى وعلى ، فاجتمعوا على الفساد وظلم العباد ، وانضم إليهم كافة بنى سليم ومن ناصرهم من البربر . وكانت رياح ، وجشم والأثبج من بنى هلال مخالفين للموحدين فانضموا إليهم ، وخالفهم زغبة من بنى هلال فانضمت إلى الموحدين ، واشتد خطرهم على الناس ، فاستغاثوا بالأمير يعقوب المنصور بن عبد المؤمن فى مراکش سنة ٥٨٣ . وفى سنة ٥٨٤ قتل على بن غانية فى حروبه مع نفزاوة بالجرىد أصابه سهم غرب فقتله ، وحمل جثمانه إلى مَيورقة فدفن بها والسهم الغرب : هى التى لم يقصد بها قتل من أصابته . وفى سنة ٥٨٦ التقت جيوش المنصور بجيوش يحيى بن غانية وقراقش بقرب الحامة ، فدارت الدائرة عليهم ، وفر ابن غانية وقراقش إلى الصحراء ، وقتل كثير من أصحابهما ، وصبّح المنصور قابس فاستولى عليها ، ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه فى البحر إلى تونس . وخرجت طرابلس من يد قراقش ، ورجع المنصور إلى المغرب .

### عثمان أبو دبوس

هو من ذرية أبى دبوس آخر خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش . وقبل أن يغادر المنصور إفريقية ولاءه على طرابلس .. ولما انقرضت دولة الموحدين وقامت دولة بنى مرّين ذهب عثمان هذا إلى برشلونة ، فأكرمه حاكمها ووجد عنده الشيخ مرغم بن صابر بن عسكر شيخ الجوارى الذى كان قراقش باعه إلى حاكم برشلونة سنة ٥٨٢ ، فطلب أبو دبوس من حاكم برشلونة أن يجهز له جيشاً وأسطولا بحرياً ليسترد دولة الموحدين ، فاشترط عليه شروطاً ، وأن يدفع إليه مالا ، فرضى أبو دبوس ، فجهز له حاكم برشلونة جيشاً وأسطولا ، وأطلق له الشيخ مرغم بن صابر شيخ الجوارى الذى كان أسيراً عنده وعقد بينهما حلفاً على أن ينصر كل منهما الآخر .

ولم نطلع على أعمال أبى دبوس فى طرابلس بعد أن ولاء المنصور عليها . ويظهر أن هناك حلقة مفقودة حدث فيها ما أوجب خروج أبى دبوس من طرابلس ، ولا ندرى أيضاً لم ذهب أبو دبوس إلى حاكم برشلونة ليعينه على

استرداد دولة الموحدين ، ولم يذهب إلى المنصور في مراکش ، كل هذا شيء ما زال في الخفاء .

وجاء أبو دبوس والشيخ مرغم بن صابر في أسطول برشلونة إلى طرابلس ، ورسا أسطولهم عليها سنة ٥٨٨ ، ونزل مرغم إلى البر ، والتقى بقومه ، وخلمهم على مناصرة أبي دبوس ، وحاصروا طرابلس من البر والبحر ثلاثة أيام فلم يقدروا عليها ، فرحل الأسطول بمن فيه من جيش برشلونة ، وبقى قريباً من المدينة ينتظر الوفاء بالمال الذي شرطه أبو دبوس على نفسه ، وبقى جيش العرب يحاصر المدينة من جهة البر . وذهب أبو دبوس ومرغم إلى ضواحي طرابلس يجنون الأموال ويفرضون على الناس المغارم ليسددوا ما تعهدوا به لحاكم برشلونة ، ورجع الأسطول إلى برشلونة ، وبقى أبو دبوس يتقلب مع العرب في الأراضي الطرابلسية إلى أن هلك ولم يتم له أمر .

ولم يلبث قراقش أن جمع أمره وأغار على قابس فاحتلها . وكان بها كثير من مشايخ العرب الذين لم يناصروه وانضموا إلى الموحدين ، فجمع منهم نحو سبعين شيخاً من بني سليم من الذبايين والكعوب - جمعهم في قصر العروسيين وقتلهم جميعاً<sup>(١)</sup> منهم محمود بن طوق جد المحاميد ، وإليه ينسبون . وحמיד بن جارية جد الجوارى وإليه ينسبون . . . وذهب قراقش إلى طرابلس فدخلها بعد حرب مريرة ، وأصبح مستولياً على قابس وطرابلس ، واستولى يحيى بن غانية على القيروان . ولا ندرى من الذي كان يمانع قراقش من دخول المدينة .

### عداوة :

وتغيرت الحال بين قراقش ويحيى بن غانية ، وانقلبت المحبة بغضاً ، والصدقة عداوة ، وأعلن كل منهما الحرب على صاحبه .

وفي سنة ٥٩١ سار ابن غانية من القيروان إلى طرابلس لمحاربة قراقش

(١) في أيام الدعي أبي عمارة حفر في هذا القصر لغرض ما ، فمثر على عظام هؤلاء القتلى ، ونقلوا منها نيفاً وستين جمجمة من جهاجم رؤوسهم . وهذا القصر في قابس من قصور بني دهمان الهلاليين

وطرده منها ، فلما أحس به قراقش جمع له ، وخرج للقائه خارج السور خوفاً من الحصار ، وأتاب عنه ياقوتاً المعروف بالافتخار . فالتقوا بوادي محسن ، وهو وادي الهيرة<sup>(١)</sup> ، من أراضي ورشفانة غربي العزيزية وشمالها ، فانهزم قراقش ، وفر إلى الجبل ، وطارده الميورقي أياماً فلم يظفر به ، وذهب قراقش إلى ودان وبقى هناك ، وسيأتي خبره .

### ياقوت « الافتخار »

استخلفه قراقش على طرابلس حينما خرج لمحاربة ابن غانية . ولما انهزم قراقش ورجع ابن غانية إلى طرابلس تحصن بها ياقوت ولم يسلمها إلى ابن غانية فحاصره بها ، واستمات ياقوت في الدفاع عنها ، وطال حصارها ، فاستنجد بحبي الميورقي بأخيه عبد الله في ميورقة ، فأرسل إليه سفيتين في البحر ، واشتد الحصار على المدينة من البر والبحر ، ولم تلبث أن سقطت في يد الميورقي فدخلها فعفا عن الأهالي ، وقبض على ياقوت وأرسله إلى ميورقة مكبلاً بالحديد ، وبقى مسجوناً بها إلى أن استولى عليها الموحدون فخرج من السجن ، وذهب إلى مراکش ، ومات هناك . . . ولما تم استيلاء الميورقي على طرابلس ولي عليها ابن عمه تاشفين بن الغاني .

وتوفي المنصور في الثاني من ربيع الأول سنة ٥٩٥ وخلفه ابنه الناصر .

### محمد الناصر

كنيته أبو عبد الله . بويح له يوم وفاة أبيه يعقوب المنصور ، وتوفي يوم العاشر من شعبان سنة ٦١٠ ودامت ولايته ١٥ سنة ، وأربعة أشهر ، و١٩ يوماً . . .

واستمر بن غانية في ثورته حتى تغلب على ابن عبد الكريم حاكم المهديّة

(١) ( الهيرة ) بفتح الهاء وسكون الياء : الأرض السهلة . ومن هذا المعنى سمي وادي الهيرة . لأنه يفيض في أرض سهلة منبسطة . وعلى هذا يقرأ بفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت .

واستولى عليها سنة ٥٩٧ . وأرسل ابن عبد الكريم إلى ميورقة في سفينة مكبلا بالقيود ، فرماه الحراس في البحر بقيوده ومات غرقاً سنة ٥٩٧ . . . . وفي هذه السنة استولى يحيى بن غانية على تونس في ربيع الآخر ، وامتد سلطانه على تبسة والقيروان ، والبحريد ، وصفاقس ، وقابس ، وطرابلس ، وخطب في هذه المدن للعباسيين ببغداد . . . . وامتنع أهل نفوسة من دفع المغارم المفروضة عليهم ، فذهب إليهم بنفسه ، وأخذ منهم ألف ألف دينار تنكيلا بهم ورجع إلى تونس .

وتعالت شكوى أهل إفريقية من أعمال ابن غانية ، واتصل بالناصر ما حل بهم منه فخف إلى نجدتهم سنة ٦٠١ . وأحس ابن غانية بقدومه إليه ، فذهب إلى قفصه ، وأرسل أهله وأمواله إلى المهديّة ، وجمع العرب وأخذ عليهم العهد على نصرته والمخاربة معه ، وأخذ رهائهم على ذلك .

وفي هذه السنة ثار عليه أهل طرابلس ، وأخرجوا منها عامله تاشفين بن الغاني . ورجع إليهم يحيى بن غانية فاحتل البلد وخربها .

وقدم الناصر في جموعه ، ونزل حول المهديّة ، وأرسل عبد الرحمن بن أبي حفص لقتال الميورقي فأدركه في جبال تاجراً بقرب قابس<sup>(١)</sup> ودارت بينهم الحرب ، فهزم الميورقي ، وقتل في المعركة أكثر جنده ، ومن بينهم أخوه جبارة وكتابه على بن اللمطي ، وكثير من المقربين إليه . . . . وفر يحيى بن غانية في نفر قليل إلى الصحراء . واستولى عبد الرحمن على كل ما تركه ابن غانية ، ورجع به إلى الناصر ، وهو ما يزال محاصراً المهديّة . . . . وكانت الغنائم في هذه المعركة ثمانية عشر ألف حمل من المال والمتاع والآلات . وكانت هزيمة ابن غانية في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦٠٢ وفي هذه الهزيمة المنكرة التي حاقت بابن غانية قال حماد الملقى هذين البيتين :

(١) قال التيجاني في رحلته : قتل على بن غانية في معركة تاجراً . وقد تقدم أن أشرنا إلى قتل على بن غانية في معركة قبل هذه ، ولعلها كانت في تاجراً أيضاً .

أرى يحيى أمام الخلق يأتي يفسر أمام من يأتي إليه  
فشبهت الشقي بياء يرمى ولأم الأمر داخلة عليه  
واستمر الناصر على حصار المهديّة حتى فتحها يوم ٢٧ من جمادى الأولى سنة  
٦٠٢ وكان القائم بالحروب في المهديّة على بن الغاني ابن عم يحيى بن غانية  
فاستسلم وتم أمر المهديّة للناصر ، وزال حكم ابن غانية عن طرابلس ، ودخلت  
تحت حكم الناصر . وولى على المهديّة محمد بن يعمر المهتاني ( أبا عبد الله )

### عبد الله بن إبراهيم بن جامع

ودخلت طرابلس تحت حكم الناصر وولى عليها عبد الله بن إبراهيم بن  
جامع . وانتقل الناصر إلى تونس في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٦٠٢ ، ووصل إليها  
غرة رجب ، وأقام بها بقية السنة . وبعضاً من سنة ٦٠٣ ورجع إلى مراكش  
وفي هذه المدة ما زال ابن غانية يشن غاراته على الناصر .  
وفي أثناء إقامة الناصر بتونس جهز لأخيه السيد أبي إسحاق جيشاً وأمره  
بمطاردة ابن غانية الميورقي . وحصلت بينه وبين ابن غانية معركة بشبرو فهزم  
ابن غانية والتجأ إلى الأراضى الطرابلسية . وفي أثناء مطاردته تمكن أبو إسحاق  
من إخضاع البربر بجبل نفوسة ، واستمر أبو إسحاق يطارده إلى سويقة ابن  
مذكور بأراضى زليطن ومن هنا رجع السيد أبو إسحاق إلى أخيه الناصر بتونس .  
واستمر ابن غانية هارباً إلى ما وراء سرت .  
وسويقة ابن مذكور أو ابن مكتود كما في معجم البلدان ، هي من البلدان  
الطرابلسية القديمة التي نسي اسمها ودرس رسمها . وذكر صاحب نزهة الأنظار  
أن سويقة ابن مذكور « كانت عامرة وذات أسواق كبيرة مشهورة تبعد عن  
لبدة إلى جهة الشرق بنحو ثلاثين ميلاً » . وعلى هذا الوصف ، فأقرب  
شيء يشبه أن يكون سويقة ابن مذكور هي تلك الأبنية التي توجد بجهة وادي  
ماجر الذي يبعد عن بلدة زليطن إلى الجنوب الغربي بنحو ثلاثين ك . م .

وهي أبنية كثيرة ما زالت قائمة ، على ضفاف وادي الحجاج<sup>(١)</sup> - أحد فروع وادي ماجر - ومنها قصر عظيم ما زالت آثاره ماثلة للعيان يعرف بقصر السوق ، وحوله آثار كثيرة على هيئة الحوانيت . وبقربه على مسافة كم ونصف مكان ما زال يقال له « بومذكرة » . والمكان الذي به قصر السوق يبعد عن لبدته بنحو ٦٠ كم . وهي تساوي ثلاثين ميلاً تقريباً كما جاء في نزهة الأنظار ، ونزهة المشتاق .

وكلمة « السوق » التي أضيف إليها القصر هي من بقايا كلمة سويقة ولا شك ، وقد انقلبت بطول الزمن إلى كلمة السوق ، كما أن كلمة ( بومذكرة ) التي ما زالت تطلق على مكان معين هناك هي من بقايا كلمة مذكور ، دخلها التحريف فانقلبت إلى « بومذكرة »<sup>(٢)</sup>

وسماها صاحب مرصد الإطلاع : ( سويقة مكتود ) وقال إنها بليدة في أوائل بلاد إفريقية وآخر برقة ، فهو يسميها سويقة مكتود . وسماها غيره سويقة مشكود . . . .

### عبد الواحد بن أبي حفص

كنيته أبو محمد ، وهو جد الأمراء الحفصيين ، وأول أمير منهم عين من قبل الموحديين ، وولاه الناصر بن المنصور الموحدى على إفريقية في العاشر من شوال سنة ٦٠٣ .

وعاد ابن غانية من صحراء برقة لمحاربة الموحديين في إفريقية واستولى على سويقة بن مذكور وقبض على صاحبها . وكان كثيراً ما يتمثل بالبيت الذي قيل في الحجاج بن يوسف :

وقد كان العراق له اضطراباً فثقف أمره بأخى ثقيف

(١) الحجاج : أرض ذات ربي مرتفعة متتابعة . وقد يكون بعضها من التراب والحجارة تحيط بأرض منبسطة تتراعى للناظر أنها تكون شبه دائرة على هذه الأرض .  
(٢) هذا ما وفقت إلى تحقيقه بواسطة صديقنا الأستاذ أحمد الصارى وأعتقد أنه هو الحقيقة خلافاً لما جاء في الطبعة الأولى .



ولما بلغ طرابلس اجتمع عليه العرب من بني هلال وبني سليم ، وكان فيهم محمد بن مسعود شيخ الدواودة وقومه من رياح ، فخرج إليه عبد الواحد ابن أبي حفص . ومعه بنو عوف من بني سليم ، وهم مرداس وعلاق ، وكان ذلك سنة ٦٠٤ فلقيهم بشبرو<sup>(١)</sup> ، وكانت معركة حامية الوطيس ، أسفرت عن هزيمة يحيى بن غانية وأنصاره ، وفر مجروحاً إلى « أقصامبرة »<sup>(٢)</sup> بجهة طرابلس .

ولم يلبث ابن غانية أن جمع أنصاره من المثلثين ، وانضم إليه كثير من العرب ، وكان الدواودة من أشد العرب تحمساً لنصرته ، وجعل العرب نساءهم في المقدمة ، وتحالفوا معه على دخول إفريقية . . . وفي سنة ٦٠٦ خرج إليهم عبد الواحد الحفصي والتقى به في جبل نفوسة<sup>(٣)</sup> . . . وكان المقصود من وضع نساء العرب في المقدمة الاستماتة في الدفاع عنهن ، فلم يصمدوا لجيوش عبد الواحد وذهبت رياح العرب وسببت نساؤهم ، ومات في المعركة خلق كثير من زناتة ، والمثلثين والعرب ، وكان من بين القتلى ابن شيخ الدواودة ، وابن عمه حركات . قال في الروض المعطار : وحضر تلك الواقعة جملة من رؤساء العرب وأحيائهم من الرياحيين وغيرهم ، وحضرها محمد بن مسعود ، وولده عبد الله ، وبنو عمه ، وذلك أن يحيى بن إسحاق بعد أن هزم في شبرو سنة ٦٠٤ جمع حوله جماعة من رياح وزعب وعوف والشريد ونفات وغيرهم ودخل بهم إفريقية ، فأراد عبد الواحد أن يقضى عليه قبل أن يستفحل أمره ، فخرج من تونس وجداً في السير حتى خرج من حدود إفريقية وتركها خلفه . وتراءى الجمعان بوادي أبي موسى واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانجلت المعركة عن هزيمة يحيى وفر

(١) قال في الروض المعطار : شبرو موضع على مقربة من تبسة من البلاد الإفريقية كانت به رقعة للشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص ملك إفريقية على يحيى بن إسحاق المسوني الميورقي في آخر ذي القعدة سنة ٦٠٤ .

(٢) هذا الاسم غير معروف ، ويظهر أنه محرف .

(٣) قال في الروض المعطار : وتراءى الجمعان بوادي أبي موسى . وقال : ووادي أبي موسى

موضع بمقربة من جبل نفوسة .

لا يلاوى على شيء . واغتيل في هذه المعركة محمد الغازى ابن عم يحيى ،  
 وحركات بن أبى الشيخ ، ومحمد بن مسعود وجمع من أعيان العرب الريحيين ،  
 وزعب ، وشداد ، وكثير من مشاهير العرب وأنجاده وأمرائها .

وجاء في الروض المعطار أن هذه الواقعة كانت في الرابع والعشرين من  
 ربيع الآخر سنة ٦٠٥ .

وفي هذه المدة كان قراقش يقيم بودان ، وكان بينه وبين يحيى بن غانية  
 عداوة تقدم ذكر أسبابها ، فخاف يحيى أن يأتيه من الخلف ، فذهب إليه  
 مع جماعة من العرب الذبائيين - وكان بينهم وبين قراقش عداوة - فحاصروه  
 في ودان إلى أن فنى ما عنده من القوت ، ثم استسلم ، وطلب من العرب أن  
 يقتلوه قبل ولده - وكان شديد المحبة له - فلما أخرجوه هو وولده ، قال له  
 ولده : يا أبت إلى أين يذهبون بنا ؟ فقال له : إلى حيث ذهبنا بأبائهم . ثم  
 قتلوه وقتلوا ابنه بعده . وصلبه الميورتى بظاهر ودان سنة ٦٠٩ .

وترك قراقش ولداً ، وكان شجاعاً كريماً ، وألحقه المستنصر بأجناده في  
 تونس ، فحدثته نفسه بالثورة ، وأن ينسج على منوال والده ، ويطالب بثأره .  
 فلحق بودان ، وأشعلها ناراً ، فأرسل إليه حاكم كانم من قتله ، وحمل رأسه  
 إليه ، وأراح الناس من شره ، وكان ذلك سنة ٦٥٦ .

وتوفى الناصر سنة ٦١٠ .

### يوسف المستنصر

تولى بعد وفاة الناصر . . . . . وبقى ابن غانية ينتهز الفرصة للإغارة على أطراف  
 إفريقية بعد أن تحلا له الجح من قراقش . وبقى عبد الواحد في أيامه عاملاً على  
 إفريقية إلى أن توفى بتونس غرة الحرم سنة ٦١٨ .

### السيد إدريس بن يوسف

هو السيد إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن من الموحدين ، وكنيته أبو العلاء . . .  
تولى إفريقية سنة ٦١٨ ، وكانت له مع الميورقي وقائع هزم فيها الميورقي . . .  
وتوفي السيد إدريس في شعبان سنة ٦٢٠ .

### عبد الله بن عبد الواحد

كنيته أبو محمد ، ولقبه « عبو » . ولي إفريقية بعد وفاة السيد إدريس .  
وفي أوائل سنة ٦٢١ ثار يحيى بن غانية بظاهر تونس ، فأرسل إليه أبا زيد  
فهزمه . واعتقل عبو في ١٤ من رجب سنة ٦٢٥ ، وهو آخر أمراء بني عبد المؤمن  
على إفريقية .

### الدولة الحفصية

أسسها يحيى بن عبد الواحد في ٢٦ من رجب سنة ٦٢٥ ، ودام ملكها .  
إلى اليوم السادس من جمادى الأولى سنة ٩٨١ . ومدة ملكها ٣٥٥ سنة ، وأحد عشر  
شهرًا . وهي فرع من دولة الموحدين ينتمي إلى يحيى بن عمر الهنتاني . وهنتانة قبيلة  
بربرية تلتحق بالمصامدة التي هي من أكبر قبائل البربر بالمغرب الأقصى .

### يحيى بن عبد الواحد

كنيته أبو زكرياء<sup>(١)</sup> . وهو مؤسس الدولة الحفصية وأول أمراءها<sup>(٢)</sup> ولي  
إفريقية عاملاً من قبل الموحدين يوم الأربعاء ٢٦ من رجب سنة ٦٢٥ . ولكنه  
ما لبث أن أعلن استقلاله عليهم سنة ٦٢٦ ، وهو من كبار الأمراء الذين

(١) كان للأمير أبي زكريا أخ اسمه محمد ويعرف بالحيتاني لطول لحيته .

(٢) أما ولاية والده عبد الرحمن ، وأخيه عبو ، والسيد إدريس فكانت من قبل الموحدين ،

ويعدون من أمراء دولة الموحدين .

أنجبتهم إفريقية . وعنى بمحاربة يحيى بن غانية ، واشتد في مطاردته ، ولم يمهل ينزل بمكان حتى ينقض عليه ، وما زال به حتى فرق شمله ، ومات شريداً مطروداً في برية تلمسان سنة ٦٣١ (١) . وكانت مدته من خروجه من ميورقة إلى أن مات ثلاثاً وخمسين سنة . وقد طاف بالبلاد الإفريقية طويلاً وعرضاً من سجلماسة إلى حدود مصر ، وقضى من عمره ثلاثاً وخمسين سنة في حروب متواصلة ، بين نصرتارة ، وهزيمة أخرى ، ولم يذق في هذه المدة الطويلة طعم الراحة ، إرضاء لنفسه الكبيرة فيما تتوق إليه من المجد وحسن الأحدثوة وأبهة الملك .

وبموته انقرض أمر المثلثين من إفريقية والمغرب والأندلس . وانقطع ملك صنهاجة من الأرض بذهاب ملكه وانقطاع أمره ، وقد عنى أثره ولم يعرف له قبر .

وترك يحيى بن غانية ثلاث بنات ، وأوصى بهن إلى الأمير يحيى بن عبد الواحد ، وترك خادماً اسمه جابر ، فأوصلهن إلى عبد الواحد وأبلغه وصية سيده إليه بيناته ، فتقبلهن قبولا حسناً ، وأحسن كفالتهم ، وبني لهن قصرأ . بجواره بقين فيه حتى متن عوانس ، ولم يتزوجن ، وما زال يعرف بقصر البنات . قال ابن خلدون : أخبرني والدي أنه أدرك واحدة منهن في العشر الأول من المائة الثامنة تناهز التسعين ، ولقيها ، وكانت من أشرف النساء وأسراهن خلقاً .

### يعقوب بن أبي يعقوب الهرغى

كنيته أبو عبد الرحمن . كان والياً على طرابلس من قبل الأمير أبي زكريا . واشتهر بالشجاعة . وقد سولت له نفسه أن يستقل بطرابلس . وعلم أعيان طرابلس بذلك فتشاوروا في الأمر ، فاتفقوا على القبض عليه . وفي الليلة التي يريد أن ينفذ في صبيحتها ما بيته قبضوا عليه هو وأخيه ومن معهما ، واستشاروا في أمرهم أبا زكريا

(١) وقيل في أواخر شوال سنة ٦٣٣ (نزهة) .

فأمرهم بقتلهم فقتلوا جميعاً ، وصلبت جثثهم على باب هواره ، وأرسلت رؤوسهم إلى تونس .

وتوفى الأمير يحيى ( أبو زكريا ) ليلة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٤٧ وعمره ٤٩ سنة . ودامت ولايته ٢٢ سنة .

### محمد بن عيسى الهنتاني

وفى سنة ٦٤٦ توفى عبد الله بن إبراهيم ابن جامع ، وولى بعده على طرابلس محمد بن عيسى الهنتاني ، وكان يعرف بعنق الفضة ، واستقل بها عن الحفصيين وتوفى سنة ٦٨٤ .

مناسبة :

نقل ما يلي ملخصاً من رحلة التجاني (١) .

كانت زنزور أيام محمد بن عيسى الهنتاني من أملاك أهل مدينة طرابلس ولما وقعت فتنة المورقي وطالت مدتها انقطعت الصلة بينها وبين أصحابها بالمدينة ولم يتنفعوا بشيء من غلاتها ، فزهدوا فيها وباعوها لقبيلة من البربر تسمى مجريس وهذا أصل تملك المجرسيين لها .

ومجريس فخذ من قبيلة هواره البربرية سموها باسم أمهم « مجريس » واسم أبيهم « وخيعن » وله زوج أخرى اسمها « تاسا » ينسب إليها التاسيون ، وهم قبيلة من البربر أيضاً ، فمجريس والتاسيون إخوة لأب .

وكانت لمجريس قوة ومنعة ، وكان بينهم وبين العرب نزاع دائم . ولما ظهر مرغم بن صابر شيخ الجوارى ، وأصبح صاحب النفوذ في هذه المنطقة استبد بهم ، واستعبدهم حتى كاد يفنيهم ، وأصبحت السيطرة في هذه المنطقة للعرب .

(١) هو عبد الله بن محمد التجاني رئيس كتبة الأمير زكريا اللحياني ، ورفيقه في أسفاره . ويكنى رحلته فخراً أنها أصل من الأصول التي اعتمدها ابن خلدون في كتابه تاريخه . وهي من أحسن ما ألف في الرحلات الإفريقية . توفى في حدود سنة ٧٢٥ .

وقد طلب مرغم بن صابر من السلطان (١) أن يعطيه قرية زنزور ، وأن يكتب له بها ظهيرا « حجة » فاعطاها له في أوائل سنة ٦٧٦ وكتب له بذلك حجة . . . ويقول التجاني : فأخبرني صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد ابن عبد السلام الأموي التاجوري : لما وصل مرغم بن صابر إلى طرابلس أرانى الظهير « الحجة » ، وسألنى هل هو صحيح ؟ ، فقلت إنه صحيح ، وهو بالعلامة الجارية . قال فحينئذ أيقن بتملكها ، ولم يكن يصدق بذلك .

وقد تقاسمهم المراغمة من الجوارى كل على حسب رتبته ، واتخذوهم خدماً لهم ، وكانوا يتبايعونهم ، فيباع الواحد من مجريس بأرضه ونسائه وأولاده بما يتفق عليه البائع والمشتري ، ويكون المجريسي وأولاده خدماً في أرضهم يزرعونها ويعطون الغلة للذى اشتراهم ، وهو ينفق عليهم كما ينفق على الخدم ، وإذا لم ينصحوا في العمل باعهم لغيره بأرضهم ، وهكذا دواليك .

ويقول التجاني : إنه كان بزنزور جامع يقال إن عمرو بن العاص هو الذى بناه ، واقتطع من الجامع موضع دفنت فيه أم سالم بن مرغم وكثير من ولده . ويجوار الجامع قصر خرب يقال له القصر القديم ، ويقال إنه أول قصر بنى بزنزور . وأهل البلد يحترمون بقايا هذا القصر ، ويتفاءلون بوجوده ، ويعتقدون أن بقاء بلادهم مربوط ببقاء هذا القصر ، ويجمعون تحت بقايا حوائطه ا هـ .

### محمد بن يحيى

هو ابن عبد الواحد . ولقبه المستنصر بالله . بويح له بعد وفاة أبيه آخر جمادى الآخرة سنة ٦٤٧ . وهو ثاني الأمراء الحفصيين . وفي أيامه انقضت الخلافة العباسية من بغداد على يد هولاء التتري . . وقد رأى أمراء مكة وأشرف الحرمين الشريفين أنه لم يبق في البلاد العربية من هو أكبر منه شأناً ، ولا أقدر منه على جمع كلمة المسلمين ، فأرسلوا إليه البيعة بالخلافة سنة ٦٥٧ فنودى به خليفة توفى ليلة الحادى عشر من ذى الحجة سنة ٦٧٥ . وعمره خمسون سنة . ولايته ٢٨ عاماً ، وخمسة أشهر ، و ٢١ يوماً .

( ١ ) الذى يظهر أنه محمد بن عيسى الهنتاقى .

## يحيى بن محمد بن يحيى

لقبه الواثق . ولى بعد وفاة أبيه ، ونخلع سنة ٦٧٧ . وقتل فى صفر سنة ٦٧٩ .

## إبراهيم بن أبى زكريا

كنيته أبو إسحاق . بويج له خارج تونس بعد خلع ابن أخيه يحيى بن محمد . ودخل تونس سنة ٦٧٨ . وقتل ببجاية فى آخر ربيع الأول سنة ٦٨٢ أو ٦٨٣ .

## أحمد بن مرزوق المسيلي

كنيته أبو عمارة ، ولقبه « الدعى » وكان حامل الذكر لا يؤبه به . وكان أمره محل عجب ، حتى قال فيه بن الخطيب الأندلسى :

تغريبة من لعب الليالى ما آخطرت لعاقل يبال

نشأ ببجاية ، وكان يحترف الخياطة ، مغموراً فى السوق من الناس لاشأن له ولد بسجلماسة سنة ٦٤٢ ، وكانت تحدته نفسه بالملك ، فترك بجاية وحرقة الخياطة والتحق بصحراء سجلماسة ، وانتسب إلى أهل البيت وشرع يعمل لما كانت تحدته به نفسه ، وادعى عند أغمار الناس وسوقتهم أنه المهدي المنتظر . واستعمل كل ما أمكنه من أنواع الشعوذة لاستمالتهم . ولما لم تنطل حيله عليهم ذهب يتقلب فى الأرض حتى وصل طرابلس ، ونزل على عرب ذباب من بنى سليم ، وما زال يحاورهم بشعوذته حتى بايعوه على النصر . فأعلن عصيانه لإبراهيم بن أبى زكريا وثورته عليه . وقام بأمره فى طرابلس أمير ذباب . وأغار على طرابلس . . . وكان الحاكم عليها محمد بن عيسى الهنتانى .

فدافع دونها ولم يتمكن ابن مرزوق من دخولها ، فتركها ، وعاث فى ضواحيها ، وجبى الأموال من زنزور ولماية ، وأغرم نفوسة وغريان ، وهوارة أموالاً كثيرة . وقد ترك طرابلس محاصرة وذهب إلى قابس فيمن معه من جموع العرب ، فبايعه حاكمها

عبد الملك بن مكي سنة ٦٨١ ، وانضم إليه الكعوب من بني سليم ، وجاءته البيعة من جربة ، والحامة ، ونفزاوة . وزحف إلى توزر ، وقفصة ، فاستسلم أهلها له . . . ولما استفحل أمره جهز له أبو إسحاق جيشاً من تونس بقيادة ابنه أبي فارس . وقبل أن يلتقى أبو فارس بالدعي انتفض عليه الجيش ، فرجع إلى تونس ، وتقدم الدعي إلى القيروان فاحتلها وبايعه أهلها . وبايعه أهل المهديّة وصفاقس وسوسة ، واضطرب أمر تونس ، وغادرها أبو إسحاق إلى بجاية في شوال سنة ٦٨١ ؛ واستولى أبو عمارة على تونس ، وتنازل أبو إسحاق عن الحكم لابنه أبي فارس . . . وجمع أبو فارس لملاقاة أبي عمارة فزحف إليه أبو عمارة من تونس في صفر سنة ٦٨٢ ، والتقى الجمعان ثالث ربيع الأول من هذه السنة ، وأسفرت الحرب عن قتل أبي فارس وانتهب معسكره ، وقتل إخوته وبعث برؤوسهم إلى تونس . وساءت سيرة الدعي وكثر ظلمه وجوره ، وقد بنى أمره على التجبر والقتل . وكان ممن نجا من معسكر أبي فارس الأمير عمر بن أبي زكريا ، فتسامع به الناس والتفوا حوله ، وثاروا على الدعي أبي عمارة سنة ٦٨٣ وتخلوا عنه ، ودخل الأمير عمر تونس .

### عمر بن أبي زكريا

كنيته أبو حفص . دخل تونس سنة ٦٨٣ على أثر انهيار حكم الدعي وتخلّى الناس عنه . وبويع له بالإمارة . . . واختفى الدعي خوفاً من القتل . وعثر عليه بعد ليال من دخول أبي حفص تونس في دار بعض السوقة ، فهدمت الدار وأخذ إلى الأمير عمر ، فأهين أمام الناس ، وعذب في غير رحمة ، ثم قتل في جمادى الأولى سنة ٦٨٣ ، وطيف بشلوه في شوارع المدينة تشهيراً به ، ثم قطع رأسه وعلق أمام الناس ، وذهب غير مأسوف عليه ، وأرسل محمد بن عيسى الهنتاتي بطاعته من طرابلس إلى الأمير عمر ، ودخلت طرابلس في حكمه . . . وتوفي الأمير عمر آخر ذي الحجة سنة ٦٩٤ وعمره اثنتان وخمسون سنة ومدة ولايته إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر .



## يوسف بن طاهر اليربوعي

وفي سنة ٦٨٤ ولى طرابلس يوسف بن طاهر اليربوعي عقب وفاة محمد ابن عيسى الهنتاتي واستبد بطرابلس عن الحفصيين . . . واضطرب أمر إفريقية وكثرت فيها الثورات .

### محمد بن الواثق (١)

لقبه أبو عصيدة ، وهو ابن جارية . ولما قتل والده الواثق كانت أمه حاملاً به ، ففرت إلى بيت أبي محمد المرجاني - وكان رجلاً صالحاً - ولما ولدته سماه محمداً ، وعق عليه ، وأطعم الفقراء عصيدة القمح ، وبذلك قيل له أبو عصيدة . بويع بالإمارة في ٢٤ من ذي الحجة سنة ٦٩٤ ولقب المستنصر بالله . . . وتوفي يوم ١٠ من ربيع الآخر سنة ٧٠٩ ، وكانت ولايته ١٤ سنة ، وثلاثة أشهر ، و ١٧ يوماً .

نقل صاحب نزهة الأنظار ما ملخصه :

« الوزير جعفر المنصوري : وزير الأمير أبي حفص عمر أمير طرابلس . أخذ الوزير أموال الأمير وهرب إلى صفاقس ، واحتفى بزاوية سيدي علي أبي الحسن بصفاقس فأرسل الأمير في طلبه نحو ثلاثين فارساً ، فعثروا عليه بالزاوية ، وأبوا إلا أخذه ولو بالقوة ، وحاول الشيخ إقناعهم بتركه فأبوا . وأرادوا اقتحام حرم الزاوية للقبض عليه فغضب الشيخ ودعا عليهم ، فأصيبوا بشيء أخافهم ، فرجعوا هاربين إلى طرابلس .

وذكر أن ما نقله منقول عن ثبت مدون في أوراق بخط محمد بن محمد

الرقيق بتاريخ أواسط صفر سنة ٧٠٥

( ١ ) تقدم أن الواثق لقب ليحيى بن محمد بن يحيى ، وقتل في صفر سنة ٦٧٩ .

ولم نعث في أمراء طرابلس عن اسمه أبو حفص عمر ويوجد في أمراء تونس عمر بن أبي زكريا ، وكنيته أبو حفص . وفي أيامه كان الوالي على طرابلس محمد بن عيسى الهنتاني .

### زكريا بن أحمد اللحياني (١)

كنيته أبو يحيى . قدم طرابلس أيام أبي عصيدة فأقام بها من منتصف سنة ٧٠٧ إلى أواخر سنة ٧٠٨ . ومر عليه ركب الحاج فسافر معه ، وسأني خبر رجوعه .

### أبو بكر الشهيد

هو أبو بكر بن أبي الخطاب عبد الرحمن بن أبي بكر . ولقبه الشهيد بويج بالإمارة بعد وفاة أبي عصيدة ، وقتل في ٢٧ من ربيع الآخر سنة ٧٠٩ ودامت ولايته ١٧ يوماً .

### خالد بن أبي زكريا

كنيته أبو البقاء . بويج بالإمارة يوم قتل أبي بكر الشهيد ، وكان ضعيف الرأي لا حزم عنده . ثار عليه أخوه أبو بكر .

### زكريا بن أحمد اللحياني

تقدم أن كنيته أبو يحيى ، وأنه سافر من طرابلس إلى الحج أواخر سنة ٧٠٨ وقد عاد من الحج في أوائل سنة ٧٠٩ . وكانت عودته أيام خالد بن أبي زكريا . ولما وصل طرابلس ، وجد إفريقية مضطربة لضعف أبي البقاء عن ضبطها وإدارة أمورها فدعا لنفسه في طرابلس . وانضم إليه الكعوب : أولاد أبي الليل

( ١ ) كان جدهم محمد أخو الأمير أبي زكريا ذا الحية كبيرة فلقب اللحياني ، وتوارث عنه هذا اللقب أبناؤه وأحفاده وهو الذي كان بصحبته الأستاذ التجاني صاحب الرحلة .

من بنى سليم وبايعوه بالإمارة . . . وكان أبو بكر أخو أبي البقاء ثائراً عليه ، فكتب اللحياني بطرابلس ، وأرسل إليه بعض الهدايا فوعده بالمناصرة على أخيه . وأرسل اللحياني أولاد أبي الليل مع أبي عبد الله محمد المزدوري<sup>(١)</sup> إلى تونس ، لطرده خالد بن أبي زكريا منها ، فدخلوها غرة جمادى الأولى سنة ٧١١ ، ولم يقدر خالد عن الدفاع عن نفسه ، فأعلن خلع نفسه ، وقتل في ٨ من جمادى الآخرة سنة ٧١١ . وكانت ولايته سنتين ، و ١٣ يوماً . وحضر اللحياني إلى تونس ، وأخذ له المزدوري البيعة العامة بالإمارة في اليوم الثاني من رجب سنة ٧١١ .

### أبو بكر بن أبي زكريا

هو أبو بكر ، بن يحيى ، بن إبراهيم ، بن أبي زكريا الأول ، أمير قسنطينة<sup>١</sup> وكنيته أبو يحيى ، ولقبه المتوكل على الله . . . ولد بقسنطينة في شعبان سنة ٦٩٢ وهو أخو خالد أبي البقاء المتقدم ذكره ، وكان ثائراً عليه . وتقدم أنه كاتب اللحياني ووعده اللحياني بنصرته على أخيه خالد . ولما احتل اللحياني تونس اعتبرها أبو بكر عدم وفاء من اللحياني فثار عليه . وقد رأى اللحياني من نفسه العجز عن القيام بالحرب وإدارة الحكم لكبر سنه فاستعان في أموره ببعض رؤساء العرب ، فلم يزد أمره إلا اضطراباً ، فرأى من الحكمة الرجوع إلى طرابلس ، فجمع من تونس أموالاً كثيرة ، قالوا إنها تربى على عشرين قنطاراً ، وجوالين من حصى الدر والياقوت . وأتاب عنه في تونس محمد بن أبي عمران ، ورجع إلى طرابلس سنة ٧١٧ وبني فيها قصرًا

(١) كان المزدوري رئيس حكومة اللحياني . وقد اضطر في بعض ظروف حياته إلى الخروج من تونس وسكن قرية وذرف . وهي غربي قابس بنحو مرحلة ، وبها عيون ماء وقصر قديم ، ولناسبة وجوده في هذه القرية قال :

هذى عيون وذرف      دع العيون تذر  
بدلت من أرضي بها      وا أسنى وا أسنى

عظيماً سماه « الطارمة » وهو يقع تحت السور القبلي مما يلي البحر<sup>(١)</sup> ، وقد بناه بالجليز<sup>(٢)</sup> والرخام وكان معه محمد بن يعقوب ، وهجرس بن مرغم شيخ الجوارى ، وانضم إليه آل سالم ، وآل سليمان من عرب ذباب ، وكثرت جموعه من العرب . وكانت هناك فتن في الضواحي فتغلب عليها . واستقر في طرابلس . ومدة حكمه بتونس ستة أعوام وثلاثة أشهر ونصف . . . واستمر أبو بكر أمير قسنطينة في ثورته على الحكومة القائمة في تونس . وكان شجاعاً . ووقعت حروب بينه وبين بني هلال وبني سليم فتغلب عليهم .

### محمد بن زكريا اللحياني

كنيته أبو ضربة . وكان الموحدون من أنصاره . بويح له بالإمارة من الموحدين والعرب بعد فرار والده إلى طرابلس في منتصف شعبان سنة ٧١٧ ولقب المنتصر . وفي سنة ٧١٨ ثار عليه أبو بكر أمير قسنطينة كما ثار على والده من قبل فاستنجد بوالده في طرابلس ، فأرسل إليه جيشاً بقيادة وزيره زكريا بن يعقوب وأموالا كثيرة ، ففرق الأموال في العرب استجلاباً لنصرتهم ، فلم يغن عنه شيئاً جيش والده وأمواله . وفشل أبو ضربة في مقاومة أبي بكر ، ففر إلى طرابلس مستنجداً بوالده مرة ثانية ، فأمدده والده بالمال والرجال وجمع جيشاً كبيراً من بني سليم وبني هلال ، والتقى بالأمير أبي بكر في فج النعام<sup>(٣)</sup> فانهزم أبو ضربة وجيشه والتجأ إلى المهديّة ، فأدرك فيها وقتل في ربيع الآخر سنة ٧١٨ ودخل أبو بكر تونس في الثامن من هذا الشهر . ودامت إمارة أبي ضربة في تونس تسعة أشهر ونصفاً .

(١) ينسب صاحب المنهل العذب هذا القصر إلى عبد الواحد اللحياني . ويقول إنه لما مات والده أبو يحيى في مصر سنة ٧٣٢ رجع إلى المغرب يحاول أسباب الملك . وقدم طرابلس فأوطن بها وبني بها مقعداً إلى آخره . وستأق بعض أخباره .

(٢) هو البلاط المزخرف من القيشاني .

(٣) ويقال له أيضاً فج القيروان .

وبلغت أخبار هزيمة أبي ضربة وقتله إلى والده في طرابلس ، فأجر أسطولا وشحن فيه أمواله وأهله ، وهرب إلى مصر سنة ٧١٨ خوفاً أن يتزل به ما نزل بابنه ، ونزل ضيفاً على محمد بن قلاوون سلطان مصر إذ ذاك فأكرم نزله ، وبقي بمصر إلى أن توفي سنة ٧٢٨ .

### محمد بن أبي عمران

هو من نسل أبي عمران موسى بن إبراهيم بن الشيخ أبي حفص ، استخلفه اللحياني على تونس لما خرج منها إلى طرابلس . ولما سافر اللحياني من طرابلس إلى الإسكندرية أناب عنه محمد بن أبي عمران في طرابلس . . ويظهر أن ابن أبي عمران التحق بطرابلس لما بايع العرب والموحدون أبا ضربة في تونس ، أو لما تغلب الأمير أبو بكر على أبي ضربة ، وبقي ابن أبي عمران في طرابلس نائباً عن اللحياني مستقلاً بها عن أمير تونس أبي بكر بن أبي زكريا الذي أخرج أبا ضربة من تونس وقتله .

واجتمع رؤساء العرب الضاربين حول طرابلس ، وفي مقدمتهم حمزة بن أبي الليل ، وأغروه بالهجوم على تونس . وقد استجاب لدعوتهم ، وجمع منهم جيشاً وأغار به على تونس ، فاستولى عليها سنة ٧٢١ ، وأخرج منها أبا بكر ابن أبي زكريا ، وبقي بها إلى أوائل سنة ٧٢٣ . وفي هذه المدة كان أبو بكر يعد نفسه لاستردادها منه . وفي صفر سنة ٧٢٣ تغلب أبو بكر على ابن أبي عمران وأخرجه من تونس واستولى عليها ، فاضطر ابن أبي عمران إلى الرجوع إلى طرابلس ، غير أنه لم يجد من الأهالي الإقبال الذي كان يجده منهم قبل هجومه على تونس وبلغ من تبرمهم به أن ثاروا عليه سنة ٧٢٤ ، وأخرجوه من المدينة ، فلحق بالعرب خارجها ، وأغار بهم على تونس مراراً ، وفي كل مرة يتركونه وحده ، وقد يش من انتصاره بهم ، فلحق بتلمسان ، وكان أبو تاشفين حاكماً عليها فبقي ضيفاً عنده .

### بنو ثابت

هم عرب وشاحيون من بني سليم من الأسر الطرابلسية التي تسكن المدينة ،  
ولهم مكانة بين الطرابلسيين .

وقد استقلوا بحكم طرابلس نحو ٧٩ سنة . وكان لهم فيها أعمال يجدها القارئ  
فيما سنقصه من أخبارهم .

وأول حاكم منهم على طرابلس هو ثابت بن محمد بن ثابت تولاها سنة ٧٢٤  
وآخر حاكم منهم عليها يحيى بن أبي بكر بن ثابت عزل عن حكمها سنة ٨٠٣ .

### ثابت بن محمد بن ثابت

لما أخرج الطرابلسيون محمد بن أبي عمران ولوا عليهم ثابت بن محمد بن  
ثابت بن عمران سنة ٧٢٤ واستمر والياً إلى أن توفي سنة ٧٣٠ .

### الوشاحيون

ويقول ابن خلدون : وفي أوائل المائة الثامنة كثرت مشاغبة المحاميد والحواري  
للدولة الحفصية بتونس ، وما زال هذا شأنهم حتى تقلص ظلها عن قابس وطرابلس ،  
فاستبدلوا برياسة الضواحي ، وتولى بنو مكى رياسة قابس ، وبنو ثابت رياسة  
طرابلس ، وبهذا انقسمت رياسة أولاد وشاح إلى قسمين ، فتولى الحواري  
طرابلس وضواحيها ، وزنزور ، وغريان . وتولى المحاميد بلاد قابس ، وبلاد  
نفوسة . ٥١ .

ويلاحظ أنه منذ ظهور زكريا بن أحمد اللحياني قلت الأخبار عن طرابلس  
مما يدل على أنها بعدت عن تونس ، لأنه كلما كانت طرابلس تابعة لتونس  
كثر ذكر المؤرخين لأحوالها وتطورات الأمور فيها .

وفي سنة ٧٢٩ قدم وفد بني سليم - أعداء الحفصيين - على أبي تاشفين  
بتلمسان يستعدونه على الحفصيين ، فأرسل معهم محمد بن أبي عمران لمحاربة

الحفصيين بتونس . فجمع ابن أبي عمران جموعاً كثيرة من العرب ، وأغار على الحفصيين بتونس في أواخر سنة ٧٢٩ ، وضيق عليها الحصار . وفي صفر سنة ٧٣٠ استولى عليها ، وأفلت الأمير أبو بكر الحفصي جريحاً وقتل أكثر أتباعه ، ثم طرد منها ابن أبي عمران في رجب من هذه السنة .  
وتوفي الأمير أبو بكر يوم الأربعاء الثاني من رجب سنة ٧٤٧ ، وعمره ٥٥ سنة إلا شهراً . ومدة ولايته من حين ولي في المرة الأولى ٢٩ سنة ، وعشرة أشهر ، و ٢٥ يوماً .

### محمد بن ثابت

ولي طرابلس بعد وفاة أبيه ثابت سنة ٧٣٠ . وغزا جربة في أسطول عظيم وحاصرها ، ولقي مشقة في فتحها . وما زال يشدد عليها الحصار حتى استولى عليها وأصبحت تابعة لطرابلس .  
ولما تولى عمر بن أبي بكر على تونس سنة ٧٤٧ أرسل إليها جيشاً بقيادة أخيه الفضل ، وكان البحر الذي يفصلها عن البر قليل العمق ، فخاضه الجيش على أرجلهم حتى وصلوا سور البلد وحاصروها ، فتخلى عنها محمد بن ثابت ورجع إلى طرابلس .

### عمر بن أبي بكر

كنيته أبو حفص . بويح له يوم وفاة أبيه أبي بكر .  
وكان أبو الحسن عثمان المريني أمير تلمسان يتوق دائماً إلى الاستيلاء على إفريقيا . وفي أيام الأمير عمر أراد أن يحقق هذه الرغبة ، فرحل من تلمسان في صفر سنة ٧٤٨ . وجمع عليه رؤساء العرب من الكعوب وغيرهم ، وأخذ بيعتهم له ، فقويت بهم شوكته ، وأرسل إليه محمد بن ثابت أمير طرابلس بيعته ، فعظم أمره ، وقصد إلى تونس في هذا الجيش الجرار . ولما سمع به أميرها عمر ابن أبي بكر وأيقن أنه لا قبل له به فرّ هارباً ، فسمع به عثمان المريني فأرسل

في إثره من قتله . ودخل تونس في جمادى الآخرة سنة ٧٤٨ . وأقر عثمان المريني محمد بن ثابت على طرابلس ، وبقى بها إلى أن توفي سنة ٧٥٠ . وتوفي المريني في ٢٣ من ربيع الآخر سنة ٧٥٢ وبقى في إفريقية سنتين ونصفاً .

### عبد الواحد اللحياني

هو ابن زكريا بن أحمد اللحياني ، وهو أخو أبي ضربة . . . ولما مات والده بمصر سنة ٧٢٨ رجع إلى المغرب ليسعى لاسترداد نفوذهم ، ووصل إلى إفريقية وانضم إليه كثير من العرب ، وعبد الملك بن مكى حاكم قابس ، وهاجم تونس فرد خائباً ، ولحق بأبي تاشفين في تلمسان . فأرسله إلى طرابلس . ولكن البلاد قد أصيبت بطاعون جارف<sup>(١)</sup> في هذه السنة فمات به عبد الواحد قبل أن يصل إلى طرابلس .

### ثابت بن محمد بن ثابت ( الثاني )

تقدم أن محمد بن ثابت توفي سنة ٧٥٠ . وبعد وفاته ولي طرابلس ابنه ثابت من قبل إبراهيم بن أبي بكر الحفصي<sup>(٢)</sup> ، ولكن ثابتاً ما لبث أن استبد بها عن الحفصيين ، وقطع صلته بهم .

### احتلال الجنويين طرابلس

جنوة من البلاد الإيطالية . ولقرب الساحل الإيطالي من طرابلس ، كان الطليان كثيرى التردد على طرابلس للتجارة ، وهي أكبر سوق لتجارهم ، ولهذا

( ١ ) قال في النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٢ في سنة ٧٤٩ حصل وباء في أوروبا والشرق ، ووقع بأرض برقة إلى الإسكندرية ، وكثر الموت حتى إنه صلى في الجامع على سبعمائة جنازة دفعة واحدة . وقدم الإسكندرية مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس الغرب مركباً عليه طير تحوم في غاية الكثرة ، فقصدوه فإذا جميع من فيها ميت والطير تأكلهم . وقد مات من الطير أيضاً شيء كثير . هـ .

( ٢ ) تولى بعد وفاة أخيه الفضل سنة ٧٥١ . وتوفي في رجب سنة ٧٧٠



كانوا أكثر الناس علماً بأحوالها واطلاعاً على عوراتها، وكانوا دائمى التربص بها . وكلما آنسوا منها ضعفاً غزوها . وتاريخهم فى هذا قديم ، وحوادثهم متكررة منذ الفتح الإسلامى إلى يومنا هذا .

وفى أيام محمد بن ثابت أخذت الأمور تستقر فيها ، ونشطت التجارة ، فأعجبتهم حالها ، فبيثوا غزوها وأعدوا لها من الجيش والأسطول ما رأوا فيه الكفاية . ويقول عنه ابن حجر العسقلانى فى « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » : إنه كان شاباً غزاًء . فاحتال عليه الفرنج ، فقدمت منهم طائفة : فى عدة مراكب بصفتهم تجاراً ، وهم مقاتلة ، فراسلوا من فى المدينة من الإفرنج وأطلعوهم على سرهم ، وأرسلوا من عندهم ترجماناً شيخاً مجرباً ، فرأى فى البلد غلاء لقلعة الحب عندهم ، وأشار على ثابت أن يجمع الأسلحة التى مع الجند ، ويجعلها عنده فى القلعة ليطمئن إليه تجار الفرنج ، وينزلوا من مراكبهم ويبيعوا ما معهم من البضائع . وذكر له أن الخمس الذى يخصه من البضائع يجتمع منه مال كثير ، وينتفع الناس بما معهم من المأكولات ، ففعل ، فلما تحقق الفرنج ذلك أنزلوا من مراكبهم بعض البضائع التى معهم ، ففرح أهل البلد بها وتسارعوا إلى شرائها منهم ، فلما اطمأن الفرنج لإيهم تسوروا عليهم السور ليلاً ، وهجموا على البلد دفعة واحدة سحرراً وأهلها غافلون فقتلوا منهم كيف شاءوا ، وحاصروا القلعة ، فهرب ثابت - تدلى بعمامة من القصر - واستولى الفرنج على البلد وكان ذلك فى سنة ٧٥٥ حتى اشتراها منهم أبو العباس أحمد بن على صاحب قابس وجربة بخمسين ألف مثقال من الذهب .

وفى العاشر من ربيع الأول سنة ٧٥٥ صبحوها على غرة ، وتسلقوا السور ، وما شعر الأهالى إلا والعدو فى الشوارع وعلى أبواب البيوت ، وحيل بين الأهالى وبين أسباب الدفاع ، وغلبوا على أمرهم ، فملكوا البلاد واستولوا على ما فيها من متاع وأموال ، وأسروا الرجال والنساء ، ونقلوا كل ما استولوا عليه إلى جنوة حتى الأسرى . ولم يتمكن محمد بن ثابت من الدفاع عنها ففر إلى قبيلة الجوارى خارج السور ليحتمى بها .

ويقول ابن حجر العسقلاني في « الدرر الكامنة » : إنه تدلى من القصر بعمامة . . .  
 وديارهم معروفة الآن بجهة النواحي الأربعة جنوبي المدينة . . . والحواري من  
 ذباب إحدى بطون بني سليم ، فلم يحموه ، بل قتلوه لدم يطالبونه به . وفر أخوه  
 أبو بكر بن محمد إلى مصر .

## بنو مكى

كانوا حكام قابس . وهم من البربر ، ونسبهم في لواتة . وجدهم مكى بن  
 فرح ، بن زيادة الله بن أبي الحسن ، بن محمد ، بن زيادة الله ، بن الحسين  
 اللواتي .

## أحمد بن مكى

لما احتل الجنويون طرابلس سنة ٧٥٥ كان أحمد بن مكى حاكم قابس ، فتوسط  
 لديهم في فدائها ، فشرطوا عليه خمسين ألف مثقال من الذهب العين ، فقبل ؛ وأرسل  
 إلى السلطان أبي عنان في تونس يستنهض همته في دفع المبلغ ، فلم يسرع في  
 الإجابة ، وألح الجنويون على ابن مكى في الطلب ، فأخرج ما عنده ، واستوهب  
 أهل قابس والجريد والحاممة فوهبوه ما بقي ، ودفع المبلغ للجنويين وسلموا له  
 طرابلس بعد أن مكثوا فيها حوالي خمسة أشهر . وقد أرسل إليه أبو عنان المال  
 ليرده على أهله فاعتذر عن أخذه ، وإنها لرجولة منه تمثل الشهامة والنخوة ،  
 وأنبأ عاطفة إنسانية .

وكانت قابس تابعة لتونس . فعقد له أبو عنان على طرابلس فتولاها وجعلها  
 دار إمارته . . . وبقى أميراً عليها إلى أن توفي سنة ٧٦٦ . . . وتوفي أبو عنان في  
 الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٧٥٩ ، وعمره ثلاثون سنة ومدة حكمه عشر  
 سنوات .

## عبد الرحمن بن أحمد بن مكى

ولى طرابلس بعد وفاة أبيه أحمد بن مكى . وكان عبد الرحمن سيئ التدبير عاجز الرأى مستبدًا . كرهه الناس وشموا حكمه .

## أبو بكر بن محمد بن ثابت

تقدم أن محمد بن ثابت فر إلى الجوارى فقتلوه ، وفر أخوه أبو بكر إلى مصر . وفى سنة ٧٧٢ رجع إلى طرابلس بطريق البحر ومعه أسطول فأغار به على طرابلس ، وحاصرها به من جهة البحر ، وأنزل رجاله إلى البر ، واتصل بسكان الضواحي من العرب والبربر ، وألبهم على عبد الرحمن بن أحمد وأصبحت المدينة محاصرة من البحر والبر ، وكان عبد الرحمن مكروهاً من الأهالى لسوء سلوكه وتجبهره على الأهالى ، وقد وجدوا فرصة للخلاص منه ، فثاروا عليه ، وفتحوا المدينة لأبي بكر فدخلها ، وقبضوا على عبد الرحمن وسلموه لأحد رؤساء ذباب فأجاره ، وأوصله إلى قابس ، وكان بها عمه عبد الملك بن مكى . وملك أبو بكر طرابلس . وأرسل هدايا كثيرة إلى أمير تونس أحمد بن محمد<sup>(١)</sup> وكان فيها كثير من الرقيق وأنواع المتاع وقدم له الطاعة فقبلها وأقره على ولاية طرابلس، ولم يزل أبو بكر والياً عليها إلى أن توفى سنة ٧٩٢

## على بن عمران بن محمد بن ثابت

ولى طرابلس بعد وفاة عمه أبي بكر بن محمد سنة ٧٩٢ . ولم يستقر بنو ثابت على حال ، فتارة يتبعون تونس ، وتارة يستقلون بطرابلس . وفى أيام على هذا اضطربت أحوالهم ، وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريجهم فالتجأ رئيسهم أبو خلف إلى أمير تونس أحمد بن محمد الحفصى يستنجد به وطلب

(١) تولى إمارة تونس فى ١٨ من ربيع الآخر سنة ٧٧٢ وتوفى يوم الثالث من شعبان سنة ٧٩٦ ومدة إمارته ٢٤ سنة وثلاثة أشهر ونصف .

منه المعونة على غزو طرابلس ، وإخراج علي بن عمران منها ، فاستجاب لطلبه وأرسل معه ابنه عمر سنة ٧٩٤ في جيش ، وهاجموها ، وقد دافع عنها واليها علي ابن عمران حتى أيسوا من اقتحامها عليه فلجأوا إلى طريق الحصار وأقاموا عليها سنة يمنعون عنها الأقوات ويشنون عليها الغارات وقد سُم عمر بن أحمد طول البقاء ، وسُم المحاصرون طول الحصار . وأخيراً اتفقوا مع عمر بن أحمد على أن يدفعوا له غرامة ويرتحل عنهم ، فدفعوا له ما اتفقوا عليه ورحل سنة ٧٩٥ وبقى علي ابن عمران والياً على طرابلس .

ولم يسلم علي بن عمران من المنافسة على ولاية طرابلس . فقد كان ابنا عمه يحيى وعبد الواحد ينافسانه الولاية ، ويسعيان للاستيلاء على طرابلس . ولما تولى عبد العزيز بن أبي العباس<sup>(١)</sup> استنجد به يحيى وعبد الواحد على ابن عمهما علي بن عمران . فأجاب طلبهما ، وجهاز جيشاً ، وسار معهما سنة ٨٠٠ لطرده علي بن عمران من طرابلس وتسليمها لهما . وكان له ما أراد ، فامتلك طرابلس وقبض على واليها علي بن عمران .

### يحيى بن أبي بكر بن ثابت

ولاه عبد العزيز علي طرابلس بعد أن احتلها ، وعقد لأخيه عبد الواحد على الجند ، وأمكنهما من السلطة على طرابلس ورجع إلى تونس . وقد اتضح لعبد العزيز أن يحيى وعبد الواحد لا يمكنهما القيام بحكم طرابلس ، ويظهر أنه أحس منهما ما يهدد نفوذه على طرابلس ، ويمكنهما من الاستقلال بها . ويقال إنه علل ما اتضح له بخوفه من هجوم الفرنجة عليها ، فسار إليها سنة ٨٠٣ وعزل يحيى وعبد الواحد ، وولى عليها من قبله أحد رجاله الذين يثق فيهم<sup>(٢)</sup> ، وأصبحت طرابلس تابعة له . وانقرض حكم بني ثابت من طرابلس ، وإمارتهم عليها .

(١) وكنيته أبو فارس ، واشتهر بعزوز . بويع له بالإمارة سنة ٧٩٦ حارب المفسدين من شيوخ العرب وأجبرهم على الطاعة وثار عليه عمال البحر يد فطاردهم إلى درج خدامس . وامتد ملكه من طرابلس إلى أقصى المغرب وتوفي يوم عيد الأضحى سنة ٨٣٧ ودام حكمه إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام .  
(٢) قال في المنهل العذب : اسمه عبد العزيز ، ولم يزل والياً على طرابلس إلى أن توفي سنة ٨٢٣ .

### محمد بن عبد العزيز

لقبه المنصور. وفي أوائل سنة ٨٠٣ حاصر عبد العزيز طرابلس . واضطرته شدة المقاومة إلى أن يطيل حصارها . وفي اليوم السادس من رجب من السنة المذكورة تغلب عليها ، ودخلها فاتحاً وعين ابنه المنصور والياً عليها . وتوفي المنصور في طرابلس سنة ٨٣٣ . ومدة حكمه عشر سنوات ، ونقل جثمانه إلى تونس ، ودفن إلى جوار سيدي محمد بن خلف .

### عبد الواحد بن حفص

كنيته أبو محمد . عقد له أبو فارس على طرابلس بعد وفاة ابنه محمد المنصور سنة ٨٣٣ . وكان أبو محمد هذا حازماً في أموره ذا رأى صائب قوى الإرادة .

ولما عرضت عليه الإمارة اشترط لقبولها شروطاً : أولاً : أن يتي والياً على البلاد ، ولا يعزل حتى يعيد البلاد إلى أعز ما كانت عليه من الغنى والراحة . ثانياً : أن يستقل بالإدارة ، ولا يرد أمره في شيء . ثالثاً : أن يتخذ لنفسه جنداً حسبما يريد . وقد قبلت كل شروطه على رضى من الأمير عبد العزيز . ومنذ أن أسندت إليه أمور طرابلس أخذ يعمل لاستتاب الأمن ، واطمئنان الناس على أموالهم وأرواحهم . وضرب على أيدي الأشقياء من الأعراب العابثين بالأمن . وسلك معهم طريق الترغيب تارة ، والترهيب أخرى حتى قضى عليهم وأقام العدل بين الناس فيما ولاه الله منهم . فملك ناصية الأمور ، ونعمت البلاد في أيامه بالراحة . واتسعت تجارتها ، وكثرت الأموال . وبقى والياً عليها إلى أن توفي سنة ٨٥٨ (١) . ومدة حكمه ٢٥ سنة كانت من أهنأ السنين على البلاد راحة وروغد عيش .

(١) يقول الأستاذ بيرم تولى بعده ابنه ، ولم نعر على اسم هذا الابن ولم يذكره هو .

وقد أقره على ولاية طرابلس محمد المنتصر<sup>(١)</sup> بن محمد المنصور ، وعثمان  
ابن محمد المنصور.

### أبو بكر بن عثمان

ولاه والده عثمان<sup>(٢)</sup> بن محمد على طرابلس سنة ٨٥٨ عقب وفاة عبد الواحد  
ولم يحدث في زمنه ما يكدر صفو البلاد ، لأن عبد الواحد مهد له السبيل ،  
وأقام فيها من العدل ما حفظها من الفتن أيام أبي بكر .

وفي أيامه سنة ٨٦٢ جاء والده عثمان إلى طرابلس ليتفقد أحوالها ورجع  
إلى تونس .

### يحيى بن محمد المسعود

هو حفيد عثمان . وقد توفي والده محمد المسعود في حياة جده عثمان سنة ٨٧٥  
فأوصى له جده بالإمارة بعد وفاته ، واسندت إليه في أواخر رمضان سنة ٨٩٣<sup>(٣)</sup>  
وكان عمه أبو بكر والياً على طرابلس فأقره على ولايتها . ولكن أبا بكر لم تسترح  
نفسه لإسناد الإمارة لابن أخيه ، ويرى أنه أولى بها منه ، وأن في تخطي والده  
له وإسنادها لابن أخيه غمطاً لحقه وحطاً من كرامته . فشق على ابن أخيه  
عصا الطاعة ، وحاول أن يستقل عليه بطرابلس ، وطلب من أهلها أن يؤيدوه ،  
ويبايعوه بولايتها مستقلاً بها عن تونس . ولكن أهل طرابلس لم يوافقوه .

(١) بويج له بالإمارة بعد وفاة جده عزوز يوم عاشوراء سنة ٨٣٨ وتوفي يوم ١٢ من صفر  
سنة ٨٣٩

(٢) بويج لعثمان بعد وفاة أخيه محمد المنتصر يوم ١٣ من صفر سنة ٨٣٩ . وفي أيامه سنة  
٨٤١ توفي أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن حلولو الزليطني . ولى قضاء طرابلس ورجع إلى تونس .  
وهو شارح جمع الجوامع . ومختصر خليل وتنقيح القراني . وإشارات الباجي . وعقيدة الرسالة . وتوفي  
عثمان سنة ٨٩٣ .

(٣) توفي يحيى بالطاعون في ٩ من شعبان سنة ٨٩٩ ، ومدة إمارته ست سنين إلا أربعين يوماً .

## ثورة بني غراب

ثار بنو غراب على أبي بكر ، وناصره بعض السكان ، ووقعت حرب بين الفريقين انتهت بالقبض على أبي بكر وإرساله لابن أخيه في تونس فسجنه أياماً ثم قتله . وبقيت طرابلس تعاني شر الانقسام والتحزب . وقد قام من بينهم رجل يقال له منصور فسعى بين الفريقين بالخير فاستمعوا لنصائحه ، فهدأت الفتنة . وقد جازاه الطرابلسيون خيراً جزاء فاختاروه حاكماً للمدينة عليهم بدلاً من الحاكم الخفصي أبي بكر . وسمع سكان الدواخل ببيعة الشيخ منصور <sup>(١)</sup> حاكماً على المدينة ، فجاءته البيعة من غريان ، وترهونة ، ومسلاّته وبني وليد <sup>(١)</sup> .

وما لبث الشيخ منصور أن تغيرت حاله ، وأصبح جباراً ظالماً فقتله أحد أقاربه حوالي سنة ٨٧٦ هـ . وخلفه في الحكم رجل يقال له يوسف <sup>(١)</sup> ، ومات بالطاعون سنة ٨٨٥ هـ . وخلفه في الحكم مامي <sup>(١)</sup> وبقي في الحكم نحو اثني عشرة سنة ، وتوفي سنة ٨٩٨ هـ . . . . . واتفقت كلمة الطرابلسيين على تعيين الشيخ عبد الله بن شرف <sup>(١)</sup> فولوه حاكماً عليهم ، وكان رجلاً يميل إلى العبادة والزهد في الدنيا حتى لقب بالمرابط . وقد تغلبت عليه هذه الناحية الروحية ، فلم يكن عنده اهتمام بتحصين البلاد ، وتقوية أبراجها وأسوارها ، ولا بإعداد الجند الكافي للدفاع عنها ، فأصبحت عرضة لطمع الأعداء .

ولم تكن ثورة بني غراب ذات أثر كبير على ثروة البلاد . وقد دام حكم الشيخ عبد الله بن شرف نحو ١٨ سنة استطاع فيها السكان أن يضيفوا إلى ثروتهم ما فقد منها أيام ثورة بني غراب .

ويمكننا القول بأن طرابلس — منذ أن تولاهما عبد الواحد بن حفص سنة ٨٣٣ — إلى أن احتلها الإسبان سنة ٩١٦ — كانت في رخاء مستمر وأمن شامل ،

( ١ ) تعيين هذه الأسماء منقول عن رسالة الأستاذ عمر الباروني .

وأمكنها في هذه المدّة - وهي لا تقل عن ٨٣ سنة - أن تجمع ثروة هائلة كانت مضرب المثل في الشمال الإفريقي ، وذهب أهلها في متع الحياة مذاهب شتى أدت بهم إلى أن أفسد الترف عزائمهم ، وانصرفوا إلى ملذاتهم عن كل شيء يذكى فيهم روح الشهامة ، ويحملهم على اتخاذ الأسباب لتحسين بلادهم ، والدفاع عن حريمهم ، وعن هذه الثروة الهائلة التي شاع ذكرها في جميع البلاد الأوربية ، والتي كانت سبباً في تكالب الفرنجة على استعبادهم .

### احتلال الأسبان لطرابلس

بعد أن سقطت الأندلس في أيدي الأسبان ازدادوا حمية ورغبة في مطاردة العرب للتكيل بهم والقضاء على الدين الإسلامي ومطاردة معتنقيه أينما وجدوا . وانضم إلى هذه الحركة أنصار البابوية في روما ، وشاركت فيها كل الطوائف النصرانية ، إلا أن الكاثوليك كانوا في المقدمة . وعلى جهودهم تقوم حركة مطاردة الإسلام ومعتنقيه . وكان أكبر ميدان لهذه الحركة هو الشمال الإفريقي بعد الأندلس لقربه من بلاد الأندلس وهي زعيمة هذه الحركة ، ومن جنوب أوربا الذي يناصرها سكانه ، وهو يعتبر مهد الكاثوليكية ومنبعها .

ولم يكن يجرؤ أحد من الأوربيين على مزاحمة الأسبان في زعامة هذه الحركة ، لأن بيئتهم تأثرت بحضارة العرب ، ونفوسهم تشبعت بعلومهم وآدابهم ، واقتبسوا عنهم خطط الحرب وخطاها ، وكيف ينال النصر وتتقى الهزيمة ، فكانوا في مقدمة الأوربيين الذين استضاءوا بنور الحضارة الأندلسية ، وأيضاً فهم الذين طردوا العرب من الأندلس ، لهذا وذاك كان الأسبان أولى بزعامة الحركة التي تهدف إلى إبادة العرب والقضاء على الإسلام .

وابتدأت الحركة باحتلال الجزائر . ففي ٢٢ من ذي القعدة سنة ٨١٤ احتل الكونت بدرو نافارو وهران عاصمة الجزائر . . . وفي ٥ من رمضان سنة ٩١٥ احتل بجاية .



وزداد تكالب الأسبان على احتلال الساحل الإفريقي تكالبا شجعهم عليه ضعف الدولة الحفصية ، وما أحرزوه من نصر في احتلال وهران ، وبجاية . وكانت رغبة الانتقام من المسلمين ، والعرب على الأخص تدفعهم دفعا ، وتبدو واضحة في أعمالهم الهمجية التي يرتكبونها في كل بلد تمكنوا من احتلاله وأوقعه سوء حظه تحت سيطرتهم . . . . فما كانوا يوقرون شيخا ، ولا يرحمون ضعيفا ولا يترفعون عن قتل الأطفال ، وبقر بطون الحوامل ، وهتك الحرمات ، وأعمال السلب والنهب .

وفي أثناء ما كان الأسبان يحتلون الشمال الإفريقي كانت الدولة العثمانية ظهرت إلى الوجود ، وتركزت في الأستانة ، وكانت دولة مسلمة يهيمها من أمر الإسلام ما يهيم كل مسلم يحترم دينه ، وكان لحوادث الأندلس وقع سيئ على نفس هذه الدولة الفتية ، وامتد نفوذها إلى شرق البحر المتوسط .

ولم يهمل الأسبان من حسابهم هذه الدولة الناشئة التي تدين بالإسدم الذي جردوا للقضاء عليه كل ما يملكون من نفس ونفيس . وقد أصبح لها أسطول ، ونفوذ في البحر المتوسط . وأيقنوا أنهم إذا لم يتقوا هذا الخطر بما يحول بينهم وبينه ، أو بما يحد من نشاطه أدركهم لاحالة ، وقضى على مشروعاتهم العدوانية ضد الإسلام .

وكانت طرابلس أقوى مركز يتخذ لمواجهة الخطر العثماني في البحر المتوسط لأنها أكبر مدينة في شرق الشمال الإفريقي ، وأقوى نقطة للدفاع عنه من الهجوم عليه من الشرق ، وأقرب نقطة لتكوين ونجدة الجيوش التي تغزو الشرق . وقد كانت طرابلس في السنين الأربعين التي تقدمت احتلال الأسبان امتازت بنصيب وافر من الثروة ورفاهة العيش . فكان مركزها الجغرافي والطمع في الاستيلاء على ثروتها يدفعان إلى التعجيل باحتلالها . وفي السيطرة على ثروتها فائدة أخرى ، وهي أنها لا ينتفع بها في إنشاء الجيوش والأساطيل وتقوية القلاع التي قد تحول بينهم وبين احتلالها وحينئذ يصبح مركز مالطة بل وكل الشمال الإفريقي في خطر .

ومن أقوى الأسباب التي هيأت للأسبان احتلال طرابلس هو ضعف الحماية فيها ، وانصراف الناس إلى تنمية المال ، وإلى متع الحياة عن الاهتمام بتقوية الجيش وتحصين القلاع .

ومن المناسبات التي انتهزها الأسبان للتعجيل باحتلال طرابلس أنه في سنة ٩١٦ - وهي سنة الاحتلال - وقع خلاف بين أحمد الحفصي وبين والده الناصر ، فذهب إلى الأسبان يستنجد بهم على أبيه ، واتفق أن جاء تجار من الأسبان كانوا في طرابلس ، فأخذوا يغرون حكومتهم بطرابلس ويقللون من شأنها ، ويصفون لها ما فيها من الثروة الهائلة ، وما فيه أهلها من التعم الذي أدى إلى انحلال رجولتهم ، وتركهم كل ما يستعمل في الحرب حتى المدى ، وقالوا له : ما رأينا بلداً أكثر منها مالا ، وأقل سلاحاً ، وأعجز عن مدافعة العدو ، فكان هذا الوصف مشجعاً للأسبان على التعجيل باحتلالها .

وهذا وصف للحملة الأسبانية مختصر من رسالة : « الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس » للأستاذ عمر محمد الباروني .

وكان الأسبان قد استعدوا لغزو طرابلس ، فجهزوا مائة وعشرين قطعة بحرية ، وانضم إليها سفن أخرى من مالطة ، وشحنت بخمسة عشر ألف جندي من الأسبان ، وثلاثة آلاف من الإيطاليين والمالطيين . وفي ٨ من ربيع الآخر سنة ٩١٦ هـ . ألق الأسطول من فافينيانا ، ومر بجزيرة قوزو بمالطة فتزود منها بالماء . وانضم إلى الجيش خبير مالطي اسمه جوليانو بيلا له معرفة بطرابلس . وقد أعدت هذه الحملة بإشراف نائب الملك في صقلية . وبإعانة الجيوش الصقلية والإيطالية .

وقد تسربت أخبار هذه الحملة إلى طرابلس قبل حركتها بنحو شهر ، فأخذ الناس في الهجرة منها إلى غريان ، وتاجورة ، ومسلاتة ، وأخذوا معهم كل ما كان مهماً من أموالهم ، وما أمكنهم من أثقال متاعهم ، ولم يبق بالمدينة إلا المحاربون ، وشيخ المدينة وأهله ، واسمه عبد الله بن شرف وبعض

السكان الذين لم يقدروا على الفرار ، وانحازوا إلى قصر الحكومة والجامع الكبير .  
وصعد المحاربون فوق الأسوار وعلى القلاع .

واقرب الأسطول الأسباني من المدينة ، ورسا على مينائها ليلة الثامن عشر  
من ربيع الآخر سنة ٩١٦ هـ . الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٥١٠ م . وهو  
اليوم الذي يوافق يوم القديس جاك الرسول ، وهو يوم محترم عند الأسبان .  
وبات القائد العام الكونت بدرو نافارو ويرتب الجيش ويصدر إليه الأوامر . . .  
وكلف أربعة آلاف جندي منه بمهاجمة العرب خارج المدينة لقطع الاتصال  
بينهم وبين من بداخلها ، وكلف باقى الجيش بمهاجمة داخل المدينة ، ومن على  
الأسوار وداخل القلاع .

وأنزلت الجيوش فى القوارب وكانت بقيادة « بيتر و نافارو » . وفى الساعة  
التاسعة صباحاً ابتداء الهجوم ، وأطلقت السفن مدافعها على الأسوار وقصر  
الحكومة . ونزل الجيش المكلف بمنع العرب من الاتصال بالمدينة إلى البر بجهة  
سيدي الشعاب لمنع الاتصال بالمدينة . . . واندفع الجيش الأسباني نحو المدينة  
تحميه مدافع الأسطول ، فاحتل البرج القائم على باب العرب وبعض الأسوار .  
وتمكن الأسبان من فتح باب السور ، واتصل الجيش الخارجى بالجيش الداخلى  
واستبسل الطرابلسيون فى الدفاع . وجاء فى رسالة القائد نافارو أنه لم يخل موضع  
قدم فى المدينة من قتيل<sup>(١)</sup> ، ويقدر عدد القتلى بخمسة آلاف ، والأسرى  
بأكثر من ستة آلاف . وتغلب الأسبان على مقاومة العرب العنيفة . واحتل  
قصر الحكومة عنوة ، وأسر فيه شيخ المدينة الشيخ عبد الله بن شرف هو وزوجه  
وأبناؤه . وقد حمى وطيس المعركة حينما تمكن حامل العلم الأسباني من نصبه  
على برج القصر .

وأبدي من التجأوا إلى الجامع الكبير مقاومة شديدة ، فقتل منهم نحو ألفى  
طرابلسى بين رجال ونساء وأطفال . . . ويقول بعض من نقل عنهم السيد عمر  
البارونى : إن القتلى من الأسبان كانوا ثلاثمائة رجل . وكان من بين الموتى

(١) رسالة الأستاذ عمر البارونى .

كولونيل كبير في الجيش ، وأميرال الأسطول ، وشخصية أخرى كبيرة من النبلاء .

وقبل أن تغرب شمس يوم ١٨ من ربيع الآخر سنة ٩١٦ هـ . سقطت مدينة طرابلس في يد الأسبان . سقطت مدينة طرابلس العربية المسلمة في يد أعداء الإنسانية الأسبان والطلليان ، أعداء الفضيلة والحق . سقطت بعد أن أريقت دماء الطرابلسيين في كل بقعة منها ، وعلى كل منفذ وطريق ، وفوق كل قلعة وبرج ، وفي صحن الجامع وعند المحراب - دفاعاً عنها ، وعن عفاف النساء وطهارة المحجبات ، فحياً توجّهت تعثرت رجلاك في جثث أطفال لم يرث لصراخهم ، وفي أجسام نساء مبقورات البطون مقطوعات الأثداء لم ترع حرمتهم ، وفي أشلاء شيوخ لم تحترم شيخوختهم ولكثرة القتلى فقد أقيت جشهم في صهاريج الجوامع وفي البحر وأحرق بعضها بالنار . وأخذ شيخ المدينة عبد الله ابن شرف هو وأولاده وحرّيمه أسرى إلى بلرمو ، وبقوا هناك نحو عشر سنوات كل ذلك من أجل الصليب ، وفي مرضاة الصليب .

هذا موجز ما جاء في رسالة الأستاذ الباروني عن حملة الأسبان على طرابلس ولا شك أن الحامل على التمثيل بالنساء والأطفال هو الانتقام من العرب ، والتعصب ضد الإسلام للقضاء عليه في الشمال الإفريقي ، وكل حرب اشتملت على مثل هذه الشناعات سماها الأوربيون الحرب المقدسة ، وأن ما ارتكبه الطليان من فظائع في طرابلس لما احتلوها سنة ١٣٢٩ هـ . ١٩١١ م . هو صورة معادة من هذا الانتقام الصليبي الذي يتقرب به الأوربيون إلى الصليب كلما تمكنوا من الاستيلاء على بلد عربي أو إسلامي ، ويرونه من صفاتهم الإنسانية الكاملة التي يتباهون بالاتصاف بها ، ويتقربون بها زلفى إلى الصليب .

### قصة عجيبة

اقترن هذا الاحتلال بقصة عجيبة ، صيغت في قالب يبدو أنه مغرق في الخيال إلى أبعد حد ، وقد أجمعت كل الكتب التي ألفت بعد هذا الاحتلال على ذكر هذه القصة وما اشتملت عليه من غرابة بدون أن ينتقدها أحد أو يعلق عليها برأى مما يجعل النفس لا تستغرب أن يكون لها ظل من الحقيقة .

ذلك أن طرابلس توالى عليها الفتن في تاريخها القديم ، فما تكاد تنهى فيها ثورة حتى تقوم أخرى . ودامت على هذه الحال مئات السنين ، وهي مسرح للملاحم السياسية والعسكرية التي كانت تثيرها الخلافات بين الحكام والأمراء وبعض النزعات المذهبية ، وقد استمرت هذه الحال من القرن الثاني الهجري ما عدا فترات قليلة لا تعدّ شيئاً في مئات السنين ، حتى أتت هذه الحروب المتواصلة على الرجال والثروة ، وكان لها أسوأ الأثر على تأخر الثقافة العربية فيها ، حتى قال بعض المؤرخين : إن طرابلس كانت تعتمد في ثقافتها - خلال هذه المدة - على من يفد عليها من الحجاج وطلاب العلم مغربين ومشرقين ، وعلى من يستصحبهم أمراء إفريقية معهم في طريقهم إلى الحج من أهل العلم والفضل . وكان السكان يعيشون في حياة مضطربة ، توارثها الأبناء عن الآباء ، وورثها الآباء عن الأجداد ، لا أمن على الحياة ، ولا أمل في ادخار رزق أو تنمية مال ، وقد عانت المدينة أكبر قسط من هذا الاضطراب . وفي سنة ٨٣٣ تولى عليها عبد الواحد بن حفص من قبل أمير تونس عبد العزيز بن حفص المشهور بعزوز وقد اتصف هذان الرجلان بالحزم والشجاعة ، والعدل وقوة الإرادة . وأطلقت الحرية لعبد الواحد في إصلاح البلاد كيفما شاء بدون معارض فبذل من حزمه وسديد رأيه ما يبذله المخلصون القادرون على الإصلاح . فاستتب الأمن في طرابلس ، وشعر الناس بالطمأنينة ، فاندفعوا بكل قواهم إلى العمل في التجارة ، والزراعة ، والصناعة . ووجدوا من رعاية هذا الرجل المصلح ما أبدل خوفهم أمناً ، وفقروهم غنى . وبقوا في حكم عبد الواحد ٢٥ سنة ذاقوا فيها

من ألوان السعادة ما لم ير أجدادهم قريباً منه في مئات السنين الماضية ، وجاء بعد عبد الواحد أبوبكر بن عثمان فبقي معهم ٣٥ سنة لم يحدث فيها ما يكدر الصفو بما مهد له عبد الواحد بعدله وقوة عزيمته مما كان خير عون له على الحكم الصالح .

وفي هذه المدة الطويلة أثرى الطرابلسيون إثراء لا مزيد عليه ، وانغمسوا في الرفاهية وبُلْهنية العيش ، ولم يقفوا عند حد في إشباع رغباتهم من نعيم الحياة تعويضاً لما فاتهم في تلك السنين القاسية الطويلة .

وقد انتهى بهم هذا الرفه إلى تلك النتيجة التي تنتظر ذوى الرفاهة وهي انحلال العزائم ، وميوعة الرجولة التي جرت سنة الله أن تكون دائماً سبباً في انهيار كل أمة مترفة .

وبما أن طرابلس على صلة دائماً بشواطئ البحر المتوسط الشمالية فقد لفت إليهم ما تأثروا به من ميوعة الترف أنظاراً أوربا عامة ، والإيطاليين والأسبانيين خاصة فجعلوا يفكرون في احتلال هذا البلد الذي أفسدت الرفاهية رجولة أهله ، وحلت عزائمهم ، فبيتوا الأمر ، وتزعم الأسبان المؤامرة ، وأشركوا معهم النابليين ، والصقليين ، والمالطيين واحتلوا مدينة طرابلس في المحرم سنة ٩١٦ كما ذكرناه آنفاً .

ولمّا هنا لانجد في الأمر غريباً من قوم جربوا بؤس الحياة وويلات الحرب أجيالاً ، ثم لما بسط عليهم العدل جناحه جدوا في كسب الثروة ، وانغمسوا في نعيم الحياة حتى وصلوا إلى نتيجة هذا الانغماس ، وهي الانحلال ثم الاستعباد . ولكن الغريب في الأمر هو ما ذكره الأستاذ بيرم الخامس<sup>(١)</sup> وغيره من المؤلفين وجعلوه سبباً في هذا الاحتلال .

(١) ذكره في كتابه : « صفوة الاعتبار » . وذكره الأستاذ محمود مقديش الصفاقسي في كتابه « نزهة الأنظار » . وهو من أهل القرن الثاني عشر هـ وتوفي سنة ١٢٢٨ وأما الأستاذ بيرم فقد ولد سنة ١٢٥٥ وذكر هذه القصة ابن خلدون ، وهو من أهل القرن الثاني عشر . ورجع من الأزهر إلى مصر سنة ١١٣٣ هـ . وذكرت في المنهل العذب .

## لؤلؤة ودلاعة (١)

قال الأستاذ بيرم : ولطول ما تقلبت على الطرابلسيين الأحوال ، وتعاقبت عليهم دول الاحتلال ستموا الحرب ، وصار حمل السلاح عندهم ممقوتاً وأثروا إثراء عجبياً ومالوا إلى الدعة .

وقد حدث أن جاءت إلى طرابلس سفيتان أسبانيتان محملتان بالبضائع ، فاشتراهما تاجر واحد ، ودفع ثمنهما نقداً ، فعجب أصحاب السفيتين لذلك ثم دعاهم آخر للضيافة ، فأقام لهم مائدة فاخرة مما زاد في إعجابهم . وقد دفع هذا التاجر غروره بالمال إلى أن أخذ لؤلؤة ثمينة ودقها دقاً ناعماً ، وذرها على الطعام على مرءاً من الضيوف ، وقال لهم هذا مقام الفلفل ، ثم أحضر ( دلاعة ) بطيخة خضراء ، ولكنه لم يجد سكيناً يقطعها بها ، فسألهم سكيناً فلم يجد عندهم ، فسأل جيرانه فلم يجد ، فذهب إلى السوق واشترى سكيناً . ولما سألوه عن عدم وجود السكين قال لهم : إن الأهالي كانوا ضجروا من حمل السلاح ليلاً ونهاراً أيام الظلم والعدوان . ولما استقر الأمن والعدل صار حمل السلاح بيننا أمراً معيباً ، ومن حمله يعرض نفسه للإهانة . فتعجب الأسبان مما رأوا ، وأخبروا دولتهم بذلك فطمعت في طرابلس ، واحتلتها سنة ٩١٦ . . . هذا ما ذكره الأستاذ بيرم ، وذكر قصة أحمد الحفصي التي ذكرناها آنفاً ، والتي لم نطلع عليها لغيره .

فاللؤلؤة الثمينة التي دفع الغرور بصاحبها إلى أن يسحقها ويذرها على الطعام حباً في الظهور بمظهر الغنى . . . وعدم وجود السكين في بيوت هؤلاء الأغنياء : لا لسبب سوى كراحتهم للحرب . هذان الأمران هما محل الغرابة من كثير من الناس ، والانتقاد من القراء للمؤلفين الذين يسوقون مثل هذه الغريبات ولا يعلقون عليها بكلمة .

(١) الدلاعة كلمة بربرية اسم للبطيخة الخضراء وهي معروفة عند البربر في الشمال الإفريقي منذ القدم ، وعرفها عنهم العرب منذ دخولهم إفريقيا . وقد ذكر المؤرخون في سبب قتل إدريس بن عبد الله أنه سم في ( دلاعة ) سنة ١٧٥ هـ .

ورأى : أما عن الياقوتة ، فإن الغرور قد يدفع بصاحبه إلى أكثر من هذا فهو لا يقف بصاحبه عند حد ، وصاحبه لا يفكر فيما وراء ما تحدثه به نفسه .  
وأما عن عدم وجود السكين ، فأنا في شك من هذا الخيال المرتب كما يشك غيرى . وكراهة اقتناء السلاح الناتجة عن كراهة الحرب لا تنتج عدم وجود السكين في البيوت ، لأن السكين ليست من آلات الحرب التي تقابل بها مدافع الأسبان وبنادقهم وسيوفهم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن السكين من ضروريات البيوت التي لا يمكن الاستغناء عنها . ولا أقل من أن توجد سكين في المطبخ لتقطيع البصل وما يحتاج إليه الطعام ، وخصوصاً في بيوت الأغنياء ، فمن المتعذر على العقل التصديق بصحة هذه الخرافة .

\* \* \*

وابتهجت أوروبا بسقوط طرابلس ، وأقام نائب البابا احتفالات الفرح بسقوط هذه المدينة العربية الإسلامية في أيدي المسيحيين . كما استاء المسلمون لهذا الاحتلال ، وقابله الطرابلسيون المقيمون في الإسكندرية إذ ذاك بعمل عدائي ضد الأسبان في الإسكندرية وأحرقوا لهم فندقاً<sup>(١)</sup> .

وأرسل القسيس أمريكو دامبواس رئيس منظمة فرسان القديس يوحنا إلى فرديناند ملك أسبانيا تهتهة ، ويرجوه أن يتابع فتوحاته في إفريقية<sup>(٢)</sup> .

وأراد الكونت بييترو نافارو أن يتخذ من طرابلس قاعدة لغزو الشمال الإفريقي ، فأقلع أسطوله يوم ٢٢ من ربيع الآخر سنة ٩١٦ هـ . في ١٢ سفينة قاصداً جربة . ولكن فظائع الأسبان في طرابلس سبقت نافارو إلى جربة ، فكانت من أشد ما حمل أهلها على الاستماتة في الدفاع وأيقن الكونت نافارو بهذا العزم فعدل عن الاشتباك في حرب مع جزيرة جربة وأقلع راجعاً إلى طرابلس ، في جمادى الأولى من هذه السنة . وجمع قواه مرة ثانية ، واستعان بأسطول طليطلة الأسباني ، وجيش بجاية ، وزحف على جزيرة جربة مرة أخرى في جمادى الأولى سنة ٩١٦ هـ . فهزم فيها

(١) رسالة الأستاذ عمر الباروني .



شرهزيمة وأقلع عن جربة في ٢٧ منه ورجع إلى طرابلس يجر أذيال الخيبة بعد أن ترك من جيشه ثلاثة آلاف قتيل ، وعدداً كبيراً من الأسرى .  
وانتهز الطرابلسيون المعسكرون خارج السور غياب نافارو وأسطوله وانقضوا على المدينة ، وتسلقوا السور ، ولكنهم لم يوفقوا فرجعوا أدراجهم . . .  
ويقول الأستاذ الباروني : إن هذه الكوارث لم تفت في عضد الطرابلسيين بل دأبوا على الدفاع ، واستعانوا بإخوانهم في الدواخل ، وتألقت مراكز للمقاومة في الجبل الغربي وغريان وتاجورة . ١ هـ .

ولم يغفل محمد بن حسن الحفصي إعانة طرابلس فجمع جيشاً كبيراً بقيادة محمد أبي الحداد<sup>(١)</sup> قائد توزر ، وكان من أكبر قواده ، ووصل إلى طرابلس ونزل خارج السور وانضم إلى هذا الجيش المحاربون الطرابلسيون ، وهاجموا المدينة في ذى الحجة سنة ٩١٦ هـ . فبراير سنة ١٥١١ ولكنهم لم يظفروا منها بطائل .

ويقول صاحب المؤنس<sup>(٢)</sup> : إنه حصلت مبارزة بين أبي الحداد وأحد قواد الأسبان ، فاحتضنه أبو الحداد وأخذه أسيراً . ودام حصار أبي الحداد لطرابلس سبعة أشهر ، ثم مات أبو الحداد وتفرق جيشه<sup>(٣)</sup> .

وكان من الضروري أن يبعث أمير تونس محمد بن الحسن بهذا الجيش لمساعدة الطرابلسيين ، لأنه علم أن الأسبان ينصبون له الشباك ويتآمرون عليه ولو قدر له أن ينجح في طرد الأسبان من طرابلس لكان في هذا نصر له كبير ، وتقوية لمركزه .

(١) سماه الأستاذ الباروني محمد أبو شداد .

(٢) تأليف الأستاذ محمد بن أبي القاسم الرحيني القيرواني .

(٣) ذكر في المنهل العذب اسماً آخر غير أبي الحداد ، وذكر لموته قصة آله أعلم بصحتها ،

مع ما فيها من عدم ارتباط الحوادث .

## العهد الأسباني

كان العهد الأسباني في طرابلس عهد استبداد وظلم ، وشغلتهم جباية الأموال وفرض الضرائب عن القيام بأي إصلاح في البلاد . وشغل الناس بأمر الأسبان عن أعمالهم ، ومتابعة نشاطهم في الزراعة والصناعة والتجارة فعم الخراب والفقر البلاد والعباد . وكانت الحرب سجلا بينهم وبين الطرابلسيين فلا العرب أمكنهم أن يقتحموا المدينة على الأسبان ، ولا الأسبان أمكنهم أن يجلوا العرب عن تاجورة . وقد طال المقام بالأسبان على هذا الوضع المائع . وإذا استثنينا بعض الإصلاحات التي أحدثوها في قصر الحكومة وبعض الأسوار زيادة في تقوية الحصون سنة ٩٢٤ هـ . ١٥١٨ م . أمكننا أن نؤكد أنهم لم يقوموا بأي إصلاح في البلاد ، بل أفسحوا الطريق للخراب يعث بجميع أنواع النشاط المادي والأدبي . وكان الحصار المضروب حول أسوار المدينة من الطرابلسيين ، وفداحة الضرائب<sup>(١)</sup> التي فرضوها على التجارة الواردة إليها من البحر من أكبر العوامل التي جعلت سكان المدينة في فقر مدقع ، وجعلت أسواقها في كساد مستمر ، وتجارها في بوار ، فانصرف عنها الموردون إلى غيرها من موانئ البحر الأبيض ، وانقطع منها المصدرون لفناء الثروة وإنقطاع العمل .

## تحول في السياسة الأسبانية

كانت أخبار نشاط الأسطول العثماني في شرق حوض البحر الأبيض قد انتشرت . وامتدت أطماع الترك إلى الناحية الغربية من هذا البحر ، وأسندت قيادة الأسطول التركي إلى رجال ذوى مقدرة وشهامة مثل خير الدين بربروسا وغيره . وكانت روحهم متشعبة بالدفاع عن حوزة الإسلام وكرامة معتنقيه . . . ووصلت بعض قطع الأسطول التركي إلى المياة الطرابلسية سنة ٩١٨ هـ . ١٥١٢ م

(١) يقول الأستاذ الباروني إنها كانت ٥٠ ٪ .

فكان لما أبداه من جرأة ، ولما لاقاه الأسبان من عدم النجاح في التغلب على الطرابلسيين رد فعل كبير فيما كان يبيده الأسبان من حماس لامتلاك طرابلس يضاف إلى هذا الهزائم الشنيعة التي لاقوها في فتح جزيرتي جربة وقرقنه ، فكانت هذه الأسباب مجتمعة ومتفرقة من الأسباب التي حملت سياسة الأسبان على التفكير في تغيير سياستهم نحو طرابلس ، بل ونحو الشمال الإفريقي كله .

وأول بوادر هذا التحول إلحاق طرابلس بصقلية في الإدارة .

ففي سنة ٩١٩ هـ . . تنازل ملك إسبانيا عن إدارة طرابلس إلى نائب الملك في صقلية ، وأصبحت مدينة طرابلس تابعة في الإدارة لصقلية . وأرسل نائب الملك إلى طرابلس جوان فرنشيسكو والياً عليها . وشجع نائب الملك بعض الأسر الصقلية على الهجرة إلى طرابلس لتعميرها ، ووعدهم بإعفائهم من الضرائب ، وإعطائهم بيوتاً يسكنونها ، وأرضاً يزرعونها ، وذلك ليعث فيها روح النشاط التجاري والصناعي الذي فقدته بسبب جلاء السكان عنها وسوء معاملة الأسبان .

وزيادة في الترغيب وعدمهم بالعفو عن أصحاب الجرائم منهم .

ولما مات الملك فرديناند ملك الأسبان سنة ٩٢٢ هـ خلفه الإمبراطور المقدس شارل الخامس ، وبدأ التحول واضحاً في سياسة شارل ، ويظهر أنه اضطر إلى تغيير سياسته اضطراراً ، لأن الحروب الداخلية التي انتشرت في إيطاليا والخلاف القائم بينه وبين فرانسوا الأول لم يمكناه من مواصلة سياسة خلفه في طرابلس . وانتشر اسم خير الدين بارباروسا بين الممالك الأوربية ، وهاجم بأسطوله بجاية سنة ٩٢٠ هـ وأعاد الكرة عليها سنة ٩٢١ هـ ، وأصبح يهدد أسبانيا في كل ممتلكاتها الإفريقية .

وقد ضاق الحال بالأسبان في طرابلس ، وأفلست سياسة العنف التي كانوا يستعملونها في داخل المدينة وخارجها ، ولم يبد من الطرابلسيين أي فتور في الدفاع عن بلادهم ، فعمد الأسبان إلى محاولة جديدة وهي العفو عن الشيخ عبد الله ابن شرف شيخ المدينة السابق ، فأطلقوا سراحه حوالي سنة ٩٢٧ بعد

أن قضى في منفاه هو وأسرتة نحو عشر سنوات . وحاولوا أن يستغلوا نفوذه في إخضاع الطرابلسيين ... ويقول الأستاذ الباروني : ورجع على إثر رجوعه خمسمائة عائلة طرابلسية . ولكنه لم يجد في معاملة الأسبان ما يشجعه على البقاء معهم ، ولم يلبث أن فرّ ، والتحق بالمجاهدين في تاجورة ا.هـ . وقد توقعوا من هروب الشيخ عبد الله أن ينظم صفوف المجاهدين ويذكرى روح المقاومة فيهم . وكانوا يحسبون أكبر حساب لهجوم الأسطول التركي ، فصاروا يحسبون أيضاً حساب الشيخ عبد الله والعرب .

وقد حملهم هذا الخوف على إجراء بعض الإصلاحات في القلاع والحصون وقصر الحكومة والميناء . وكانوا في حاجة إلى الحجارة فهدموا بيوت بعض المهاجرين واستعملوا حجارتها في البناء . وكان اهتمامهم بالناحية الجنوبية من السور أكثر لأنهم كانوا يحسبون حساب التل الجنوبي الذي يسمونه الآن الظهرة لأنه مكان مرتفع فإذا وضع عليه مدفع أصبحت المدينة في خطر .

وكل هذه التحصينات لم تهدئ من روع الأسبان ، ولم تبعث في نفوسهم الطمأنينة إلى البقاء في طرابلس . ولذلك ما كادت منظمة فرسان القديس يوحنا تطلب ضمها إليها حتى أجيبت إلى طلبها .

### منظمة فرسان القديس

ابتدأت هذه المنظمة حياتها بالدعوة إلى الخير والتمسك بالدين ، ومدّ يد المساعدة إلى ذوى الحاجة والمعوزين . وقبل الحروب الصليبية كان مقرها القدس . ولما نشبت الحروب الصليبية اتخذت لها مهمة الصليب الأحمر عندنا اليوم ، وظهر تحيزها ضد المسلمين . وما كادت الحرب الصليبية تنهى حتى طردها صلاح الدين من القدس فلجأت إلى عكا . ثم طردوا منها إلى رودس . وأمكنها أن تقنع ملوك أوروبا بحمايتها فكان لها ما أرادت ، وأسست في رودس حكومة مسيحية تحت حمايتهم . وضمت إليها جزر الدوديكانيز ، وشملها البابا بعطفه لما رآه فيها من التعصب للمسيحية والعمل على إبادة الإسلام والمسلمين ، وقد اتخذت لها

من الدعوة إلى الدين وحب الخير شعاراً ما لبث أن تكشف عن حقيقة هي التعصب على الإسلام والمسلمين ، وإثارة الحرب ، وإراقة الدماء ، وإباحة القتل . وأول ما بدأوا بعرقلة حركات الأسطول العثماني ، وسلكوا مسلك القراصنة الجبناء . وفي رمضان سنة ٩٢٨ هـ . دهمهم السلطان سليم بأسطول وجيش عظيمين ، وبعد حصار جزيرة رودس ستة أشهر سقطت في يد الجيش العثماني في السابع من صفر سنة ٩٢٩ هـ . وقد شملهم المسلمون بعفوهم وحفظوا عليهم أرواحهم وأموالهم ، ولم يقابلوا أعمالهم الوحشية بمثلاً ، وطلبوا منهم أن يغادروا الجزيرة إلى حيث يشاءون . وفي ١٨ من صفر سنة ٩٢٩ هـ يناير سنة ١٥٢٣ م غادر فرسان القديس جزيرة رودس إلى إيطاليا بدعوة من البابا كليمنت السابع . . . . وقد رأى رئيس المنظمة الأب فيليب أن يطلب إلى شارل الخامس إمبراطور المملكة الرومانية منحه جزيرة مالطة وقوزو لأنهم رأوا أنهما أليق مكان لغزو البلاد الإسلامية الذي يتعطشون له دائماً . وهنا سنحت الفرصة لشارل للتخلص من طرابلس التي طالما تحين لها الفرص ، فقبل طلب الفرسان على شرط أن يقوموا بالدفاع عن مدينة طرابلس . . . . ومن هنا ابتدأت قصة فرسان القديس في طرابلس .

أدرك فرسان القديس أنهم إذا قبلوا هذا الشرط فسيتعرضون لحرب طويلة من الطرابلسيين ، وهجوم شديد من الترك سيكون مصيرهم فيه مصير هجوم رودس . ولم يجدوا بداً من القبول ، فقبلوا على كره ، وعلى علم بما ينتظرهم من العاقبة السيئة إرضاء للإمبراطور شارل .

ويقول الأستاذ الباروني : « ووافق مجلس منظمة الفرسان على الوثيقة القيصرية في ( ٢٥ من يولييه سنة ١٥٣٥ م <sup>(١)</sup> وجاء وفد منهم إلى طرابلس ليتسلم المدينة من واليها « فرديناند أليركون » <sup>(٢)</sup> »

( ١ ) يوافق ٢٤ من المحرم ٩٤٢ هـ .

( ٢ ) يقول الأستاذ العسلي في ترجمته كتاب « ليبيا » وفي سنة ١٥٣٠ م تنازل عنها كارلو الخامس ملك أسبانيا إلى فرسان سان جوفاني وأضيفت إلى مالطة . وفي هذا الوقت أعيد بناء السراي وزيد في حجمه ، وأصلحت أسوار المدينة ، ووسائل الدفاع عن الميناء التي كانت دائماً هدفاً المناوشات العرب والأتراك .

وإلى هنا انتهى حكم الأسبان في طرابلس ، بعد أن دام عشرين سنة لم يتجاوزوا فيها أسوار المدينة ، وقاسى فيها الطرابلسيون شر ما يقاسيه محكوم من حاكم . وذهب الأسبان إلى غير رجعة ، ولم يتركوا في طرابلس ما يشرف إنساناً أو يمت إلى الخير بصلة ، ولولا ما شغل به الأسبان من أحداث في أوروبا لما أبقوا في طرابلس مسلماً .

### فرسان القديس في طرابلس

تسلم فرسان القديس طرابلس في المحرم سنة ٩٤٢ « يولية سنة ١٥٣٥ »<sup>(١)</sup> وعينوا عليها والياً هو القسيس «جسبارى دى سنقوسا» وهو أول وال من هذه المنظمة على طرابلس . وكانت مهمة الدفاع عن طرابلس مهمة شاقة ؛ لأن الفرسان يواجهون عدة أعداء في طرابلس : كراهة العرب في الداخل ، والعرب المحاربين في الخارج ، والأسطول التركي في البحر ، ولم يكن لديهم من المال ما يكفي لما تتطلبه مهمتهم لإصلاح ما تركه الأسبان من الخراب في كل ناحية من نواحي الحياة ، وأبدى الفرسان بعض النشاط فاستولوا على زنور ، والمنصورية ( صياد ) ولماية والحشان والزاوية ، وصبراتة ، وكانوا يجبون أموالها ويفرضون عليها المغارم ، ويأخذون رهائنها خوفاً للانتقاض عليهم . وقد اضطر أهل الجهة الغربية للخضوع لأنهم في طريق الجيوش التونسية التي كانت تأتي لنصرة فرسان القديس على طريق البر . بخلاف الجهة الشرقية فقد احتفظت بنفسها بواسطة مشايخها . وقد وجد منها مراد أغا معاونة فعالة في محاربة فرسان القديس وبعث أمير تونس إلى والى طرابلس يطلب منه صداقة منظمة القديس يوحنا وعقد معاهدة صداقة ودفاع معها ، فرد عليه بأنه سيستشير حكومته ، ويرجوه ألا يرسل معونة إلى العرب بتاجورة حتى تم المعاهدة بين مؤسسة القديس وبينه .

وبلغت أخبار هذه المعاهدة خير الدين برباروسا فجهز أسطولا ونزل على

(١) انظر ما نقلناه عن ترجمة الأستاذ العسلى هامش ص ٢٨٣ .

تاجورة واحتلها سنة ٩٣٧ هـ وطرد منها أنصار الحسن أمير تونس ومؤيديه ، وأبقى في تاجورة أحد قواده ، واسمه خير الدين كرمان ، وأبقى معه بعض القطع الحربية وجنوداً وأسلحة) ، وكانت ميناء تاجورة غير صالحة لرسو السفن فأسرع كرمان لإعداد حوض فيها لسفنه ، وبني برجاً ليدافع به عن السفن الراسية في هذا الميناء .

وأعلن خير الدين كرمان الحرب على الفرسان في البر والبحر ، واستولى على سفينتين للفرسان بكل ما فيهما وضعف نفوذهم خارج السور ، وامتنع سكان زنزور وغيرهم من دفع الضرائب وتخلصوا من حكم الفرسان .

وقد كان لغزو الترك تونس أثر سيئ على أميرها مما حمله على الالتجاء إلى فرسان القديس ومعاونتهم على الترك ، وعقد معاهدة دفاعية ضد الترك . وسرى كيف أنه ساق جيشاً على طرابلس بطريق البر مساعدة لفرسان القديس .

وسمع الحسن أمير تونس بأعمال خير الدين في تاجورة . فجهز جيشاً في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٣٨ هـ يناير سنة ١٥٣٢ م لمحاصرة تاجورة وقاده بنفسه . وقد تأكد الحسن من مساعدة فرسان القديس بالمدافع والعتاد الحربي بناء على وعدهم إياه بهذه المساعدة .

وزحف الحسن على طرابلس وحاصر جيش خير الدين في زواغة وتاجورة وعند البرج القائم على الميناء ، وبعث إلى والي طرابلس يطلب منه وقاء الوعد بالنجدة ، فلم يف بوعده . وجاءت نجدة إلى خير الدين كرمان من برباروسا ، وبلغ عدد أسطوله في تاجورة ١٥ قطعة كبيرة . واستطاع كرمان أن يدافع عن تاجورة .

وجاء خير الدين بارباروسا في حملة كبيرة نجدة لتاجورة ، ونزل على صفاقس أولاً واحتلها في شوال سنة ٩٤٠ هـ (أبريل سنة ١٥٣٤) . وعلم الحسن بهذه النجدة ، فرحل عن تاجورة . وذهب لملاقاة خير الدين في صفاقس ، وانكسرت حملة الحسن ونخاب فآله . وخاف الفرسان من تقدم كرمان إلى طرابلس فالتجأوا إلى إصلاح الحصون والقلاع ، وأعوزهم المال فأرهبوا الناس بالضرائب

وفي سنة ٩٤٠ هـ . و ١٥٣٤ م . دعى بارباروسا إلى الأستانة ، وأسندت إليه قيادة الأسطول العثماني كله ، فازداد خوف الفرسان . وخرج بارباروسا بأسطوله على سواحل إيطاليا ، واحتل تونس . وعين حسن أغا على قسم من الأسطول وأرسله إلى طرابلس .

ورجع كرمان إلى تاجورة - وكان قد ذهب إلى صفاقس - ومعه كتاب من بارباروسا يأمرهم فيه بمساعدته والالتفاف حوله ، فانضمت إليه القبائل الطرابلسية ودفعت إليه خراج أراضيها وضرائب أشجارها وحيواناتها ، وضرائب تجارتها . وحاصر طرابلس ، وضيق على أهلها حتى أصبحوا لا يقدرون على فتح الأبواب . وانتشرت قوات خير الدين حول طرابلس . وبني قلعة على بعد ميل من سور المدينة إلى الجنوب وكانت تعرف بقلعة القائد ، وكانت بالظهرة ، ونصب عليها المدافع ، وكانت قنابلها تصل قريباً من الأسوار ، وتضايق الفرسان من هذه القلعة أشد المضايقة .

وتهيأ كرمان لاحتلال طرابلس ، وكان ذا عزم وقوة إرادة ، وحشد جنده ورجاله ، وانضم إليه المتطوعون من لمائة ووزنرور ، وتقدم الجيش نحو أسوار المدينة ومعه حملة السلام ، ونشبت الحرب ، واختلطت أصوات التكبير والتهليل بأصوات البنادق والمدافع ونصبت السلام على الأسوار ، وحى وطيس الحرب . وضافت الدنيا في وجوه الفرسان وظنوا ألا مناص من الأسر أو القتل ، وكادوا يرفعون الأعلام البيضاء علامة الاستسلام . وفي آخر لحظة واتاهم النصر بسبب انتشار خبر وفاة خير الدين بين الجنود فأخذوا يتسللون تاركين مواقع الدفاع ليتحصنوا بقلعة الظهرة ، وكسب الفرسان المعركة .

وجاء المدد إلى فرسان القديس من مالطة . وأمكنهم ، من طريق التحايل وبث الفتنة بين سكان المنشية ، أن يستميلوا بعضاً منهم ، وانضموا إلى صفوفهم . ويقول الأستاذ الباروني : « فجاءوا أفواجا ، وملأوا الميادين ليحاربوا إخوانهم » . وبلغ خبر انضمام هؤلاء النفر للفرسان إلى خير الدين كرمان فاستعد للقائهم . . . . . وتقدم جيش الفرسان نحو قلعة القائد بالظهرة . ورابط جيش خير الدين



في قبيلة أبي دبوس. ولم يحاول كرمان أن يتعرض لزحف الفرسان وخلق بينهم وبين التلعة. واشتد الحصار على القلعة، وأيس المحاصرون من إغاثة خير الدين، فاستماتوا في القتال، وأبو الاستسلام فنسفت القلعة بمن فيها، وذهبت أجسامهم في النضياء تذررها الرياح. ورحمة الله ورضوانه على من أدى للوطن واجبه... ولم يبق أمام الفرسان إلا خير الدين الذي يعسكر في قبيلة أبي دبوس التي تبعد عن المدينة بخمسة أميال، فانتقل من مكانه إلى تاجورة. وتقدم الفرسان إلى هذه القبيلة فهبوا، وأسروا من فيها، وأضرموا فيها النار. وإلى هنا انقطعت أخبار خير الدين كرمان. ويقال إنه قتل في هذه المعارك. وهيأت الظروف إلى دور آخر هو استيلاء الترك على طرابلس، وطرد حكومة القسس منها إلى غير رجعة، وكان ما سنقصه.

### الترك في طرابلس

بعد أن اختفى خير الدين كرمان من تاجورة ولم يسمع له ذكر بقي العرب وفرسان القديس وجهاً لوجه. ولم تكن لدى العرب قوة تكافئ قوة الفرسان، وأصبح من المستحيل التفاهم لاستحكام العداوة بين الفريقين، فلهذا اضطر العرب في تاجورة أن يستعينوا بدولة تنقلهم من هذا الموقف الحرج. ولم تكن إذ ذاك دولة مسلمة يمكن الالتجاء إليها إلا دولة بني عثمان، فقد ظهرت في رودس والجزائر، وتونس، والبحر الأبيض، وكان خير الدين كرمان تولى أمورهم في تاجورة حوالي ١٦ سنة، وفوق كل هذا فهي دولة إسلامية تعمل لرفعة شأن الإسلام وحماية المسلمين، لهذا كله لم يفكروا في الاحتماء بغيرها، وأرسلوا وفداً منهم إلى الآستانة سنة ٩٢٦ ليعرض الأمر على السلطان سليم، ويطلب منه إنقاذهم من فرسان القديس. وقابل السلطان سليم الوفد واستجاب إلى طلبه... وهنا يروي ابن خلدون في تاريخه أنه أرسل معهم مراد أغا أحد خصيان القصر في نفر قليل من العساكر...

ويؤكد الأستاذ الباروني أن مراد أغا « انضم إلى بارباروسا سنة ١٥٣٨م<sup>(١)</sup> ، وكان يثق فيه ويعتمد عليه ، وهو الذي أرسله إلى تاجورة ليستأنف ما بدأه خير الدين كرماني ويرأس الغزو على طرابلس وأمدّه بالسفن والرجال والعتاد الحربي »

والأستاذ الباروني يريد أن يشكك في إرسال الوفد إلى الآستانة ، ولكنه يقر وجود مراد أغا في تاجورة ، في زمن متأخر عن الزمن الذي ذكر في المنهل العذب بنحو عشرين سنة لم يأت فيها ذكر لمراد أغا، وينسب وجوده في تاجورة إلى أسباب غير التي ذكرها بن غلبون وتابعه فيها أحمد بك النائب .

وقد يكون ما اشتهر به ابن غلبون والنائب من عدم التحري في الرواية ومناقشة غير المقبول منها - يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ الباروني . يضاف إلى هذا وجود الأسطول العثماني في البحر الأبيض ، ووجود القواد العثمانيين وحروبهم في الشمال الإفريقي ، وفي تاجورة . وهذا ما يجعل النجدة قريبة توفر على الطرابلسيين مشقة الذهاب إلى الآستانة . . .

ومراد أغا ولد في راقوسا من البلاد الإيطالية ، وأسرته القراصنة وباعوه في سوق النخاسة ، وآل أمره إلى قصر السلطان سليم وأجريت له عملية الخصى ، لأن القصور الملكية إذ ذاك لا يباشر فيها خدمة النساء إلا الخصيان .

وقام مراد أغا في بادئ الأمر بمناوشات يقصد منها عدم تمكين فرسان القديس من الحشد والتجمع .

وكان لدى الفرسان رهائن من سكان الجهة الغربية فهربوا ، فبعثوا في إثرهم رسلا ، فقبض عليهم أهل لماية وباعوهم لمراد أغا ، فاستاء الفرسان لذلك ، وأرادوا الانتقام من أهل هذه الجهات فجهزوا أسطولا من ثمان قطع بحرية وشحنوه بخيرة المقاتلة عندهم ، وأرسلوا جيشاً برياً وأخذ طريقه إلى لماية على الساحل ، وغادر الجيشان طرابلس في جمادى الأولى سنة ٩٥٢ هـ . يولية سنة ١٥٤٥م

(١) يوافق سنة ٩٤٥ هـ . وفي المنهل العذب أن مراد أغا جاء إلى طرابلس سنة ٩٢٦ والفرق شاسع بين التاريخين .

وترأس على الجيش البرى أحد أعيان سوق الجمعة وكان متحالفاً مع الفرسان .  
وسار الجيشان فى جنح الظلام ، ونزل جيش الأسطول إلى البر قبالة لمائة  
وقبيل الفجر وصل الجيش البرى . . . . وقد شعر سكان لمائة بهذا العدو  
الزاحف ، فانتبهوا مذعورين وفروا إلى الجنوب حيث البادية والأرض متسعة  
وزحف الجيش على لمائة فأسروا فيها نحو أربعمائة وغنموا كل ما فيها ونسم  
على رجال الجيش ، وحمل الأسرى إلى مدينة طرابلس مكبلين فى الأغلال . . .  
ورجع أهل لمائة إلى بلادهم فوجدوها خاوية خالية ، وقد نهبت جميع أرزاقهم  
ووجدوا من جثث القتلى كثيراً وكثيراً .

وفى سنة ٩٥٣ هـ . - سنة ١٥٤٦ م . كان الأب جوان والياً على طرابلس ،  
فاقترح على منظمة الفرسان أن تنقل مركزها إلى طرابلس نظراً لضيق مجال  
مالطة ، واتساع هذا المجال فى طرابلس . ولكنه لم يجد موافقة على هذا الرأى ،  
ويعلون عدم الموافقة عليه بأن الطرابلسيين ما زالوا مصممين على الدفاع ولن  
تلين قناتهم مهما طال الزمن ، وأيضاً فإن الأسطول التركى الذى ملأ البحر  
الأبيض ، والسياسة التركية التى امتدت إلى شواطئ إفريقيا ، وهى تتحفز  
للوثوب على طرابلس ، كل هذا حمل المعارضين على التمسك برأيهم .

### طورغود (١)

توفى خير الدين بارباروسا ليلة ٥ من جمادى الأولى سنة ٩٥٣ هـ - ٤ يولية  
سنة ١٥٤٦ م . وهو أميرال الأسطول التركى العظيم . . . وكان ذكر طورغود مقروناً  
دائماً بذكر انتصارات الأسطول التركى فى البحر الأبيض مما جعله فى مقدمة  
القواد البحريين الأتراك .

ولطورغود تاريخ حافل بجلائل الأعمال ، والمغامرات البحرية العظيمة .

(١) أصله من بلاد الأناضول ، والتحق من صفه بخدمة الأسطول العسكرية مع خير الدين  
باشا . واشتهر فى قيادته حتى نال الرياسة العليا ، وله غزوات كثيرة فى البحر المتوسط . واستشهد فى  
معارك مالطة سنة ٩٧٣ .

وكان جريئاً مقداماً لا يهاب الموت ، ولا يخاف العدو . وكان يحمل بين جنبيه نفساً كبيرة تحمّل في إرضائها كثيراً من المخاطر والأهوال ، ورفعته أعماله إلى ذروة المجد من غير أن يستند إلى أحد . وكان موفقاً في العمل للانتقام من المسيحية وإنقاذ المسلمين من شرورها . وبدأ طورغود أعماله في الشمال الإفريقي ، فطرد الأسبان من سوسة ، والمنستير ، وصفاقس . وفي سنة ٩٥٧ هـ و ١٥٥٠ م . احتل المهديّة . ووجدت أوروبا نفسها أمام هذا الأسد البحري يهددها بالاستيلاء عليها فتجمعت ضده ، وأرادت أن تغالبه فغلبها وتولاه الله بنصره فانتصر .

وفي أثناء ما كان طورغود يقوم بعملياته الحربية في شمالي إفريقيا كان مراد أغا في طرابلس في شبه انتظار لنجدة الأسطول التركي . وقد فقد مراد أغا بموت برباروسا صديقاً . ومعيناً وتوقفت الإمدادات التي كانت تأتيه أيام خير الدين برباروسا . وفي سنة ٩٥٦ هـ و ١٥٤٩ م جاء مراد أغا لزيارة عبدالقادر بن شوشانة في المنشية ، فسمع به الفرسان فهاجموه للقبض عليه ، ولكن ابن شوشانة دافع دونه هو ورجاله حتى نجا وأسر ابن شوشانة وصديقه أحمد بن جوهره . وأطلق الفرسان ابن شوشانة وصديقه أحمد بن جوهره على أمل أن يستعينوا بنفوذهما على إخضاع القبائل ، ولكن ابن شوشانة تعاهد مع مراد سرّاً على قتال الفرسان وتطهير البلاد منهم . وبلغ الخبر والى طرابلس فقبض على ابن شوشانة وصديقه أحمد بن جوهره ومعهما نحو تسعة آخرين وأرسلهم إلى مالطة لحاكمهم . وحيث لم تثبت إاداتهم أطلقوا ورجعوا إلى طرابلس .

## حشد الأسطول التركي

كان فرسان القديس يحسبون ألف حساب لهجوم الأسطول التركي على طرابلس . وقد أقض هذا الخوف مضاجعهم واستولى على نفوسهم حتى أصبحوا يتوقعون زوال ملكهم من طرابلس على يديه .

وكانت هذه المنظمة منذ أن وطئت أقدامها طرابلس تشعر بضعف في المقاومة ، وبعجز عن الحصول على مستلزمات الدفاع : من كثرة الجند ، وتوفير المال لإصلاح القلاع والأسوار . . . وكان وجودها في طرابلس يرتكز على وعود ملوك أوروبا بمددها بما يلزم للمحافظة على كيانها وتوطيد نفوذها ، ولكن ملوك أوروبا لم يكونوا عند ظنهم بهم ، ولم يقوا بوعدهم لها كما كانت تنتظر ، فتخرج مركزها ووقعت في حيص بيص ، وأحاطت بها المخاوف ، وفشلت جميع محاولاتها لتغطية مركزها المزعزع . . . ولو كانت قوة الطرابلسيين متكافئة مع قوة الفرسان أو قريبة منها لما أمكنهم أن يبقوا في طرابلس نحو عشرين سنة .

وما كاد الفرسان يعلمون بحشد سفن الأسطول التركي في شرق البحر الأبيض حتى توجسوا شراً ، واشتد خوفهم على مصيرهم ، وشرعوا في تقوية السور والأبراج ، واستصرخوا ملوك أوروبا ، واستجدوا معونتهم جاعلين في مقدمة ما ينتحلونه من أسباب لاستدرار إحسانهم - دفع ما يهدد المسيحية من خطر . . . ولكن أوروبا لم تكن مستعدة لسماع هذه الصيحات بالقدر الذي يطلبه الفرسان لتقوية مركزهم في طرابلس ، ولإقناع المسيحية بنجاحهم في مهمة الدفاع عنها ، فباعت جهودهم بالفشل . وكان عزم الترك على تخليص إفريقية من قراصنة المسيحية ، وقوة أسطولهم الذي لم يعد له مثيل في البحر الأبيض - لا تؤثر عليهما صيحات اليأس وحركات المذبوح .

تجمع الأسطول التركي في شرق البحر الأبيض . وكان مجموع سفنه مائة وخمسين سفينة ، وركب فيها ١٧ ألف جندي ، وسمائة فارس . وكان

سنان باشا القائد الأعلى لهذا الأسطول . وظهر هذا الأسطول الضخم أمام مالطة يوم ١٤ رجب سنة ٩٥٨ هـ . ١٨ يولييه سنة ١٥٥١ م . وكان طورغود في هذه الحملة . وخوفاً من أن يقتضى احتلال مالطة كلها زمناً طويلاً نظراً لمناعتها الطبيعية قد تفوت معه الفائدة من التعجيل باحتلال الشمال الإفريقي فقد اكتفى سنان باشا باحتلال قوزو إحدى جزر مالطة في ٢٦ من رجب المذكور ، وأسر منها نحو سبعة آلاف ، وأقلع عنها الأسطول قاصداً إلى طرابلس .

ورسا الأسطول أمام طرابلس ، ونزل سنان باشا على تاجورة حيث يقم مراد آغا . وأرسل سنان باشا رسولا عربياً يحمل علماً أبيض ومعه رسالة إلى الفرسان يطلب منهم أن يسلموا المدينة ، ويعددهم بأن يبقى على حياتهم وأموالهم . وأخذ سنان باشا في إنزال الجيوش والمدافع إلى البر ورتب الجيش في مضاربه ، وأحاط بالمدينة من كل ناحية ، وحفرت الخنادق . ونصبت المدافع البرية قرب سيدى الشعاب . واتخذ الأسطول مواضعه من البحر ، وتمت جميع الاستعدادات . ولم يصدر الأمر بالهجوم انتظاراً لرد الفرسان .

وفي أثناء ما كان سنان يقوم بترتيب الجيش جاء السفير الفرنسي دارهون ، ورست سفينته على ساحل تاجورة وطلب مقابلة سنان . فأجيب لذلك . وفي أثناء محادثته رجاه أن يعدل عن احتلال طرابلس وأن يتركها للفرسان ، وتوسل لديه في قضاء مهمته بما بين فرنسا والسلطان سليمان من صداقة ، وبما يتمتع به الفرسان من رعاية دول أوربا لهم .

ولم يجد سنان باشا في هذه الوساطة ما يبررها ، واعتذر للسفير بأنه مأمور من قبل السلطان باحتلال طرابلس وطرد الفرسان منها . وهذا التصريح من سنان بأنه مأمور من السلطان بأخذ طرابلس من فرسان القديس يرد ما جاء في تاريخ ابن غلبون ، وتاريخ النائب من أن مراد آغا طلب من سنان مساعدته بالأسطول على فك المدينة ، فاعتذر سنان بعدم الإذن له في ذلك ، وبعد توصلات مراد آغا وتحمله كل مسئولية تنتج عن ذلك أجاب سنان باشا طلبه .

وصدرت أوامر سنان بعدم مغادرة سفير فرنسا تاجورة خوفاً من اتصاله بالآستانة ، أو بفرسان القديس في طرابلس لعرقلة أعماله . ورد الفرسان على الباشا بعدم التسليم ، وبالإصرار على المقاومة إلى النهاية .

## الهجوم على مدينة طرابلس

وفي يوم ٦ من شعبان سنة ٩٥٨ هـ ٩ من شهر أغسطس سنة ١٥٥١ م . صدرت الأوامر إلى الجيش التركي بالهجوم ، وأطلقت المدافع على الأبراج والأسوار ، وعلى قصر الحكومة ، وأحرزت المدفعية نجاحاً فتقدمت ، ونصبت على مسافة ١٥٠ متراً من قصر الحكومة . . . وكان ضرب المدافع قوياً ومحكماً وكان الجنود يصوبون بنادقهم إلى المرابطين في رؤوس الأسوار وغيرهم .

وعمت الفوضى جنود الفرسان ، وألحوا على ضباطهم في طلب الصلح ، وطلب بعضهم السفر إلى مالطة . واعتقد حاكم المدينة فاليرا أن سقوط المدينة في يد الأتراك أمر لا مفر منه ، فأرسل إلى سنان باشا يطلب منه المفاوضة في الصلح على شرط أن يترك الفرسان يخرجون إلى مالطة بسلاحهم وأمتعتهم ، ورفض سنان باشا هذا الشرط إلا إذا دفعوا ثمن كل ما أنفقه على هذه الحملة غرامة حربية ، فرفضوا شرطه لأنه لا يوجد عندهم شيء من المال . . . وتجددت الحرب ، وتجددت معها ثورة الجنود في داخل المدينة ، وسخطهم على الوالي ومطالبتهم بتسليم المدينة . . . وطلب سنان باشا فاليرا حاكم المدينة للتحدث إليه مشافهة في شأن الصلح ، فخرج إلى الباشا ومعه أحد مساعديه . وعرض عليه سنان : إما أن يدفع الحسارة الحربية ، أو يأسر جميع الفرسان ، ويبيعهم في الأسواق لرد نفقات الحرب . واستاء فاليرا من قوله يبيعهم في الأسواق ، فخرج عن صوابه وأغلظ في القول . فأمر سنان باشا بحجزه ، وأرجع مساعده إلى المدينة لينذر من فيها بالفناء إذا ما توانوا في فتح الأبواب وتسليم المدينة . وانقض هذا الخبر على رؤوس المحاربين كالصاعقة ، وأخذ الخوف من نفوسهم كل مأخذ . وكانت المدافع ترمي حممها على القلاع والأسوار في عنف لا هوادة معه حتى تهدم أكثرها . وأرسل سنان منادياً ينادى حول الأسوار بالأمان لكل من ألقى سلاحه واستسلم . واغتم جنود الفرسان المدعورون هذه الفرصة ، فألقوا بسلاحهم ، وهرعوا إلى

الأبواب ففتحوها بدون أن ينتظروا أمراً أو يستشيروا أحداً . ودخلها سنان الفاتح وجيشه المظفر ، وفي المقدمة مراد أغا ، وطورغود بك .  
ووفى لهم سنان بما وعد ، ورفع عنهم القتل ، ووهب لهم أرواحهم وأموالهم .

### الاحتفال بفتح طرابلس

وفي يوم ١٣ من شهر شعبان سنة ٩٥٨ هـ و ١٦ من أغسطس سنة ١٥٥١م احتفل بفتح طرابلس إحتفالاً رائعاً حضره المسيو دراموند سفير فرنسا الذي حجزه الباشا في تاجورة . ورئيس الفرسان فاليرا الذي كان حاكماً على طرابلس . . . . وكان يوم ٦ ، ٧ ، ٨ من شعبان و ٩ ، ١٠ ، ١١ من أغسطس أشد أيام الحرب . . . . وتكرم سنان باشا على الفرسان فأذن لهم في السفر إلى مالطة فسافروا يوم ١٥ من شعبان سنة ٩٥٨ هـ ١٨ من أغسطس سنة ١٥٥١ على سفن تحمل الراية الفرنسية . . . . ولم تستغرق العمليات الحربية - منذ أن شرع في الهجوم إلى أن سافر الفرسان إلى مالطة - أكثر من عشرة أيام (١) . . .

ولم يترك الفرسان في طرابلس ما يذكرون به سوى الخراب ، وأخبار تلك الفظائع والمجازر . وسافروا من البلاد مشيعين باللعنات بعد أن قضوا فيها ١٨ سنة . وما كان الفرسان يستحقون هذا العطف من سنان لو كانت المعاملة بالمثل فقد كانوا في معاملتهم للطرابلسيين قساة القلوب ، متحجري العواطف ، حملهم التعصب للمسيحية على ارتكاب كل نقيصة مع العرب والمسلمين ، وكان وجودهم في طرابلس حلقة من سلسلة فظائع الأسبان في الأندلس . ولكن بشاشة الإسلام ملأت قلب سنان باشا رحمة وإنسانية ، فعفا بعد قدرة ، وسامح بعد استحقاق العقوبة ، وهكذا نحن المسلمين دائماً ، ولن نعدل عن هذه الفضيلة الإنسانية .

(١) ويرمز لتاريخ هذا الاحتلال بكلمة « جاء الترك بس » على طريقة أبجدية المغاربة .



## ولاية مراد أغا

عين سنان باشا مراد أغا والياً على طرابلس مدى الحياة . وبعد أن استقر لأمن في البلاد سافر سنان باشا بأسطوله إلى الغرب ، وأبقى مع مراد أغا حامية صغيرة من الجنود .

وكانت طرابلس قد عمها الخراب من جراء الحرب وإهمال الفرسان لشأنها ، فشغل بتعميرها ، وجلب لها كثيراً من السكان من تاجورة ومن المهاجرين اللذين هاجروا أيام الأسبان لأن الحروب أتت على كثير من سكانها ، وشجع الناس على الزراعة والصناعة ، وإنشاء البساتين واستثمار الأرض . وقد استردت البلاد في أيامه كثيراً مما فقدته أيام الأسبان وفرسان القديس ، وأخذت الحياة تدب في جميع مرافقها .

وقد أمكنه أن يخضع البلاد للنفوذ التركي . وبقيت زوارة تحاول التخلص من نفوذه ، فلم يتركها تسترسل في ذلك . واضطرت ظروف عنادهم إلى أن يغزوهم بجيش فيه نحو ٣٦٠٠ جندي . وكان هذا الجيش يحاصر زوارة في شعبان سنة ٩٥٩ هـ . وأغسطس سنة ١٥٥٢ م .

وقد اتفق أن فرسان القديس جهزوا أسطولا فيه ست عشرة سفينة عليها ألفا جندي لغزو زوارة لأنها بعيدة عن المدينة ، وظنوا أن نفوذ مراد أغا لم يصلها وذهب هذا الجيش إلى زوارة، ووصلها يوم ٥ من شعبان من السنة المذكورة . وكان جيش مراد أغا موجوداً في زوارة يحاصرها . وزحف جيش الفرسان إلى زوارة ، وعاث فيها قتلاً وسيباً ، ولم يكن يشعر بوجود جيش مراد أغا . وأخذ جيش الفرسان في الرجوع إلى الأسطول ، فلم يشعر إلا وانقض عليه جيش مراد أغا ، وانقض عليه من كل صوب . وضاق على جيش الفرسان الفرار فتشتتوا وتركوا كل ما غنموه من أموال ، وما استولوا عليه من أسرى . واضطر الفرسان إلى أن يلقوا بأنفسهم في البحر ومات كثير منهم غرقاً

قبل وصولهم إلى السفن ، وأقلع الأسطول يجر أذيال الخيبة ، وكانت هزيمة منكرة له وللجيش (١) .

ولم يحدث في أيام مراد أغا غير هذا الحادث الذي اعتبره الفرسان أقسى عليهم من حادث جزيرة رودس .

### ولاية طورغود باشا

بعد احتلال طرابلس قويت شوكة الأسطول التركي في البحر الأبيض بقيادة طورغود بك . ومن حسن الحظ الذي صادف الفرسان أن نجا أسطولهم الذي غزا زوارة من الوقوع في أسر أسطول طورغود .

وكان طورغود يتمنى لو أسندت إليه ولاية طرابلس بعد احتلالها بدلاً من مراد أغا . ولكن سنان باشا عدل عنه إلى مراد فيبقىت أمنية في نفسه تتوق إلى الفوز بها . . . وفي شعبان سنة ٩٥٩ هـ - وأغسطس سنة ١٥٥٢ م (٢) سافر إلى الآستانة ليقدم للجهات المختصة تقريراً سنوياً عن أعماله البحرية . واغتم طورغود وجوده في الآستانة لينسعى للحصول على ولاية طرابلس ، فسعى لدى السلطان سليمان ، وذكر له من شيخوخة مراد وضعفه عن الإدارة وعجزه عن الاحتفاظ بالسلطة التركية في طرابلس ما رآه مبرراً لاختياره لهذا المنصب بدلاً عن مراد .

ونظراً لمكانة طورغود ، ولما امتاز به من جلائل الأعمال ، ونظراً كذلك لموقع طرابلس وأهميتها للمحافظة على سواحل إفريقية اقتنع السلطان بوجهة نظر طورغود وأصدر أمره بتعيينه والياً على طرابلس .

وقدم طورغود إلى طرابلس في ربيع الآخر سنة ٩٦٠ هـ - ومارس سنة ١٥٥٣ م (٢) ، وبیده أمر تعيينه والياً على طرابلس . وقابله مراد فيمن قابله . وفرح الجيش والعرب بمقدمه وتعيينه والياً لما يعلمونه عنه من المقدرة والكفاية . وبلغ مراد أغا أمر تعيينه فامتثل الأمر وسلمه مهام الحكم وشئون البلاد .

(١) ملخص من رسالة الأستاذ الباروني .

(٢) هذه التواريخ تخالف ما ذكره النائب .

انتقل مراد أغا إلى تاجورة بعد أن سلم أمور طرابلس إلى طورغود ليربح نفسه فيما بقي له من أيام حياته . وقد تولى طرابلس سنة واحدة ، وسبعة أشهر ونصفاً<sup>(١)</sup> ونقل معه إلى تاجورة أمواله الكثيرة ، وبعض المسيحيين الذين كان أسرهم وملكهم ملك الرقيق . وبنى جامعته الكبير في تاجورة بواسطة هؤلاء الأسرى ، ووعدهم بإطلاق سراحهم إذا أتموه على أكمل وجه . وقد أقامه على ٤٨ عموداً وأقام عليها أقواساً بديعة الصنع على شكل نعال الفرس ، وأقام على هذه الأقواس قباباً كثيرة . . . وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله حوالى ٤٢,٦٠ متراً وعرضه ٣٥,٢٠ متراً . وإلى جانب المسجد قبر مراد أغا في مبنى صغير ، وعليه قبة واحدة ، وقد بدل مراد أغا في تعمير طرابلس وإصلاحها جهداً مشكوراً عليه رحمة الله . . .

وتسلم طورغود مهام الحكم في طرابلس وما زالت في حاجة إلى إصلاح ما أفسده الأسبانيون وفرسان القديس من أسوارها وأبراجها ، وما زالت كذلك في حاجة إلى تشجيع الزراعة ، وإحياء الصناعة ، وإنعاش التجارة وإيجاد الأيدي العاملة التي قلت بسبب الحروب الطويلة ، وإسعاف السكان بما ينعش حياتهم ويرفه عنهم شظف العيش . . . وقد تناول طورغود كل هذا بما عرف من عزمه وقوة إرادته . وكان يعتمد في جل نفقاته على الغنائم التي يأتي بها الأسطول في غزواته على البلاد الأوربية . وكان يتحصل على مقدار كبير منها . . . وقد استنجد به أهل القيروان من ظلم حاكمهم محمد بن أبي الطيب الشابي<sup>(٢)</sup> ، فذهب إلى القيروان وقتل محمد بن الطيب وشرذ قومه ، واستخلف على القيروان حيدر باشا ورجع إلى طرابلس . . . وفي هذه المدة كان المكتنى حاكماً على صفاقس ، فانضم إلى طورغود ودخل تحت نفوذه ، وأصبحت صفاقس تابعة لطرابلس .

(١) هذه المدة غير التي قضاهما في تاجورة قبل فتح طرابلس وتوليه عليها من قبل سنان باشا .

(٢) الشابي نسبة إلى الشابة ، وهي قرية قرب القيروان قبالة المهديّة « مؤنس » .

## الصفاقسيون في طرابلس

اشتهر الصفاقسيون بالنشاط في العمل ، والدراية بالصناعات إذ ذاك . وقد كانت طرابلس في حاجة إلى الأيدي العاملة للنهوض بها من كبوتها التي أوقعها فيها الأسبان وفرسان القديس . . . . وبعد أن انضمت صفاقس إلى طرابلس أشار المكنتى على طورغود بنقل بعض الأسر الصفاقسية إلى طرابلس لتستفيد البلاد من نشاطهم التجارى والصناعى ، فاستصوب طورغود هذا الرأى ووكل إليه الأمر فى اختيار من يراه . . . وما كان رأى المكنتى خالصاً لوجه الله : ولكن كانت بينه وبين بعض الأسر الصفاقسية ضغائن ، فاقترح على طورغود هذا الرأى حتى إذا ما وافقه اختارهم ليحلبهم عن بلادهم تنكيلاً بهم ، وعمد المكنتى إلى اختيار نحو أربعين أسرة للانتقال إلى طرابلس وكتب أسماءها فى قائمة ، فوافق عليها طورغود ، وكلفه أن يكون رئيساً عليهم ، فوقع فيما وقع فيه غيره وأبلغهم الخبر فوافقوا على كره . . . ولما وصاوا إلى طرابلس فرح بهم السكان وأنزلوهم فى محل الكرامة ، وأصبح المكنتى من أعضاء مجلس الوالى المقربين لديه (١) .

وسار طورغود باشا فى حكم طرابلس على نظام الدايات الذى كان متبعاً فى الجزائر وتونس . واهتم ببناء السفن حتى أصبحت له قوة بحرية عظيمة كانت تغزو البحر وتأتى بالغنائم مما تستولى عليه من سفن الأوربيين . واهتم بتوسيع حدود طرابلس حتى شمل حكمه صفاقس وامتد نفوذه على الساحل إلى مسافة أكثر من ٧٥٠٠ ميل ، وشمل برقة إلى الحدود المصرية .

وكان للسفن الطرابلسية المقام الأول فى البحر الأبيض ، وفى غزو مالطة حينما أعلنت عليها الدولة العثمانية الحرب سنة ٩٧٢ .

(١) قال صاحب نزهة الأنظار : كنت فى ساحل طرابلس سنة ١١٧٤ فرأيت داراً عظيمة وحولها أطفال عليهم آثار النعمة ، فسألت عن الدار فقيل لى هذه دار المكنتى . ويقال إن المكنتى هذا هو الذى بنى قصر الحفارة القديم .

وقد تمتعت طرابلس بالأمن في أيام طورغود وانتعشت فيها الصناعات ،  
وبذل طورغود في تعمیرها ما أمكنه من جهد ، وفي التقدم بها ما وسعته قدرته .  
ولم ينس الأسباب وفرسان القديس ما أصيبوا به من نكبات وهزائم في  
طرابلس وغيرها على يد الأتراك والعرب . ولم يفتر فرسان القديس عن تحريض  
دول أوروبا على المسلمين والتنكيل بهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . . . . في  
سنة ٩٧١ اتفقت حكومات أسبانيا ، وجنوة وفرسان القديس في مالطة على  
أخذ إفريقية وانتزاع الإسلام منها ، فأرسلت الحكومة العثمانية سنة ٩٧٢ أسطولا  
كبيرا إلى مالطة وحاصرها حصارا شديدا ، وطال حصارهم لها . وكان طورغود  
في طرابلس فاستنجدوا به فذهب إليهم في اثني عشرة سفينة ، واشترك معهم  
في حصار مالطة واشتدت المعارك بين الطرفين ، ولم يمكن التغلب على حصون  
مالطة ، واستشهد طورغود في إحدى المعارك سنة ٩٧٣ ، وجيء بجثته إلى  
طرابلس<sup>(١)</sup> ودفنت في تربة خاصة ، وما زال قبره يزار باعتباره أحد الشهداء  
ومن أكبر المجاهدين .  
عليه رحمة الله ورضوانه .

---

(١) ويقال إنه جيء برأسه فقط ، وذلك لأنه أصيب بقنبلة من مدفع يقال إنها فتتت جسمه  
ولم يبق إلا رأسه .

## خاتمة

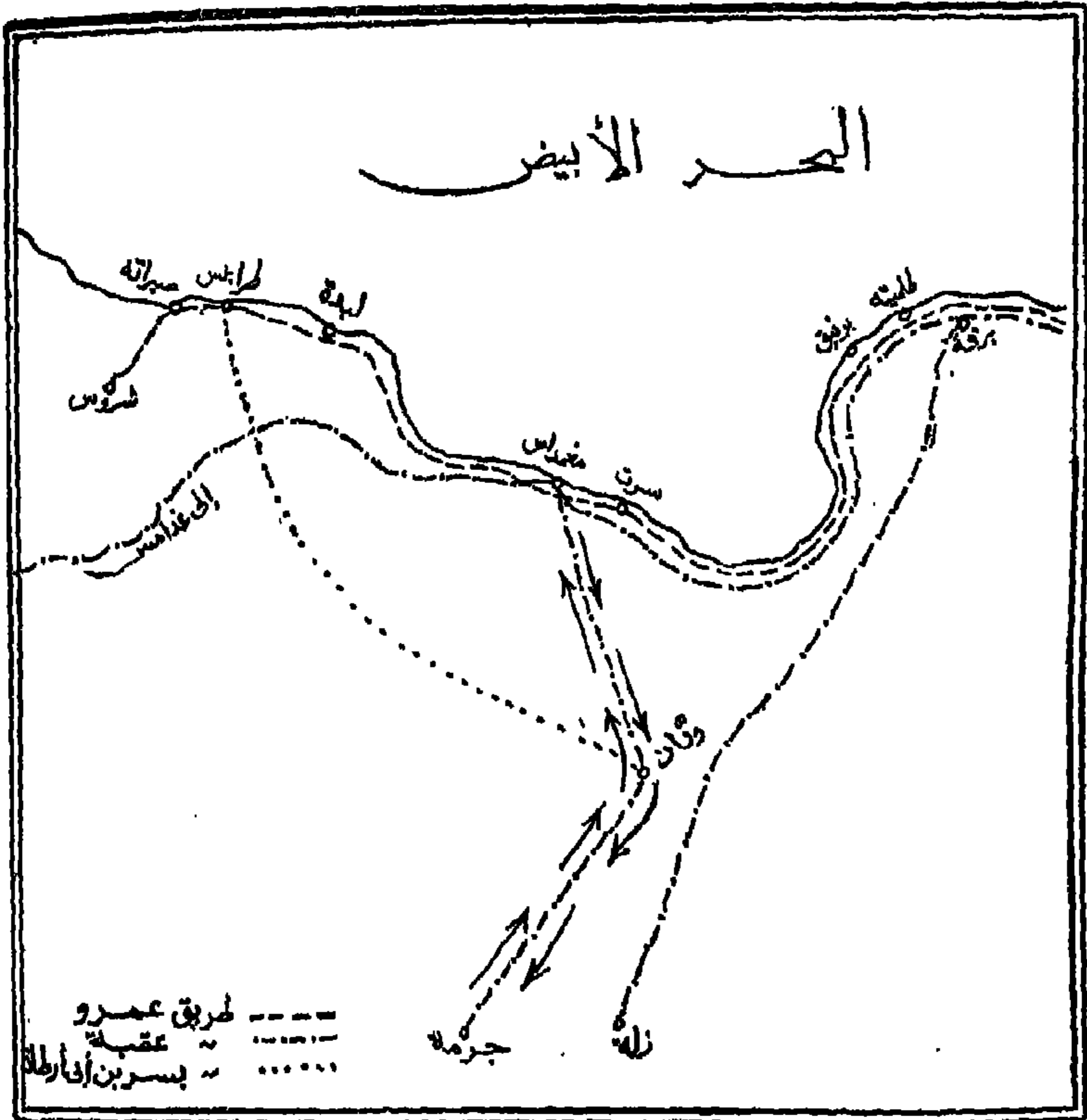
انتهيت من جمع ما قصدت إليه من تاريخ الفتح العربي في ليبيا . وأرجو أن  
أكون قد هيأت فرصة لكل مواطن يريد البحث عما بقي مجهولاً من تاريخ ليبيا . .  
وأعتقد أن هذا المجهول كثير ، وجد كثير . . . وقد لا يطول جهله - إذا ما  
تضافرت الجهود على البحث عنه - حتى يبدو للعيان واضحاً جلياً ، وحتى يكون  
في متناول كل ليبي أن يعرف ما لليبيا من كمال فيبني عليه ، أو نقص فيكملة .  
والله ولي التوفيق ، ومنه الإعانة على ما يقصد إليه المخلصون من خير .

الطاهر أحمد الزاوي  
الطرابلسي

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣  
فبراير سنة ١٩٥٤

## المؤلف

الطاهر بن أحمد الزاوي . ولد سنة ١٨٩٠ في الحرشا ، إحدى قرى مدينة  
الزاوية بطرابلس الغرب ، وحفظت القرآن ببلدى الحرشا ، بجامعة سيدى على بن  
عبد الحميد العوسجى ، على أستاذى الفقيه محمد الصالح رحمه الله . وأخذت  
بعض العلوم فى زاوية الابشات على أساتذتى : الشيخ الطاهر بن الشيخ  
محمد بن عبد الرزاق البشتى ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الحميد البشتى .  
والتحقت بالأزهر الشريف لإتمام دراستى سنة ١٩١٢ . وأخذت العلم عن  
أساتذتى الشيخ أحمد مصطفى الشريف ، الفقيه المحدث . والشيخ محمود خطاب  
الصفوى الواعظ . والشيخ الدسوقى العربى ، شيخ المعقول فى عصره . والشيخ على  
الجهمانى المصرانى الطرابلسى ، وغيرهم من أساتذة الأزهر .  
ورجعت إلى طرابلس سنة ١٩١٩ . وبقيت مع المجاهدين إلى أواخر سنة  
١٩٢٣ . وفى هذه السنة تغلب الطليان على الطرابلسيين ، فهاجرت إلى مصر فى  
يناير سنة ١٩٢٤ ، والتحقت بالأزهر مرة ثانية فى يونيو سنة ١٩٢٤ ، وأخذت  
الشهادة العالمية سنة ١٩٣٨ وتجنست بالجنسية المصرية فى إبريل سنة ١٩٤٠ ،  
ووظفت بوزارة الأوقاف فى منتصف مايو من هذه السنة .



### خريطة الفتح العربي في ليبيا

تبين الطرق التي سلكتها الجيوش العربية في ذهابها إلى ليبيا لفتحها . انظر ص ٩٨



## المراجع

- |                                        |                                       |
|----------------------------------------|---------------------------------------|
| للعلامة عبد الرحمن بن عبد الحكيم       | فتوح مصر والمغرب                      |
| لأحمد بن يحيى البلاذري                 | فتوح البلدان                          |
| لأبي عبيد الله البكري                  | المسالك والممالك                      |
| لابن عذارى المراكشي                    | البيان المغرب في أخبار المغرب         |
| لابن خلدون                             | كتاب العبر                            |
| للإدريسي (جغرافيا)                     | نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق       |
| لأبي بكر محمد بن عبد الله المالكي      | رياض النفوس                           |
| لأبي محمد عبد الله التجاني (جغرافيا)   | رحلة التجاني                          |
| لأبي سالم عبد الله العياشي (جغرافيا)   | رحلة العياشي                          |
| للأستاذ محمد الباجي التونسي            | الحلاصة النقية                        |
| مأخوذ من كتاب البلدان لليقوي           | صفة المغرب                            |
| لابن غلبون الطرابلسي                   | التذكار                               |
| لابن حجر العسقلاني                     | الدرر الكامنة                         |
| للحموي                                 | معجم البلدان                          |
| للأستاذ أحمد الشماخي الطرابلسي         | كتاب السير                            |
| للشيخ سليمان باشا الباروني             | الأزهار الرياضية                      |
| تعريب ابنتنا الأستاذ أحمد الطيب البشتي | دائرة المعارف الإيطالية               |
| للأستاذ عمر الباروني الطرابلسي         | الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس |
| لإسماعيل رأفت بك                       | التيبان في تخطيط البلدان              |
| لأبي عبيد الله البكري (جغرافيا)        | المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب    |
| للأستاذ حسين مؤنس                      | وهو جزء من كتاب المسالك والممالك      |
|                                        | فتح العرب للمغرب                      |

نزهة الأنظار، في عجائب التواريخ  
والأخبار

طبقات علماء إفريقية وتونس  
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس  
خلاصة تاريخ تونس

لب التاريخ  
الأنيس المطرب  
المعز لدين الله

ليبيا تأليف ( كاكيا )  
دائرة المعارف

المهل العذب  
جمهرة الأنساب

المسألة الشرقية  
مروج الذهب

المجتمع التونسي على عهد الأغالبة  
مراصد الاطلاع

معارك الإسلام الكبرى

شذرات الذهب في أخبار من ذهب

المبداية والنهاية  
سيرة جوذر

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

الروض المعطار في أخبار الأقطار<sup>(١)</sup>

للأستاذ محمود بن مقديش الصفاقسي  
لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي  
لمحمد بن أبي القاسم الرعيني  
للأستاذ حسن حسني  
للأستاذ محمد الحبيب التونسي

لابن أبي زرع  
للأستاذ حسن إبراهيم  
تعريب الأستاذ العسلي  
للبيستاني

للأستاذ النائب الطرابلسي  
لابن حزم

للأستاذ عبد الله حسين  
للمسعودي

للأستاذ عثمان الكعاك التونسي  
لياقوت الحموي

لجمال الدين حماد

لعبد الحى بن العماد الحنبلي المتوفى سنة  
١٠٨٩

لابن كثير

اختصار يوحنا الراهب نسخة مطبوعة في  
لوحة، في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة  
لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله  
ابن عبد المنعم بن عبد النور الحميري

(١) من نسخة مخطوطة في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة .

## الفهرست

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
			أ
١١٤	إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر	١٦	أول من عرف البربر
١١٥	إسماعيل بن عبيد ( تاجر الله )	١٧	أصح ما قيل في أصول البربر
١١٥	إسماعيل بن عبيد الله	١٩ هـ	أول ظهور المسيحية في أوربا
١١٦	إسلام البربر وانتشار تعاليم الإسلام بينهم	٢١	أشهر قبائل البربر في طرابلس
١١٨	أثر دعوة الخوارج على الإمارات العربية	٣٢	أنطابلس
١٢١	أول دخول المذهب الإباضي في إفريقيا	٤٠	أمبوريا
١٢٨	آخر حكم دولة بني أمية	٤٢	أويا ( طرابلس )
١٢٩	إلياس بن حبيب عامل طرابلس	٤٧	أول من أحاط طرابلس بسور
١٣٠	إسماعيل بن زيان النفوسى	٥٣	آثار صبراتة
١٣٢	أبو الخطاب		أول مصدر عربي ذكرت فيه
١٣٥	أبو جعفر المنصور وإفريقية	٥٦	كلمة طرابلس
١٣٧	أبو هريرة الزناتى	٦٧	أثر غزوة العبادلة
١٤٠	الأغلب بن سالم التيمى		إرسال ابن الزبير إلى عثمان بنجر
	أبو قرّة الصفري وثورته على ابن الأغلب	٧١	الفتح
١٤٠	آل المهلب	٧٢	أسرو زمار بن صقلاب البربرى
١٤٣	أبو حاتم يحاصر القيروان		إرسال هرقل بطريقاً إلى سبيطلة
١٥٣	إدريس بن عبد الله	٧٢	للمطالبة بالخراج
١٥٨	إبراهيم بن الأغلب	١٠٢	أول غزوة على قرطاجنة
١٦٠	إبراهيم بن سفيان التيمى		إرسال الكاهنة عمالا لتخريب
١٦٤	أول من غزا صقلية هـ	١٠٤	المدن والقرى وحرقت البساتين
		١٠٥	أساس خراب إفريقية هـ
			إسناد رياسة الجيش والحكم إلى البربر
		١٠٨	البربر
		١١٣	أول من عنى بتعليم البربر القرآن

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٦٨	أبو بكر بن عثمان	١٦٤	أسد بن الفرات هـ
٢٧٠	الأسبان يحتلون طرابلس	١٦٥	الأغلب بن إبراهيم
٢٨٤	أسر الشيخ عبدالله شرف وأسرته	١٦٦	أحمد بن محمد الأغلب
٢٨١	إعادة الشيخ عبد الله شرف إلى المدينة	١٦٨	إبراهيم بن الأغلب
٢٨١	إفلاس السياسة الأسبانية في طرابلس	١٧٠	إلياس أبو منصور النفوسى
٢٩٠	أحمد بن جوهرة	١٧٢	إبراهيم بن الأغلب في تاورغة
٢٩١	الأسطول التركى	آخر عهد العرب بالدولة في إفريقيا	
	ب	١٧٥	أبو عبد الله الشيعى
١٥	البربر	١٧٨	أبو القاسم بن المهدي
١٩	البربر والمسيحية	١٨٤	إسماعيل بن محمد القائم
٢٠	البربر أهل قوة	١٩٠	أفصح الكتامى
٣١	بيع أولاد البربر في الجزية	١٩٣	ابن هانى الشاعر
٥٧	بين المقوقس وعمرو	١٩٥، ١٩٣	أيمان كتامة ( حلفهم بالمهدى )
٦١	بسر بن أبى أرطأة هـ	١٩٧	أبو ركوة ( الوليد بن هشام )
٦١	البلاد التي فتحت بقيادة عمرو	٢٠٦	أول من ثار على مذهب الشيعة في طرابلس
٦٢	بعوث الغزاة إلى البلاد الطرابلسية	٢١٩	إغراء العرب بآين باديس
٨٥	بناء جامع القيروان	٢٢١	أشهر قبائل العرب التي دخلت إفريقيا
٨٦	بدء استقرار الأمن في إفريقيا	٢٢٢	إفريقية
٨٩	بلاد فزان	٢٥٣	إبراهيم بن أبى زكريا
١٠٦	بعد قتل الكاهنة	٢٥٣	أحمد بن مرزوق المسيلى ( الدعى )
١١٥	بكر بن سواده الجذامى	٢٥٣	إغارة المسيلى على طرابلس
١٢٣	بشر بن صفوان	٢٥٦	أبو بكر الشهيد
١٤٥	البربر يستنجدون بآين رسم	٢٥٦	أولاد أبى الليل
١٧٠	ابن طولون يأمر بنهب لبدة	٢٥٧	أبو بكر بن أبى زكريا
١٩٢	باسيل الصقلى	٢٦٤	أحمد بن مكى
١٩٣	بناء الأزهر	٢٦٥	أبو بكر بن محمد بن ثابت

الصفحة	الموضوع
١٤٢	حفص في طبنة
	جواب بن طولون لإلياس أبي منصور
١٧٠	منصور
١٩٢	جوهر الصقلي
١٩٥	جوذر
٢٥٤	جور المسيلي
٢٦٢	الجنويون يحتلون طرابلس
	د
١٤	الدولة الليبية
١٨	ديانة البربر
٢٤	ديدو
٨٥	دعاء عقبة للقيروان بالعمران
٩٥	دعاء عقبة ورجال فرسه في البحر
١٢٩	الدولة العباسية
١٣٣	دخول أبي الخطاب مدينة طرابلس
١٣٨	دخول بن الأشعث طرابلس
١٤٨	داود بن يزيد
١٥٧	دولة الأغالبة
١٧٦	الدولة العبيدية
١٩٨	الدولة الصنهاجية
٢٠٧	دخول ورو في طاعة باديس
٢٢٠	دخول العرب إفريقية
٢٣٥	دولة الموحدين
٢٤٩	الدولة الحفصية
	ه
١٩	هرقل
٢١	هواره
٦٠	هون ه

الصفحة	الموضوع
١٩٩	بلكين بن زيري
٢٠١	باديس بن المنصور
٢٠٤	بنو خزرون
٢٢٦	برغواطية برناط
٢٢٧	بنو جامع ه
٢٣٠	بنو مطروح
٢٣٩	بنو خطاب في زويلة ه
٢٤٠	البلطه
٢٥٠	بنات ابن غانية
٢٥٢	بيع المجرسيين
٢٦٠	بنو ثابت
٢٦٤	بنو مكي
	ج
٢٠	جيش جرجير
٤٦	الجرميتيون ه
٥٥	جبل نفوسة
٦٥	جرجير
٦٦	جرجير يطلب الصلح
٦٨	جيوش جرجير في سيطلة
٧٨	جلولاء ه
٨٢	جولة عقبة الصحراوية
٨٢	جيش عقبة في مغمداس
٨٣	جرما
١٠٢	جبال أوراس ه
١١٥	جعثل بن عاهان
	الجنيد بن بشار الأسدي حاكم
١٤٢	طرابلس
	جيوش البربر تحاصر عمرو بن

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٠	ودان	٧٠، ٢٩	هزيمة جيوش جرجير
٧١	وصول سفن عثمان إلى طرابلس	٧٣	هرقل كان إفرنجياً لا رومياً
٧٢	وزمان بن صقلاب	٧٨	انهدام سور جلولا
٧٢	وصول خبهر الهزيمة إلى هرقل	١٠٠	هلال بن ثروان اللواتي
٧٨	ولاية رويفع بن ثابت	١٠٣	هزيمة حسان وأسر بعض أصحابه
٨٧	وصف مدينة غدامس	١٣٦	هزيمة أبي الأحوص
٩٤	وصية عقبة لأولاده	١٣٧	هزيمة البربر
٩٥	وصول عقبة إلى الاطلنطي	١٤٢	هزيمة الجعيد بن بشار
٩٨	ولاية زهير بن قيس	١٥١	هرمة ابن أعين الهاشمي
٩٩	ورع زهير	١٦٩	هزيمة ابن قهر ب
١٠١	وصول حسان إلى القيروان	١٧١	هزيمة ابن طولون
١٠٣	وصف حسان أم المغرب	١٧٢	هزيمة الإباضية
	وصول المدد إلى حسان بأرض	١٩٠	هزيمة أبي ركوة
١٠٥	سرت	٢٠٩	هدية باديس إلى الحاكم بأمر الله
١١٣	ولاية بكر بن عيسى على طرابلس	٢١٩	هزيمة الميورقي في معركة تاجراً
١٢٧	وفاة هشام	٢٤١	هزيمة ابن غانية والعرب
١٣٥	ولاية أبي الخطاب على إفريقية	٢٥٤	هزيمة الدعى أبي عمارة وقتله
١٣٨	ورداسة	٢٨١	هجرة الصقليين إلى طرابلس
١٥٧	وظائف دولة الأغالبة	٢٨٨	هروب الرهائن من فرسان القديس
١٦٣	وفاة إبراهيم بن الأغلب		هجوم الفرسان على لماية
١٦٦	وفاة أحمد بن الأغلب	٢٨٩ ، ٢٨٨	وصياد
١٧٤	وفاة إبراهيم الأغلب	٢٩٣	المهجوم على المدينة
١٨٨	وفاة المهدي	٢٩٥	هزيمة الفرسان في زوارة
٢٠٧	ورو بن سعيد		و
٢٣٣	ولاية رافع بن مطروح		
٢٣٤	ولاية رافع بن مطروح الثانية	٢٦	الوندال
٢٣٦	وفاة ابن تومرت	٢٧	الوندال في روما
٢٣٦	وقد الطرابلسيين إلى عبد المؤمن	٣١	وصف الإسكندرية بعد فتحها
٢٣٧	وفاة عبد المؤمن	٣٩	وادي شنبس (وادي عين كعام)

الصفحة	الموضوع
٥٨	الحد بين برقة وطرابلس
٧٧	الحرب بين جرجير والعرب
٧٨	حروب جلولا
٩٥	حصار قبيلة المصامدة لعقبة
٩٨	الحرب بين زهير وكسيلة
١٠٠	حسان بن النعمان
١٠٥	حسان يتصل بخالد سرّاً
١٠٦	حصن ألجم
١١٥	حيان بن أبي جبلة
١٢٢	حملة العلم
١٢٥	حروب كلثوم مع ميسرة المضغرى
١٢٦	حصار أهل صبراته في المسجد
١٢٧	حنظلة بن صفوان الكلبي
١٢٩	حميد بن عبد الله العكبي
١٣٥	الحروب السياسية
١٤٤	حروب يزيد مع أبي حاتم الإباضي
١٦٧	حصون أبي الغرائق
١٦٩	الحرب بين ابن طولون وابن قهرب
١٧٠	حصار ابن طولون مدينة طرابلس
	الحرب بين ابن طولون والياس
١٧١ ، ١٧٠	النفوسى
١٧٢	الحرب بين ابن الأغلب والإباضية
	الحرب بين عبد الله الأغلب
١٧٤	ونفوسه
١٧٨	الحسين بن أحمد (الشيعى)
١٨٥	حصار طرابلس
١٨٥	حباسة الكتامى
٢٠٠	حروب زناتة وصنهاجة هـ
٢٠٣	الحرب بين باديس ويانس الصقلى

الصفحة	الموضوع
٢٤٣	وادي الهيرة هـ
٢٥١	وفاة الأمير يحيى
٢٦٠	الوشاحيون
٢٦٠	وفد بنى سليم
٢٧٣	وصف الحملة الأسبانية
	وصول الأسطول العثمانى إلى
٢٩١	طرابلس
٢٩٥	ولاية مراد أغا
٢٩٦	ولاية طورغود باشا
	ز
٥٥ ، ٢٢	زواغة
٢٣٩ ، ٣٥	زويلة بن خطاب
١٠٩ ، ٥٨	زهير بن قيس
٩٧	زحف كسيلة إلى القيروان
١٥٣	الزّاب
١٦٣	زيادة الله بن الأغلب
١٦٦	زيادة الله الأغلب الثالث
١٩١	زيان الصقلى
١٩٩	زارة = عين زارة
٢٥١ ، ٢٠٢	زنزور
٢١٩	زغبة
٢٥٦	زكريا بن أحمد اللحيانى
٢٩٥	زحف جيش الفرسان إلى زوارة
	ح
٢٦	احتلال الوندال قرطاجنة
٤٢	احتلال الوندال لبدة
٤٣	احتلال البيزنطيين لبدة
٥٧	حدود طرابلس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٠	يزيد بن صفوان		الحرب بين الخزر وبنين
١٤٣	يعقوب بن لبيب	٢٠٣	والصنهاجيين
١٤٤	يزيد بن حاتم	٢٢٤	حروب العرب مع ابن باديس
١٥٠	يحيى بن موسى	٢٢٨	الحسن بن على
٢٠١	يانس الصقلي	٢٥٩	حمزة بن أبي الليل
٢٢٨	يحيى بن تميم	٢٨٥	حصار الحسن لطرابلس
٢٣٨	يوسف بن عبد المؤمن	٢٨٥	حرب خير الدين كرماني للفرسان
٢٣٨	يعقوب المنصور	٢٨٦	حصار الترك لمدينة طرابلس
٢٣٨	يحيى بن إسحاق الميورقي	٢٨٧	حصار خير الدين في قلعة الظهرة
٢٤٢	يحيى بن غانية يهاجم طرابلس		حشد الأسطول التركي في شرقي
٢٤٣	ياقوت الافتخار	٢٩١	البحر الأبيض
٢٤٨	يوسف المستنصر	٢٩٤	الاحتفال بفتح طرابلس
٢٤٩	يحيى بن عبد الواحد		ط
٢٥٠	يعقوب الهرغي		طرابلس الغرب (نبذة من
٢٥٣	يحيى بن محمد بن يحيى		تاريخها القديم)
٢٥٥	يوسف بن طاهر اليربوعي	٤٥	طلب الروم الصلح بعد قتل
٢٦٦	يحيى بن أبي بكر بن ثابت		جرجير
٢٦٨	يحيى بن محمد المسعودي	٧٠	الطرق التي سلكها العرب في
	ك		فتوحاتهم
١٦	كلمة بربر	٩٨	طلب البربر الصلح من حسان
٣٧	كلام العياشي في سرت القديمة	١٠٦	طلق بن جابان
٥٠	كيف دخل العرب طرابلس	١١٦	طريف البرغواطى
٥٣	كرزة هـ	١١٩	طلب الفرسان تنازل شارل
٥٦	كتاب عمرو إلى عمر	٢٨٣	الخامس عن مالطة
٥٦	كتاب عمر إلى عمرو	٢٨٩	طورغود باشا
٩٨ ، ٩٧	كسيلة الأوربي		ى
١٠٢	الكاهنة	١١٧	يزيد بن أبي مسلم
١٢٥	كلثوم بن عياض	١٢٤	يزيد بن مسلم الكندي



الصفحة	الموضوع
٨٣	مسير عقبة إلى جرمة
٨٣	مسير عقبة إلى كاوار (السودان)
٨٤	ماء الفرس
٩٧	محاربة كسيلة لعقبة
٩٧	مسير زهير إلى برقة
٩٨	مسير زهير إلى إفريقية
١٠٠	مسير حسان إلى إفريقية
١٠٧	مدة حكم الكاهنة
	مقتل زهير بن قيس في سبعين
١٠٩	رجلا من أصحابه
١١٣	المنذر الصحابي
١١٤	محمد بن يزيد القرشي
١١٥	موهب بن حي المعافري
١١٩	مضغرة
١١٩	ميسرة المضغري
١٢٠	المذهب الإباضي
١٢٧	مقتل عبدالرحمن بن عقبة الغفاري
١٢٧	معركة القرن
١٢٧	مقتل عبدالواحد بن يزيد الصفري
١٢٧	مدة خلافة هشام هـ
١٢٨	معاوية بن صفوان عامل طرابلس
١٢٨	مدة دولة بني أمية
١٢٩	مقتل عبدالله بن مسعود التجيبي
١٣٠	مقتل يزيد بن صفوان
١٣٠	مقتل عبدالجبار والحارث بن تليد
١٣٧	محمد بن الأشعث
١٣٧	مقتلة تاورغة
	المخارق بن غفار الطائي حاكم
١٣٩	طرابلس

الصفحة	الموضوع
	ل
٢٢	لواتة
٢٣	لماية
٣٩	لبدة
٤٣	لبدة زمن الفتح الإسلامي
٢٣١	اللمتوني والى طرابلس
٢٧٧	لؤلؤة ودلاعة
	م
٢١	مواطن هواره زمن الفتح
	الملك الذي كان يأخذ كل
٢٣	سفينة غصباً هـ
٣٢	المدن الخمس ببرقة
٣٣	مدينة المرج
٣٣	مدينة درنة
٣٦	مسير عمرو من برقة إلى طرابلس
٣٧	مدينة سرت
٥٨٠٥٧	المنطقة المسماة باسم طرابلس
	موافقة الصحابة على استئناف
٦٣	غزو إفريقية
	امتناع أهل سيطة عن دفع
٧٢	الحراج لهرقل
٧٤	معاوية بن حديج هـ
٧٥	مرور ابن حديج بسرت وطرابلس
٧٦	معاوية بن أبي سفيان هـ
٨٠	المستشرقون
٨٢	مسير عقبة إلى إفريقية
٨٢	مغمداس
٨٢	مسير عقبة إلى ودان

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٨	محمد بن حسن	١٤٣	مقتل عمر بن حفص
٢١٢	المنتصر بن خزرون	١٤٥	مقتل أبي حاتم
٢١٦	المعز بن باديس	١٥٢	محمد بن مقاتل
٢٢٩	محمد بن خزرون		مدة حكم الأمويين والعباسيين
٢٣٠	الجماعة في طرابلس	١٥٦	في إفريقية
٢٣٣	موت رجار	١٦٥	محمد بن الأغلب
٢٣٥	محمد بن تومرت		محمد بن أحمد الأغلب
٢٣٩	محمد بن خطاب	١٦٧	(أبو الفرائيق)
٢٤٠	مسعود الباطة	١٧٢	محاولة ابن الأغلب غزو مصر
٢٤١ ، ٢٤٠	مرغم بن صابر		موسى بن عبد الرحمن
٢٤٣	محمد الناصر	١٧٣	(قاضي طرابلس)
٢٤٥	مطاردة بن غانية	١٧٩	المهدي (عبيد الله)
٢٤٧	محمد بن مسعود شيخ الدواودة	١٨٢	معارضة المالكيين لمذهب الشيعة
٢٥١	محمد بن عيسى الهنتاتي	١٨٣	موقف الإباضية
٢٥١	مناسبة		ماكنون بن ضبارة
٢٥١	مجريس	١٨٤	(عامل طرابلس)
٢٥٢	مرغم بن صابر يشترى زنور	١٨٤	محمد بن إسحاق القرشي
٢٥٢	محمد بن يحيى		محمد بن عمر النفطى
٢٥٤	المسيلى يستولى على تونس	١٨٨	(قاضي طرابلس)
٢٥٥	محمد بن الواثق	١٨٩	مخلد بن كيداد (صاحب الحمار)
٢٥٧	محمد المزدورى هـ	١٩٠	محمد بن عبيد الله المهدي
	محمد بن زكريا اللحياني	١٩١	المنصور بن محمد
٢٥٨	(أبو ضربة)	١٩١	مدينة المنصورية
٢٥٩	محمد بن أبي عمران	١٩١	المعز لدين الله
٢٦١	محمد بن ثابت	١٩٥	محمد بن هاني الأندلسي
٢٦٧	محمد بن عبد العزيز	٢٠٠	المنصور بن بلكين
٢٦٩	ماى	٢٠٦	مخاربة الحاكم لأبي ركة
٢٧٩	محمد أبو الحداد	٢٠٧	ماضى بن مهرب

الصفحة	الموضوع
٢٨٩	نقل مركز الفرسان إلى طرابلس
٢٩٢	نزول سنان باشا على تاجورة
	النداء بالأمان لكل من ألقى
٢٩٣	سلاحه
٢٩٧	انتقال مراد أغا إلى تاجورة

## س

١٥	سكان ليبيا
٢٦	سبب احتلال الوندال قرطاجنة
٢٧	سبب سقوط قرطاجنة
٢٩	سبب انهيار دولة الروم
	السبب في تخريب العرب أسوار
٣٢	المدن التي يحتلونها
٣٧	سرت القديمة
٣٧	سرت الجديدة
٣٨	سكان سرت القدماء
٥٢	سبب هدم سور طرابلس
٧٩	سياسة الغزو
٨٠	سرية عقبة
٨٧	سيداموس
٨٩	سكان فزان
	استيلاء الروم والبربر من أعمال
١٠٤	الكاهنة
١١٥	سعيد بن مسعود التجيبي
	سلمة بن سعيد أول من أدخل
١٢١	المذهب الاباضي إلى إفريقية
١٤٧	سعيد بن شداد حاكم طرابلس
١٦١، ١٥٢	سفيان بن أبي المهاجر

الصفحة	الموضوع
٢٨٢	منظمة فرسان القديس
	موافقة منظمة الفرسان على
٢٨٣	الوثيقة القيصرية
٢٨٦	مجيء المدد لفرسان القديس
٢٨٨	مراد أغا
٢٩٧	المكنى

## ن

٢٢	نفوسة
٢٤	نظام الحكم في قرطاجنة
٩٣	نظر البربر إلى فتح العرب
	نجدة زناتة لعقبة وفك الحصار
٩٥	عنه
١١٢	نكبة الوليد لموسى بن نصير
	انتشار دعوة الخوارج في المغرب
١١٨	والأندلس
١٤٠	انتشار مذاهب الخوارج في إفريقية
١٥٠	نصر بن حبيب المهلبى
	نهاية حكم خلفاء الأمويين
١٥٦	والعباسيين على إفريقية
١٥٧	نظام الحكم في دولة الأغالبة
	انتصار المالكيين في مناظرة
١٨٢	الشيعة
٢٥٥	نقل صاحب نزهة الأنظار
٢٧٣	نزول الأسبان في طرابلس
٢٨٤	نهاية حكم الأسبان في طرابلس
٢٨٥، ٢٨٤	نزول بربر وساعلى تاجورة
٢٨٧	نسف قلعة خير الدين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٦	عمر أبو الأحوص العجلي	١٦٥	سحنون بن سعيد (الفقيه) هـ
١٣٩	عبد الله بن حيان الإباضي	١٨٨	سوء معاملة عبيد الله المهدي
١٣٩	عيسى بن موسى الخراساني	٢١٢	سعيد بن خزرود
١٤٢	عمر بن حفص بن قبيصة	٢٤٣	سقوط طرابلس في يد ابن غانية
	عدد الوقائع بين عمر بن حفص	٢٤٤	سقوط تونس في يد ابن غانية
١٤٤	والبربر	٢٤٦ ، ٢٤٥	سويقة ابن مذكور
١٤٩	علي بن زياد العبسي	٢٤٩	السيد إدريس بن يوسف
١٥٠	عبد الله بن الجارود	٢٩٤	سفر الفرسان إلى مالطة
١٥١	العلاء بن سعيد		
١٦١	عبد الله بن إبراهيم الأغلب		ع
	عبد الله بن محمد الأغلب عامل	٢٧	عناية الروم بتعمير إفريقية
١٦٦	طرابلس		عدد سكان إفريقية في عهد
١٦٩	العباس بن أحمد بن طولون	٢٨	الروم الثاني
١٧٤	عبد الله بن إبراهيم الأغلب (الثاني)	٢٩	عمران طرابلس
١٧٥	عدد من تولى الحكم من الأغالبة	٣٥	عقبة بن نافع في زويلة
١٧٩	عبيد الله المهدي	٦٨	عبد الله بن أبي سرح
١٨١	عداوة المالكيين للمهدي	٨١	عقبة بن نافع
١٩٤	عبد الله بن يخلف الكتامي	٩٢	عزل عقبة عن إفريقية
٢٠٠	عوصلة بن بكار	١١٠	عطية بن يربوع
٢١٠	عبد الله بن الحسن	١١٤	عبد الله بن يزيد المعافري
٢١٦ هـ	العودة للكلام على آل زيري	١١٤	عبد الله بن كرينز
٢١٩	علي بن محمد المنتصر	١١٥	عبد الرحمن بن رافع
٢٢٨	علي بن يحيى	١٢٠	الغزابة هـ
٢٣٦	عبد المؤمن بن علي	١٢١	عبد الرحمن بن رستم
٢٤١	عثمان أبو دبوس	١٢٤	عبيدة بن عبد الرحمن
٢٤٢	عداوة	١٢٤	عبيد الله بن الحبحاب
٢٤٥	عبد الله بن إبراهيم بن جامع	١٢٨	عبد الرحمن بن حبيب
٢٤٦	عبد الواحد بن أبي حفص	١٢٩	عبد الجبار بن قيس الإباضي
		١٣٥	عبد الرحمن بن رستم هـ

الصفحة	الموضوع
٧٨	فتح جلولا
٧٨	فتح سوسة
٨١	الفتح السادس (عقبة بن نافع)
٨٤	فتح قصر جاوان
٨٤	فتح غدامس
٨٩	فزان
٩٢	الفتح السابع (دينار أبو المهاجر)
٩٣	الفتح الثامن (عقبة بن نافع)
١٠٠	الفتح التاسع (حسان بن النعمان)
١٠٧	فتح قرطاجنة
١١٢	الفتح العاشر (موسى بن نصير)
١١٢	فتوح حسان مهدت لموسى بن نصير
١٣٩	فتح ابن الأشعث زويلة وودان
١٥٠	الفضل بن روح بن حاتم
٢٠٣	فتوح بن علي في طرابلس
٢٠٤	قلقل بن سعيد يستقل بطرابلس
٢٣٠	طرد محمد بن خزرون
٢٧٨	فرح أوربا بسقوط طرابلس
٢٨٢	فرار الشيخ عبد الله شرف إلى تاجورة
٢٨٤	فرسان القديس في طرابلس
ص	
٤٢ ، ٤١	صلة الحرمتين بطرابلس
٥٢	صبراتة
١٢٦	صفوان عامل طرابلس
١٢٧	الصفيرية يستيحبون أموال أهل السنة
٢٢٦	صالح بن طريف هـ
٢٩٨	الصفاقسيون في طرابلس

الصفحة	الموضوع
٢٤٩	عبد الله بن عبد الواحد
٢٥١	عبد الله التجاني هـ
٢٥٤	عمر بن أبي زكريا
٢٦١	عمر بن أبي بكر
٢٦٢	عبد الواحد اللحياني
٢٦٥	عبد الرحمن بن أحمد بن مكى
٢٦٥	علي بن عمران بن محمد بن ثابت
٢٦٦	عزوز هـ
٢٦٧	عبد الواحد بن حفص
٢٦٩	عبد الله بن شرف
٢٨٠	العهد الأسباني
	عقد معاهدة بين فرسان
٢٨٤	القديس وأمير تونس
٢٩٠	عبد القادر شوشانه
٢٩٤	الغزو عن الفرسان
ف	
٢٣	الفينيقيون
٣٠	فتح برقة
٣٥	فتح زويلة
٣٩	فتح مدينة سرت
٤٤	فتح لبدية
٤٩	فتح طرابلس
٥٤	فتح صبراتة
٦١	فتح ودان
٦٢	الفتح الثاني (ابن أبي سرح)
٦٨	الفتح الثالث (ابن أبي سرح)
٧٤	الفتح الرابع (بن حديج)
٧٦	الفتح الخامس (بن حديج)

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٧	قتل أبي الخطاب		ق
١٦٢	قصة مهدي النفوسى هـ		
١٧١	قصر حاتم هـ	٢٤	قرطاجنة
١٧٢	قصر مانو	٦٦	القتال بين العرب وجرجير
	قتل ابن الأغلب ٢٥ رجلا	٦٦	قبول ابن أبي سرح الصلح
١٧٢	وطبخ رؤوسهم	٦٩	قتل جرجير وأسر ابنته
	قتل ابن الأغلب لإخوته وابنه	٧٩	قبر رويفع بن ثابت
١٧٣	صبراً بين يديه	٨٢	قصر الأعرابي
	قتل ابن الأغلب اثني عشرة	٨٢	قصر العبادى
١٧٣	بنتاً من بناته	٨٥	القيروان هـ
١٧٤	قتل عبد الله الأغلب		قتال عقبة وأصحابه حتى
١٧٤	قتل إبراهيم الأغلب أسرى نفوسة	٩٦	استشهدوا عن آخرهم
١٧٥	انقراض دولة الأغالبة	٩٨	قتل كسيلة
١٨٠	قتل الداعى (الشيعى)	٩٩	قتل زهير (على إحدى الروايتين)
١٨١	قبيلة كتامة أول من ناصر المهدي	١٠٣	القتال بين حسان والكاهنة
١٩٩	قلعة بنى حماد هـ	١٠٦	قصر ألبم هـ
٢٠٨	قصر فلفل هـ	١٠٦	قتل الكاهنة
٢٢٠	قبائل العرب هـ	١١٧	قتل يزيد بن أبي مسلم
٢٤٠	قراقش فى طرابلس		انقسام البربر إلى نكار،
٢٤٠	قراقش فى جبل نفوسة	١١٨	وصفريه ، وأزارقة
٢٤٢	قراقش يغير على قابس	١١٩	قبول البربر لدعوة الخوارج
٢٤٢	قصر العروسيين		قبيلة مضغرة أول من اعتنق
٢٤٢	قراقش يقتل مشايخ العرب	١١٩	بدعة الخوارج
٢٤٨	قتل قراقش فى ودان	١٣١	قتل عبد الرحمن بن حبيب
٢٥٠	قتل يحيى بن غانية	١٣١	قتل إلياس بن حبيب
٢٥٨ ، ٢٥٧	قصر الطارمة	١٣٣	قول الإباضية ( لا حكم إلا لله )
٢٧٥	قصة عجيبة	١٣٤	قتال أبي الخطاب ورفجومة
٢٩٦	قدوم طورغود إلى طرابلس	١٣٦	قدوم أبي الأحوص إلى إفريقية
٢٩٨	قصر الجفارة هـ	١٣٧	قدوم ابن الأشعث إلى إفريقية

الصفحة	الموضوع
	شعور المهدي بأن دولته لا
١٨٢	تستقر في إفريقية
١٨٣	اشتداد الفتنة على الشيعة
٢٩٧، ٢٩٦، ١٩٥، ١٩٢	شعرا بن هاني
٢١٣	شاه ملك
٢٣٩	شرف الدين قراقرش
٢٤٤	الشكوى من أعمال ابن غانية
٢٦٩	الشيخ منصور
٢٨٣	شروط فيليب على رئيس الفرسان
	ت
١١	التعريف بلوبيا
١٤	تقسيم ليبيا
٢٠	تفسير كلمة « فرنجة »
٢١	تعصب هواة للخوارج
٢١	تغلب العرب على البربر
٢٦	تخريب الروم قرطاجنة
٢٨	تبعية طرابلس لقرطاجنة
٦٣	تيم بن مرة
٦٤	تراجم بعض العبادلة هـ
٨١	تأسيس مدينة القيروان
٩٣	تعليل موقف البربر من الروم
١٠٤	تبني الكاهنة لخالد بن يزيد
١٠٦	تكهن الكاهنة بقتلها
١٠٧	تلوين حسان الدواوين
	تولية إبراهيم بن النصراني على
١٠٨	خراج برقة
١٠٩	ترجيح إحدى روايتي قتل زهير
١١٩	تسرب دعوة الخوارج إلى إفريقية

الصفحة	الموضوع
	ر
٢١	ردة البربر
٢٥	الروم
٢٧	الروم في قرطاجنة مرة ثانية
٧١	رجوع ابن أبي سرح إلى المشرق
٧٨	رويفع بن ثابت
٨٤	رجوع عقبة إلى مغمداس
٩٥	ردة كسيلة
٩٦	رجوع زهير إلى القيروان
٩٩	رجوع زهير إلى المشرق
١٠٨	رجوع حسان إلى القيروان
١٠٨	رجوع حسان إلى المشرق
١١٦	رسالة الفقهاء العشرة
١٤٤	الرقيق
١٤٨	روح بن حاتم
١٧٠	رد إلياس أبي منصور على ابن طولون
١٧٧	رأي علماء المسلمين في الدولة العبيدية
١٨٥	رقادة هـ
١٩٣	رحلة المعز لدين الله
٢١٨	رفض المعز أوامر العبيديين
٢٢٢	رياح هـ
٢٣٠ ، ٢٢٩	رجار يهاجم طرابلس
٢٣٤ ، ٢٢٣	رافع بن مطروح
٢٦٢	رجوع اللحياني إلى طرابلس
	ش
٥٦	شروس
١٥٩	شروط ابن الأغلب على الرشيد

الصفحة	الموضوع
١٢٩ ، ١١٥	ثورة الإباضية
١٣٢	ثورة ورفجومة
١٣٩	ثورة موسى بن عجلان
	ثورة الحسن الكندي على ابن
١٤١	الأغلب
١٤٣	ثورة يعقوب الإباضي (أبو حاتم)
١٤٧	ثورة أبي يحيى (ابن قرياس)
١٥٠	ثورة ابن الجارود
١٥٣	ثورة تمام بن تميم
١٥٧	ثورة عياض بن وهب (الإباضي)
١٦١	ثورة هواره على عامل طرابلس
١٦٦	ثورة البربر على أحمد بن الأغلب
١٧١	ثورة البربر على ابن قهر ب
١٧٧	ثورة أهل برقة
٢٠٦	ثورة في برقة
٢١٧	الثورة على الشيعة وقتلهم
	الثورة على مذهب الشيعة
٢١٩	في طرابلس
٢٣٣	الثورة على غاليالم
٢٣٤	ثورة رافع بن مطروح
٢٤٤	ثورة أهل طرابلس على ابن غانية
٢٦٠	ثابت بن محمد بن ثابت
٢٦٢	ثابت بن محمد بن ثابت (الثاني)
٢٦٩	ثورة بني غراب
٢٦٩	ثراء الطرابلسيين

## خ

اختلاف المؤرخين في غزوات

٦٨

ابن أبي سرح ه

الصفحة	الموضوع
١٢٨	تخلي حنظلة عن القيروان
	تغلب الإباضية على البلاد
١٣٢	الطرابلسية
١٤٠	تأثر البربر بعامل العنصرية
١٤٢	تألب البربر على العرب
١٤٣	تحايل عمر لتفريق جيوش البربر
١٥٢	تغلب عياض الإباضي على هرثمة
	تعدي جيش ابن طواون على
١٧٠	سكان البادية
	تعفف البربر عن أخذ أموال
١٧١	ابن طولون
١٥٣	تمام بن تميم التميمي
	ترك الجمعة كراهة في مذهب
٢١٨	العبيديين
٢٢٥	تغلب العرب على ابن باديس
٢٢٦	تمام بن المعز
	تكالب الأسبان على احتلال
٢٧١	إفريقية
٢٧٢	تفكير الأسبان في احتلال طرابلس
٢٨٠	تحول في السياسة الأسبانية
٢٨٣	تعصب فرسان القديس ضد الإسلام
٢٨٧	الترك في طرابلس
	تسلم جنود الفرسان وفتح
٢٩٤ ، ٢٩٣	الأبواب

## ث

ثلاث حروب بين الروم وقرطاجنة ٢٥

ثورة عكاشة الفزاري على

١٢٧، ١٢٦

مسلمة



الصفحة	الموضوع
	ض
٣٠	ضبط كلمة برقة ه
١٠٦	ضحامة جسم الكاهنة ه
	ظ
١١٩	ظهور دعوة الخوارج
٢٨٠	ظهور العثمانيين في البحر الأبيض
	غ
٤١	غارات الجرمنتين على لبدة
٦٤	غزوة العبادلة
٧٩	غرض العرب من غزو إفريقية
٨٧	غدامس
١٠١	غزو حسان قرطاجنة
١٠٥	غرض الكاهنة من تخريب إفريقية
٢٣٤	غاليالم (رجار الثاني)
٢٣٨	غانية

الصفحة	الموضوع
	اختلاف المؤرخين في غزوات
٧٤	ابن حديج
٨٥	خطاب عقبة للوحوش في القيروان
٩٨	خروج كسيطة من القيروان
١٠٣	خالد بن يزيد العبسي
١٠٤	خراب إفريقية
١١٧	الخوارج
١٤٥	خرافة
١٨٥	خليل بن إسحاق
٢١١	خليفة بن ورو
٢١٢	خزرون بن خليفة
٢١٣	خليفة بن خزرون
٢٥٦	خالد بن أبي زكريا
٣٠٠	الخاتمة
	ذ
٢٥٩	ذهاب اللحياني إلى مصر

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة  
على مطابع دار المعارف  
سنة ١٩٦٣



## تاريخ الفتح العربي في ليبيا

إن أخبار الفتح الإسلامي العربي في ليبيا مبعثرة في المصادر والمراجع العربية ، متناثرة في كتب كثيرة لا يكاد يلمها شمل . ولقد حرص المؤلف على أن يجمع في هذا الكتاب ما تفرق من أخبار هذا الفتح وأن ينسقه تنسيقاً يجعل من موضوع الفتح الإسلامي لليبيا وحدة متماسكة الأطراف حتى يقف المسلمون اليوم على البطولات التي قام بها آباؤهم في العصور الأولى للإسلام . إن على كل عربي واجباً أن يقرأ هذا الكتاب فيقرأ فيه صفحات ناصعة مشرقة من تاريخ العرب الأمجاد .

م ٦٥٠

Bibliotheca Alexandrina



0246554